ADAMS MEDIA CORPORATION
الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

«... شُجاعةٌ وصريحة»
–مجلة الناشرين الأسبوعية

أرجوكم... لا تسخروا مني

رواية

القصة الملهمة والمؤثرة لحياة امرأة

«شهدنا جميعاً النتائج المرعبة لإساءة المعاملة في المدرسة.
يمكن أن تساعدنا هذه الرواية على حماية المراهقين الآخرين من التعرض للأذى».

– دايف بلزر، كاتب روايتي «طفل اسمه نكرة» و«رجل اسمه دايف»، وهما من الروايات الأكثر مبيعاً.

جودي بلانكو

ISBN 9953-29-767-3

الطبعة الأولى

1424 هـ - 2004 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الترجمة: مركز التعريب والبرمجة، بيروت - هاتف 811373 (9611)
التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطبعة المتوسط، بيروت - هاتف 811385 (9611)



المحتويات



*****

هذا الكتاب نتاج محبة. أهديه إلى مَن أبكوا أنفسهم حتى الرقاد لأنهم كانوا فقط "مختلفين". كما أنه احتفاء بـ "المنبوذ" في داخل كلّ واحد منا ومحاولة متواضعة لنشر التسامح والتفاهم والتقبل.



رســـائـــل شكـــــر

لـولا هـؤلاء الأشـخاصُ التـاليون، لما كُتبت هـذه الصـفحات الـتي توشك على قراءتها وحسب بل أيضاً لما تعلمت هذه الكاتبة قط المعنى الحقيقـي لفعـل "يســمو". في الحقيقـة، أكـون نكـرة بـدون محبـة هـؤلاء الأشخاص ودعمهم:

كِنتْ كارول، صديقي العزيز ومثلي الأعلى بكل ما في الكلمة من معنى، الذي وثق بي عندما احتجتُ إلى ذلك من كل قلبي وبشكل يفوق كلّ تصوّر. لن أتمكن أبداً من التعبير عمّا قدمته لي.

جفّ وديبي هيرمان، وكيلاي ومؤيداي والمدافعان عني الاستثنائيان. إنّ ثقتكما التامة بي وتشجيعكما لي بمثابة الهواء الذي أتنفسه.

بوب آدامز وفريقه المميز المؤلف من المهنيين: كلير، غاري، آيمي، ماثيو، كايت، بول، صوفي، جين، لورا، بيتي، كريستين، وكلّ مَن وثق بهذا الكتاب. سأكون دائمة الامتنان.

ليسي بيس، شقيقة روحي ومصدر النور المطلق في حياتي. وأخيراً، تظن مشجعة أنني رائعة!

دينا، أنتِ ملاذي الوحيد.

برونـدو، شيرلي وعائلـة كافـالو. إنّ إدراك مـدى حبكم لـي وأنكـم تبعدون عني بضعة أميال وحسب إنْ احتجت إلى أي شيء عندما كنتُ أبقى صاحيةً طوال الليل لكتابة هذه الرواية هو ما جعلني لا أفقد صوابي.

زمودا، أشكر لك تشجيعك وكونك صديقتي الغالية.

ثومرسون، كينيسون، تعرفان نفسيكما وسبب محبتي الكبيرة لكما وكفى...

كاندس كِنتْ، بول دينا، بيل ليندغرين، ساندتموني خلال الوحدة المخيِّفة. الآن، جميعنا رائعون. أحبكم كثيراً.

جميع مَن في سانتوريني، لقد نفختم الحياة في روحي وملأتموها بها منذ أن تعرفت بكم.

الأساتذة الذين اهتموا بي وخاصة هيلين ميتسوس، الأخت روز أغاثا، السيدة ستانسل، السيد بالمر، الآنسة رودنيك، الآنسة دوديك و"واز": يجب أن يكون كلّ معلم مثلك...

الدكتور دامتز والدكتور كيرين لحمايتي من ذاتي.

"ديت" للوقوف إلى جانبي دائماً.

فيل، لقد منحتَ قلبي وطناً. ما كنتُ لأتمكن من كتابة هذه الرواية بدون حبك.

جدايّ، عمات والدي وأنسبائي. أبصر هذا الكتاب النور لأنكم وقفتم إلى جانبي آنذاك... والآن. أنا فخورة جداً كونكم عائلتي.

والدايّ، جوي وتوني بلانكو. أمي، أشكرك لأنك أحببتني ووقفت إلى جانبي عندما كنتُ وحيدة وخائفة. أبي، آمل أنك تنظر إليّ من السماء وتفخر بي. سأكون قد أنجزتُ شيئاً إنْ استطعتُ أن أكون نصف ما كنتَ عليه.

الفصل الأول

أشباح الماضي

تطاردني من جديد

اجتماع الخريجين

هذا جنون؟ لِمَ أشعر بالخوف؟ أتصرف كما لو كانت السهرة الأولى التي أحضرها. لقد أقمتُ حفلات لرؤساء حكوميين. لا أختلط غالباً بالأشخاص المهمين وأتحدث معهم في مواضيع مثيرة للاهتمام وحسب بل أنني أيضاً مسؤولة عن هذه الأحداث ومن شأني التأكد من أن كل شيء يجري على ما يرام. ولكن لا يمكن مقارنة هذا الحدث بتلك الأمسيات.

ومع ذلك، ها أنا جالسة في سيارة مستأجرة في موقف سيارات فندق في ضاحية شيكاغو حيث ترعرعت، خائفة من حضور حفلة في بلدتي. إنني أتصرف بسخافة. إنه فقط اجتماع لطلاب الثانوية ولا داعي لأن أشعر بالخوف. لا يستطيعون إيذائي بعد الآن فأنا ناجحة وأملك شركة للعلاقات العامة . كما أنني أسافر باستمرار وألتقي أشخاصاً مهمين وأعمل مع كتّاب ومنتجين مشهورين. لقد تخطيت تلك المعاملة السيئة التي كنتُ ألقاها في المدرسة. وأخيراً أعيش ما كنتُ أحلم به في سن المراهقة عندما كنتُ أستمع إلى أغنية باري مانيلو المشهورة "نجحتُ رغم المصاعب"، نشيد البطة القبيحة التي تحولت إلى وزّة.

اللعنة، مَن أحاول أن أخدع؟ أخشى الخروج من هذه السيارة لأنني أعرف أن داخل صالة فندق الهيلتون أشباح من ماضيّ ما زالت تطاردني. عندما أعيد التفكير في قرارة نفسي في العمل، لا أسمع صوتي في ذهني بل

صوت زملاء صفي منذ وقت طويل الذين يجتمعون اليوم على بعد أقل من ثلاثين متراً عني وهم يسخرون مني ويضربونني ضرباً مبرحاً. لقد دمروا ثقتي بنفسي لدرجة أنه تتطلّب عشرون عاماً للكفّ عن بُغض ذاتي.

هل من المعقول أن الثقة التي اكتسبتها منذ مرحلة الثانوية ستنجلي إنْ دخلتُ عبر هذه الأبواب؟ ماذا لو كان الشخص الذي أنا عليه الآن والحياة التي أعيشها حالياً بكلّ تحدياتها وتميزها مجرد توقف مؤقت؟ ماذا لو كانت تلك المراهقة المرتعبة التي كنتها في الماضي، تلك المنبوذة التي كانت تعود إلى المنزل مخضبة بالجروح والكدمات ما زالت تختبئ داخلي؟ هل ستظهر للعيان إنْ رمقني أحد الزملاء الأكثر شعبية بطريقة غريبة أو ضحك؟ هل ستهجرني ثقتي بنفسي عندما أرى تلك الوجوه المألوفة التي سببت لي هذا الألم؟ هل سأتألم كثيراً إنْ استعدتُ صورة تلك الفتاة التي لم تشعر بالأمان ولم تطق النظر إلى المرآة لأنها كانت تشمئز من نفسها؟

ما الذي أفعله بنفسي؟ لم أعد مراهقة. إنّ الأشخاص الذين يحضرون الاجتماع الليلة بالغون ولديهم أولاد ووظائف ويعيشون حياة الراشدين. من الغرابة أن أقلق من أنهم سوف يهاجمونني. إنني أتصرف كمَن يعاني من مرض عصابي. لا بد من أن أواجه مخاوفي. لن أسمح لنفسي بأن أكون رهينة ذكرياتي المؤلمة عندما كنتُ أتعرض للمضايقة وإساءة المعاملة. يجب أن أخرج من هذه السيارة وأعبر الموقف وأفتح تلك الأبواب وأدخل. لا بد من أن أظهر للجميع بأنني امرأة رفيعة المستوى لا تذكر حتى الأحداث التي جرت في المرحلة الثانوية، فكيفَ بالسماح لنفسها أن تتأثر بها.

أنا أكيدة أن عيونهم ستجحظ عند رؤيتي. فلا أحد منهم يتوقع

حضوري أم أنهم يتوقعون؟ ربما يشعرون بالفضول لمعرفة ما جرى لتلك الفتاة التي كان توقها للتقبل يجعلهم يسخرون منها فصلاً بعد فصل، أو الأسوأ من ذلك، قد لا يذكرونني أبداً.

أخبرتني زميلة في جامعة شيكاغو أن المشكلة الكبرى في إساءة المعاملة في المدرسة هي التجاهل الإجمالي. شرحت لي أن المتنمرين لا يدركون أن الألم الذي يسببونه يمكن أن يخلّف آثاراً نفسية وعاطفية دائمة. بالنسبة إلى المجتمع "سيبقى الأولاد دائماً أولاداً". وكنتيجة لذلك، يفلت المتنمرون بأفعالهم ولا يذكرون لاحقاً أنهم سببوا الأذى لأحد لاعتقادهم بأنهم كانوا يتصرفون بشكل طبيعي. ثم يسمعون عن إطلاق نار في الثانوية فيخشون كالجميع من أن طالباً قد يقتل آخر. يمكن أن يراقب الطلاب ذوو الشعبية إساءة المعاملة ولكنهم لا يولون أي اهتمام إنْ لم يؤثر الأمر فيهم. مَن يتأثر فعلاً هم الناس مثلي الذين كانت سنوات الدراسة جحيماً بالنسبة إليهم ومع ذلك يعتقد الجميع أننا نبالغ في مرارة ما جرى لنا.

يدايّ تتعرقان وتفكيري مشوش ومرتبك. إنني أعض على شفتي وقد بدأت تنزف. أما شعري! لطالما سخروا من شعري لأنه كان متموجاً ومن الصعب التحكم به. والليلة، إنه أكثر تموجاً من أي وقت مضى. يا إلهي، لا أقوى على القيام بذلك. لِمَ عليّ مواجهة أشباح الماضي على أي حال؟ أنا امرأة ناجحة اليوم.

ركن البعض منهم سياراتهم بالقرب مني. ورأوني جالسة هنا. إنهم آتون من هذه الجهة. أشعر وكأنني عدتُ إلى اليوم الأول من مدرسة الأحداث العالية...

الفصل الثاني

محاولة التحليق على جناحين مكسورين

. مدرسة الأحداث العالية:
اليوم الأول، السنة الأولى

تناديني أمي من الطابق الأسفل قائلةً: "يا ملاكي، انزلي وتناولي فطورك". فأجيبها: "أمي، أشعر بتوتر شديد لتناول الطعام. وفوق ذلك، أريد أن تكون معدتي ملساء. إنْ أتناول الفطور سأشعر بالانتفاخ. دعيني أرتدي ملابسي وحسب. أعدك بأنني سأتناول غداء جيداً في الكافيتيريا".

ثم تقول بوضوح تام: "جودي، أعلم أنك خائفة من عدم تمكنك من الاندماج في مدرسة ساموبلز ولكن ستكون هذه المرة مختلفة. ستصادقين زملاء يشاطرونك اهتماماتك. سيكون عالماً جديداً بالنسبة إليك يا عزيزتي".

آمل أن تكون محقة. أتوق لأن يتقبلني الآخرون. أصلي مرة تلو الأخرى: "يا رب، سأفعل أي شيء، اجعل فقط طلاب مدرسة ساموبلز يحبونني. أرجوك لا تدعني أكون وحيدة بعد الآن". لا أريد والديّ أن يتجادلا حيال مَن هو السبب في أن ابنتهما البالغة الأربعة عشرة من العمر فاشلة اجتماعياً.

كانت السنة الأولى صعبة جداً. حاولت الاختلاط ولكنني كنتُ أشعر دائماً وكأن قوة كما في أفلام الخيال العلمي في الخمسينات من القرن

العشرين تفصلني عن أندادي. كلما حاولت اختراق الجدار المحجوب بيننا، كان يصدني. رغبتُ في أن أكون جزءاً من المجموعة. ولكن كلما حاولت استمالة زملاء صفي كلما كانوا يقصونني. ظنوا أنني كنت يائسة.

أقطع عهداً على نفسي بعدم اقتراف الأخطاء ذاتها مجدداً. أقسم بأنني سأتغير. سأقحم نفسي في المشاكل من وقت إلى آخر إنْ كان اكتساب الأصدقاء يتطلب ذلك. إنّ ساموليز عبارة عن مدرسة تهتم كثيراً بالرياضة. أقنع نفسي بثقة قائلةً: "لستُ بارعة في الرياضة ولكنني أستطيع الانضمام إلى نادي التمثيل ومجموعة الإلقاء. سأخلّف الماضي ورائي. لن أبكي مجدداً حتى النوم بسبب الحفلات الراقصة التي لا أُدعى لحضورها أو الشبان الوسيمين الذين لا يتحدثون إليّ أو الأسرار المثيرة التي لا تُذكر أمامي.

مصممةً على ترك انطباع إيجابي، ارتديتُ بنطلون الجينز من تصميم فاندريلت. إنه ضيق جداً لدرجة أنني بالكاد أتنفس. إنّ جدتي محقة عندما تقول إن الجمال يسبب الألم. ابتاعت لي أمي حذاء زهري اللون احتفاء بيومي الأول في المدرسة. كم أحب هذا الحذاء! إنه عالي الكعب وغير متقن الصنع وقد لويت كاحلي مرتين وكسرت الكعب فيما أجريه حول المنزل. ولكن جميع الفتيات المعروفات ينتعلنَ هذا النوع من الأحذية. وعلى الفتاة أن تنتعله إنْ أرادت أن يتقبلها الجميع. وعندما أنتعله، أشعر بأنني جميلة وناضجة. مع أنه مجرد صندل بلا رباط وبعشرين دولاراً فقط، فإنّ انتعاله يمنحني الشجاعة لمواجهة طلاب المدرسة. ليست أمي مولعة بفكرة أن ابنتها التي تبلغ الرابعة عشرة تنتعل كعباً طوله أربع إنشات (عشرة سنتيمترات)، ولكنها تتوق إلى أن أندمج اجتماعياً وإنْ ساعدني هذا الحذاء على ذلك، أعتقد أنها ستبتاع لي الكثير منه.

مفعمة بالأمل ومليئة بالتوقعات، تفحصتُ نفسي للمرة الأخيرة. متفرسة في انعكاس مظهري في المرآة، أستطيع الشعور بأن الذكريات القديمة بدأت تنجلي أخيراً. وللمرة الأولى منذ سنوات، لستُ خائفة من اليوم الدراسي الأول.

•فيما توقف باص المدرسة البرتقالي اللون عند الزاوية، أعانق أمي وأحمل أغراضي المدرسية الجديدة وأهرع إلى الباب. إنني أطفو فوق الهواء. أقول لنفسي: "ستكون أيام الثانوية مختلفة". وستحقق أحلامي في المواعدة وحضور الحفلات الراقصة. وأضيف بتأكيد فيما أستقل الباص، "لن يتقبلوني وحسب بل أيضاً سأكون جزءاً من هذا المجتمع الغامض والمحيّر الذي يُدعى "المجموعة الشعبية".

أتعرف فوراً على نصف التلامذة في الباص. فبعضهم جيراني والبعض الآخر كانوا معي في مدرسة الأحداث العالية. على الرغم من أنني أمضيتُ الساعات الأربع الأخيرة محاولةً إقناع نفسي بأن الثانوية ستكون مختلفة، فإنّ رؤية هذه الوجوه المألوفة وسماع قهقهة أصحابها وثرثرتهم يعيد إليّ الذكريات القديمة. لقد فقدتُ الإحساس بداخلي. أذكر بوضوح ما كانوا يفعلونه بي في الباص في طريقنا إلى المدرسة. جلّ ما أريده أن أعود أدراجي إلى المنزل. بصعوبة شديدة، أشق طريقي نحو مقعد.

لكل باص مدرسي تسلسل هرمي أي نظام طبقي اجتماعي. فالمجموعة الرائعة، وهي التي تضم الطلاب المدخنين والذين يدخلون الصف حاملين أدوات ويقحمون أنفسهم بالمشاكل فيكونون موضع حسد باقي الطلاب، تحتل المقاعد الخلفية. وتجلس المشجعات ونجوم الرياضة على المقاعد الوسطية فيما يستقر الطلاب الجديون بالقرب من المقاعد

الأمامية. أما المنبوذون فلا يعلمون أبداً أين ينتهي بهم الأمر. إنْ حالفهم الحظ، يمكنهم إيجاد مقعد شاغر مباشرة خلف السائق أو إلى يمينه.

وفيما أجتاز الممشى، يتجلى لي أكثر فأكثر أنني سأقحم نفسي في شجار أو سيتوجب عليّ التوسل إنْ أردتُ الحصول على مقعد. فأقرر استخدام المنطق بما أنني لستُ متحمسة لأي من هذين الاختيارين. إنَّ مجموعة الرائعين مخيفة جداً. ومن الصعب التقرّب من مجموعة الأذكياء. لذا، سألتُ ناديا إحدى المشجعات التي غالباً ما تكون لطيفة معي عندما لا يكون أحداً حولنا إنْ كان من الممكن الجلوس بجانبها.

"آسفة، ألا ترين أن أحداً آخر يجلس هنا؟" تجيب ملقيةً نظرة عاجلة فوق كتفها لتحرص على أن يسمع أصحابها بأنها لن تتواصل مع أحد لا ينتمي إلى مجموعتها.

"كلا، سترتك على المقعد"، أقول لها ململةً شتات شجاعتي.

"أفضّل وضع سترتي على أن تجلسي بقربي". بهذه العبارة، تنفجر بالضحك مع أصدقائها. تنظر خلفها لثانية ثم تستدير بسرعة.

الباص مزدحم بالتلامذة وللحظة أشعر بالهلع. فالمقعد الشاغر الوحيد المتوفر هو في الأمام بالقرب من السائق. يقشعر بدني لفكرة استهلال يومي الأول في الثانوية في الجلوس على "مقعد الفاشلين". وكأنَّ قدري مكتوب قبل أن تطأ قدمي أرض المدرسة. حاملةً حقيبة كتبي أتقدم بحذر شديد نحو المقاعد الأمامية. وكأنني أمشي لألتمس العفو الاجتماعي.

فيما أستقر على المقعد الصغير الوحيد مقابل السائقة، السيدة سولان، أشعر بوخز خفيف في شعري. أعلم أنني إذا أستدير سيعني ذلك

المزيد من الضحك. لذا، أمد يدي إلى أسفل فروة رأسي بدقة شديدة آملةً أن يقتصر الأمر على حشرة صغيرة أجدها في شعري. أمرر أصابعي عبر شعر عنقي وأكاد أتقيأ عندما أكتشف وجود بصقة تلو الأخرى، لزجة وتقطر باللعاب. على الأقل، لا يرشقونني بالحجر كما في مدرسة الأحداث العالية...

تغمر الدموع عينيّ ولكنني لم أجرؤ على ذرفها. لِمَ يجب أن يحدث ذلك؟ أتخيل السنة الأولى التي لطالما حلمتُ بها: يتسم قائد فريق كرة القدم لي بالقرب من الخزائن ويطلب مني رقم هاتفي؛ وتهرع الفتاة المعروفة التي يحلم كل شاب بمواعدتها إليّ بين الحصتين لتعرف ما إذا كنتُ أرغب في الدرس في منزلها الليلة. فيما أستغرق في حلم اليقظة، يوقظني تمايل الباص بينما يتوقف أمام مدرسة ساموبلز. وفيما يخرج الطلاب إلى الموقف وهم يتحدثون ويضحكون ويتشاطرون قصص المغامرات الصيفية وخيبة العودة إلى المدرسة، أبقى متسمرة إلى مقعد الباص. كيف سيسعني الاختلاط؟ إنّ المرة الأخيرة التي شعرتُ بهذا القدر من القلق حيال البدء في مدرسة جديدة كانت في اليوم الأول من الصف السادس. تجاهلتُ حدسي فانتهى بي الأمر في الوقوع بالمشاكل. هل من الممكن أن الأمر ذاته يحدث مجدداً؟ ربما يجب أن أنتبه إلى مخاوفي هذا الصباح والخروج من حالة العذاب هذه.

تقول السيدة سولان وهي تطمئنني: "عزيزتي، لا تدعيهم يثبطون عزيمتك. إنهم يتصرفون كمراهقين ويطلقون عليّ اسم العانس التافهة عندما أقبض عليهم وهم يدخنون وأرغمهم على رمي سجائرهم. توفي زوجي من جراء سرطان الرئة. إنْ أراد هؤلاء الشبان تدمير صحتهم، فلن أسمح بحصول ذلك على الباص".

"آسفة سيدة سولان"، أجيبها ويغمرني شعوراً بالأسف عليها ولكن لم يطمئني ذلك.

تحثني قائلةً: "لا بأس يا عزيزتي، أدخلي إلى المدرسة وأريهم معدنك".

لم أتمكن من إبعاد السيدة سولان عن ذهني فيما أدخل عبر الأبواب إلى المبنى الرئيسي. لا أقدر أن أقلع عن التفكير في السيدة سولان. لا أفهم كيف يمكن أن يعامل الفتيان امرأة لطيفة بهذه الوقاحة. إنْ يغضبوا منها لأنها تفسد عليهم متعتهم ويطلقون عليها اسم العانس التافهة، يعتبر ذلك قلة احترام ولكن ليس قساوة. ولكن هذه المرأة تقتصد في الإنفاق حتى لا يتخطى حدود دخلها ولا يهتم هؤلاء الفتيان لما يقولونه لها أو لما يسبّب لها ذلك من ألم.

فيما أدخل مبنى ساموبلز الرئيسي، تتراجع من ذهني الحادثة التي جرت في الباص. وبينما أبحث عن خزانتي، أدرك أنني لم أرَ قط هذا العدد من الشبان الأكبر سناً في مكان واحد. وكما تقول أغنية الديسكو المفضلة لديّ، يبدو أنها "تمطر رجالاً" من حولي. تضج مدرسة ساموبلز بالحيوية. مجموعة من المشجعات اللواتي يتميزنَ عنا بتنانيرهن القصيرة وسترات المدرسة المزدانة بالأزرق والذهبي، يمزحنَ مع عدد من لاعبي كرة القدم ويغازلنَهم. وأزواج يتعانقون في الأروقة، فتملأ تنهيداتهم وقهقهاتهم رأسي بأحلام المواعدة في أمسيات السبت وتبادل القبلات. أسمع صوت رنين معدن الخزائن وضحك التلاميذ ومناداتهم لبعضهم البعض عبر الرواق فيما يشقون طريقهم نحو الصف؛ وصدى الجرس الذي يعلن بدء الحصة الأولى. تمتص أذنيّ هذه الأصوات الرائعة لأنها موسيقى بدايتي الجديدة.

الإلقاء العام الأول هو حصتي الأولى. بعد الانتهاء من المناداة على الأسماء، تطلب منا السيدة آدامز، وهي امرأة ممتلئة الجسم، طيبة القلب، في أواخر خمسيناتها، ذات شعر رمادي اللون وتعتمد مقاربة ذكية في التعليم، ما ترغب في أن نقوم به هذا الصباح. فتشرح لنا قائلةً: "أود أن يقف كلّ منكم أمام الصف ويلقي خطاباً مرتجلاً حول موضوع يهمكم".

أسمع همهمات سخرية في الغرفة. إنها تنادينا بأسمائنا بحسب الترتيب الأبجدي. والطالب الوحيد الذي يأتي اسم شهرته قبل اسم شهرتي غائب. هذا حظي. لطالما أحببت التكلم أمام مستمعين وقد فزتُ بالمرتبة الأولى في مسابقة الولاية في مدرسة الأحداث العالية. ولكن ماذا لو كنتُ الوحيدة في هذا الصف التي تحب الإلقاء العام؟ إنْ أبدأ وأبلي بلاء حسناً، سأصنّف بـ "مدللة الأستاذ" وسيضع ذلك حداً لفرصي في التعرف على أصدقاء في صف الإلقاء. ولكن إنْ أسيء الإلقاء عن قصد، سأكون قد سببتُ الأذى لنفسي.

تقول السيدة آدامز: "يبدو أن المتكلمة الأولى ستكون جودي بلانكو".

إنْ كان المرء بارعاً في أمر ما واعتبرته المجموعة ذات الشعبية "سيئاً"، يكون مصيره الهاوية. لقد تجمدتُ في مكاني. عاهدتُ نفسي هذا الصباح على عدم تكرار الأخطاء القديمة. قد يكون الحصول على علامة متدنية في صف الإلقاء ثمناً زهيداً أدفعه لتجنب خطر إقصائي والسخرية مني. وأقول لنفسي بدون إقناع: "في النهاية، لن تفسد علامة متدنية مستقبلي". فعلى المدى الطويل، لن تكون علامة متدنية واحدة ذا أهمية. ولكن على المدى القصير، لن أحتمل بدء كل نهار من السنة الأولى كمنبوذة في صف الإلقاء. اتخذتُ قراري واستعديتُ لاختباري الأول ببرودة أعصاب.

تسألني السيدة آدامز مبتسمةً ابتسامة عريضة: "ما الموضوع الذي اخترته يا عزيزتي؟" وعندما لم أجبها على الفور تقول: "جودي، هل من خطب؟ أخبرني أستاذك في الصف الثامن أنك متكلمة رائعة. ألم تفوزي بالمرتبة الأولى في مسابقة الولاية السنة الماضية؟".

أسمع ضحكات متفرقة في الغرفة. وتمرّ الثواني ببطء. لم يعد بإمكاني فعل شيء. لقد كُشف أمري.

أكذب محاولةً تجاهل الغصة في حلقي فأجيب: "كلا يا سيدة آدامز، أنا بخير. إنّ الموضوع الذي اخترته هو "ضحية الاضطهاد" وهو أمر فكرت فيه مراراً.

يدايّ تتعرقان وساقايّ تهددان بخذلاني. أصلي للخضوع لتدريب على مكافحة الحرائق أو أي شيء يخرجني من هذه المعضلة. يجب أن يختبر المرء ردة فعل عصبية إنْ كان قلقاً حيال الفشل وليس بسبب خوفه من النجاح. آخذةً نفساً عميقاً أنظر عبر الغرفة وأبدأ.

مرحبًا، اسمي جودي بلانكو وسأروي لكم قصة ضحية اضطهاد - فتاة سخر منها الجميع ولم تُدعَ قط لحضور حفلات راقصة، فكانت وحيدة وشعرت بالضياع. كان لهذه الفتاة شعر متموج وبدا كأنه لم يُمشّط قط. لم تكن مثل باقي الطلاب في المدرسة. فضّلت نظم الشعر وتأليف الأغاني بدلاً من الخروج والتحدث عن الفتيان. تألمت كثيراً للحصول على أصدقاء إلا أن اهتماماتها كانت مختلفة عن اهتمامات أبناء جيلها. ظنوا أنها غريبة الأطوار وبغضوا أسلوبها في ارتداء الملابس. لم يفهموا سبب اختلافها عنهم ولم يحاولوا الفهم. بدلاً من أن يفتحوا قلوبهم لهذا الطائر الجميل

الغريب، نبذوها. فلم تستطع الاختلاط. ومع مرور السنين وتحمّل الرفض في المدرسة الذي أصبح دفيناً في مكان سري في ذاكرتها، اكتشفت أنها تتمتع بموهبة تحويل تلك الأغاني التي كانت تسمعها في ذهنها إلى موسيقى وصلت إلى نفوس الملايين من الناس.

تلك الفاشلة اجتماعياً التي ضايقها الجميع وكانت أضحوكة للغير وهدفاً للكثير من القسوة هي جانيس جوبلن. جميعكم تعرفون أغانيها التي حددت جيلاً بأكمله. سيستمع أولادكم إلى موسيقى جانيس جوبلن كما فعل أهلكم وكما يفعل العديد منكم بالتأكيد. توفيت جانيس جوبلن في العقد الثاني من عمرها من جراء تعاطيها جرعة زائدة من المخدرات. كان الألم يتآكلها وينهشها لدرجة أنها حاولت تخديره بالممنوعات. لو حاول الطلاب في مدرستها التقرب منها واحتضانها لأنها مميزة بدلاً من تجنبها والسخرية منها، هل كانت لا تزال حية حتى اليوم؟ لن نعرف أبداً. ولكن ما نعرفه حقاً أن هناك أناساً مثل جانيس جوبلن بيننا الآن. قد يصبح ذلك الفتى صاحب النظارات الذي تسخرون منه في فترة الغداء بأهمية ستيفن سبيلبرغ أو إلتون جون. وقد تتمتع تلك الفتاة السمينة المغطى وجهها بالبثور بشهرة بيتي ميدلر. كما يمكن أن تدمرهم الوحدة والإحباط والحزن فيمضون حياتهم بدون أن يحققوا ما رغبوا فيه. ما عليكم فهمه هو أن ضحايا الاضطهاد يعتبرون البعض منكم شخصيات مهمة وتقبلكم لهم يعني الكثير. ففي المرة القادمة عندما تفكرون في السخرية من أحد ما، توقفوا لثانية وفكروا بجانيس جوبلن. شكراً لإصغائكم. ■

الجميع يحدّق بي فيما أجلس على مقعدي. لا يسعني قراءة ردود فعلهم. هل أعجبهم خطابي أم أنني سألقى العقاب بعد الصف؟

قالت السيدة آدامز: "جودي، كان ذلك رائعاً وممتازاً. هل من تعليق أيها الطلاب؟".

لم يرفع أحد يده. أسمع صدى الضحكات في الصفوف الخلفية. أود أن أزحف تحت مكتبي وأختفي. تسلمني المشجعة التي تجلس بالقرب مني ورقة تحمل ملاحظة. أفتحها بتردد.

أنتِ فاشلة أيتها الساقطة

رؤية هذه الكلمات المكتوبة بالحبر الأسود السميك تعيد كل المخاوف القديمة. إنّ أصوات مألوفة من صف القواعد تهاجم ذاكرتي. أستطيع سماعها تنشد مراراً وتكراراً في باحة المدرسة. نكرهك جميعاً أيتها المجنونة.

تباً لهم جميعاً آنذاك والآن! لم أرتكب أي خطأ. على الرغم من أنني أحاول أن أبقى جريئة وقوية من الخارج، إلا أنني محبطة من الداخل. غبية، غبية، غبية! كان يجب أن تتبعي حدسك وتلقي خطاباً سيئاً أو على الأقل تتحدثي عن موضوع حيادي.

وأخيراً، يرنّ الجرس وتنتهي الحصة الأولى. أجمع كتبي. وفيما أهمّ بالخروج، توقفني السيدة آدامز. تسألني بحماس: "ما رأيك بالانضمام إلى مجموعة الإلقاء؟ سنحب وجودك معنا. هناك فقط بعض الأشخاص ولكنك ستستمتعين بوقتك وستتعلمين الكثير".

"بالطبع سأنضم إلى المجموعة"، أجيبها مانحةً نفسي الشعور بالأمل من جديد.

"سيكون التمرين كل ليلة أربعاء في المسرح الصغير".

"سأكون هناك!".

وفيما أتجه نحو حصتي التالية، أسمع أحداً يناديني باسمي. ينادي صوت أنثوي: "جودي، انتظري". أستدير وأرى إحدى الفتيات من صف الإلقاء تقترب مني. سمينة وذات شعر ليفي، تبدو وكأنها مثقلة بالأعباء. إلا أن عينيها الحزينتين اللتين تظهر تحتهما ظلال عميقة تتمتعان بلون أخضر أخاذ لم أرَ مثيلاً له قبلاً. إنهما يبدوان كالزمرد.

"مرحباً، أنا نورين"، تقول بنعومة مثل أحمق طُرد عدة مرات ويتوقع أن يُرفض الآن.

"مرحباً، بالمناسبة، عيناك رائعتا الجمال. ستبرزين جمالهما بشكل أفضل إنْ وضعتِ المكياج"، أقول لها ممتنة للطافتها.

تحرك مشاعري تعابير وجهها. تتململ غير متأكدة من ردّها على إطرائي. فتهمس قائلةً: "حقاً؟، شكراً. لم أضع مكياجاً قط. لا يبدو الأمر ذا أهمية فلا أحد يهتم كيف أبدو على أي حال". تبدو مرتاحةً لتكلمها مع أحد ما ومحرجة لما أفضت به للتو.

أسألها: "أتودين الذهاب إلى المركز التجاري؟ يمكننا الذهاب إلى متجر مارشال فيلد واختبار مستحضرات التجميل".

فتنظر إليّ بارتباك قائلة: "رائع، سيكون ذلك عظيماً. بالمناسبة، أردتُ إخبارك بأنني أعتقد أن خطابك كان مذهلاً. كنتِ تتكلمين عني".

أجيبها: "كلا، كنتُ أتكلم عنا نحن الاثنتين".

بعد تأكيدنا على خطة الذهاب للتسوق يوم الجمعة بعد المدرسة،

نتبادل أرقام الهاتف ونتجه نحو حصتنا التالية. أقوم بتوقف سريع في المغسلة. أنكمش خوفاً فيما أفتح الباب وأدخل. يعبق الحمام برائحة دخان السجائر. ما من نوافذ في الداخل والتهوئة ضعيفة ولا يوجد منفذ للدخان، لذا من الواضح أنه يحوم تحت الأضواء اللاصفة ويحرق عينيّ.

أسحب علبة المستحضرات من حقيبتي وأجدد مكياج وجهي بسرعة. وفيما أهمّ بالخروج، تدخل مجموعة من الفتيات. يبدون بحالة رائعة. إنهن مرتديات الجينز الضيق وشعرهن مصفف بشكل رائع ومكياجهن موضوع بإتقان ويتبادلنَ الأسرار الحميمة عن الجنس والفتيان والأحلام الرومنسية عن نجوم الروك. أصغي إليهن بذهول منجذبةً إلى حديثهن وتواقة لمشاطرتهن إياه. أتوانى مدّعيةً أنني أبحث في حقيبة كتبي عن ملمّع الشفاه. فقد تبدأ إحداهن بالتحدث إليّ أو سأجد الشجاعة للتكلم معهنّ.

إحدى الفتيات، شارون، وهي شقراء طويلة القامة معروفة بحزمها وجرأتها، تشاركني حصة التاريخ. وهي أصلاً أكثر الفتيات شعبية في السنة الأولى من المرحلة الثانوية. في مدرسة الأحداث العالية، أراد الجميع أن يكون مثلها. ومعظم زملائها هم في ساموليلز الآن فزادت شعبيتها. ها هي تقترب مني.

تسألني بصوت متسم بالحذر: "مرحباً، أنت جودي أليس كذلك؟".

"أجل، جودي بلانكو"، أجيب محاولةً المحافظة على رباطة جأشي. فمجموعة شارون مهمة. أعلم أنها تختبرني وأشعر بالتوتر. لا أريد أن أقترف أي خطأ. أود أن تحبني تلك الفتيات.

تقول: "أنت معي في حصة التاريخ".

فأجيب: "نعم، الحصة الرابعة".

تسأل: "في أي مدرسة كنت؟".

"كنتُ في نورثويست. ألم تكوني في نورثويست؟" أسألها بلا مبالاة عاقدة الحزم على عدم السماح لها باكتشاف أنني أعرف مَن تكون والأسوأ أنها تخوّفني.

تجيب: "نعم، كانت مدرسة نورثويست رائعة جداً". ثم، تسحب علبة مارلبورو من جيبها، وتولّع سيجارة وتبدأ تنفخ الدخان على شكل دوائر على المرآة. وسرعان ما حذت صديقاتها حذوها. تمرّر إحداهن لي سيجارتها فأشعر بالانزعاج. لقد فتحنَ باباً لمصادقتي ولا أريد إغلاقه الآن ولكنني لم أدخن قط. أشمئز من مجرد التفكير بالتدخين ولكن إنْ رفضت، ألن يهدد ذلك فرص تقبّلي؟

فأقول مسرورة بسرعة بديهتي: "ربما أكون مصابة بالزكام ولا أريدكن أن تصبنَ بالمرض".

تجيب شارون: "لا بأس". يرنّ الجرس. "إلى اللقاء"، تقول وهي تنطلق مسرعة مع صديقاتها إلى حصتهن التالية. أتنفس الصعداء والراحة تغمرني.

تشارف فترة بعد الظهر على النهاية وأشعر بحال جيدة. ستكون المرحلة الثانوية جيدة. ما زال هناك حصة واحدة اليوم وهي حصة علم الأحياء. ومعلمة هذه المادة هي الآنسة راين وهي امرأة طيبة القلب. وتتلألأ عيناها عندما تبتسم. وتبتهج لرؤيتنا مجتمعين في المختبر. من الواضح أنها معلمة تعشق مهنتها. أتعرف على عدة وجوه مألوفة من مدرسة الأحداث

العالية فيما نستقر في مقاعدنا. لا يسعني التنفس. "سأبدأ بمناداة الأسماء"، تقول الآنسة راين ببهجة: يجب أن لا يبدأ الكابوس من جديد.

تايلر، الذي يجلس أمامي، يستقل الباص ذاته الذي أستقله. كما أنني رأيته بصحبة بعض فتيان حيّنا. إنني مفتونة به. تمرّ الآنسة راين بالقرب من مكتبي وتطلب مني أن أسحب اسم شريكي في المختبر من المرطبان. فأدعوا ربي قائلةً: "أرجوك يا رب، ليكن اسم تايلر". أغمض عينيّ وأتمنى ذلك بكل جوارحي فيما أسلّم الورقة التي اخترتها إلى الآنسة راين.

وإذا بها تعلن: "جولي، ستكونين شريكة جودي في المختبر لهذا الفصل". فأخذتُ أواسي نفسي قائلةً: "لا بأس". على الأقل، سيبقى تايلر جالساً مباشرة أمامي طيلة السنة.

تايلر الذي يعتبر شخصاً مستقلاً، يكره السلطة مما يثير غضب الأساتذة ولكن يثير إعجاب الفتيات. إنه يرتدي زيه النموذجي، زي المرتدّين: جينز لونه باهت وقميص قصير الكمين وقبعة رعاة البقر باللون الأسود الباهت وحذاء رعاة البقر أسود اللون بالإضافة إلى سترة جلدية سوداء. عقد الأساتذة اتفاقاً ضمنياً مع تايلر يقضي بالسماح له بارتداء ما يرغب فيه شرط ألا يثير الفوضى في الصف. إنه يتميز بطاقة جنسية قوية بعينيه البنيتين وشعره الطويل. أحلم به ولكنني أخشاه في الوقت عينه. سيتجذر خوفي وهو نوع من الخوف الذي اختبرته للمرة الأولى عندما كنتُ في العاشرة من العمر وفي الصف الرابع.



الفصل الثالث

أحلام ضائعة

الصف الرابع

كانت الخالة إيفي، شقيقة جدتي وعرابتي، تراقبني ذلك الصباح. كان عيد ميلادي التاسع وأرادت أن يكون كل شيء ممتازاً. كانت وجدتي تهتمان بالمنزل فرتّبتا المكان وغرزتا الشموع بحذر في قالب الحلوى الكبير من الفانيلا الذي صنعته أمي في الليلة الماضية وزينتا المطبخ وغرفة الطعام بالبالونات والخيوط المزخرفة الملونة مما أوجد جواً مبهجاً من الألوان والصور.

كانت الخالة إيفي امرأة ضخمة ذات ذراعين كبيرتين ناعمتين ومعدة ممتلئة. غالباً ما كنت ألتف حولها وأضع رأسي على معدتها وأصغي بذهول إلى "قصص الجواسيس". لطالما أحببت قصة "الجواسيس الثلاثة" وكنت أشاهد السلسلة على التلفاز. كانت إيفي تختلق المغامرات ممثلة أدوار مو ولاري وكرلي. من المدهش كيف كانت تجيد حبكة تلك الروايات التلقائية. فيما كانت تلفّق تلك القصص الرائعة حول الشخصيات التلفزيونية المفضلة لدي، مرّت بلطف يدها على جبيني منتظرة أن يغلبني النعاس. كانت هي وأخواتها وجدتي من جهة أمي يتكفلنَ بحمايتي كما أنهن كنّ مرافقاتي. علمنني كيف ألعب البوكر وأجذف وأقذف النردين وأربح في لعبة البينغو. يبدو إرشاداً غريباً لطفلة ولكن من الواضح أنهن أحببنني كثيراً.

ذلك الصباح، أتت جدتي وإيفي وسبع من خالاتي للمساعدة في عيد ميلادي. كنتُ أشعر بحماس شديد. سيصل زملائي في الصف في غضون ساعتين.

على الرغم من أن خالاتي يكبرنَ أمي بجيل إلا أنهن أكثر مرحاً منها. كانت أمي جدية في معظم الوقت بينما خالاتي كنّ غريبات الأطوار وممتعات. عندما كانت جدتي شابة، كانت هي وأخواتها يشربن الكولا في نوادٍ ويخرجنَ بصحبة مجازفين ومهرّبين. وتطورنَ مع تقدمهن في السن. لقد غذّينَ جانبي السخيف اللعوب.

نادت جدتي من المطبخ: "جودي، دعيني أربط شعرك مثل ذيل الفرس".

"حسناً، إنني آتية"، أجبتها وأنا أنزل السلالم من غرفتي.

فحذرتني إيفي قائلةً: "لا تركضي وإلا ستتعثرين وتقعين".

أجابت الخالة جوودي: "بربك إيف، ليست الفتاة بدمية".

هكذا كان الجو ذلك اليوم. كلّ من جدتي وخالاتي كنّ يظهرنَ شغفهن بصاحبة العيد على طريقتهن الخاصة.

فيما كانت جدتي تسرح شعري، سمعت صوت الباب الخلفي وهو يفتح وحفيف أكياس التسوق وقرقعة حذاء أمي على أرض المطبخ.

سألتُ أمي محاولةً إخفاء خيبة أملي: "أمي، لِمَ لا يستطيع أبي أن يكون هنا؟ أما كان باستطاعته العودة من رحلته البارحة؟".

فقالت وهي تطمئنني: "عزيزتي، تعرفين أن أباك يحبك من كل قلبه ولكنه في اليابان في رحلة عمل. جميعنا معك اليوم. سيعود إلى المنزل الأسبوع القادم".

"حسناً"، قلتُ مجنّدة ما استطعت من حماس. مع أنني كنتُ أعلم جيداً أن والدي كان بعيداً عنا، إلا أنني استمريت في النظر عبر النافذة الأمامية لربما فاجأني بحضوره. كلّ مرة كنتُ أختلس النظر عبر ستائر غرفة الجلوس، كانت والدتي وخالاتي يظنن أنني متحمسة لتبدأ الحفلة ولأرى إنْ كلن أصدقائي قد أتوا.

ربما كانت جدتي وخالاتي ملاذي الوحيد ولكن كان أبي بمثابة الجناح الذي يحميني. جعلني أؤمن بأن لا شيء مستحيل؛ ويمكنني تحقيق أي شيء إنْ بذلت جهداً. كان يعلم ذلك. فقد وُلد من طبقة فقيرة في نيويورك وترعرع فيها. وكان والداه اللذان توفيا قبل سنوات من ولادتي يملكان متجراً صغيراً لبيع السيجار. عندما بلغ والدي السادسة عشرة من العمر، كان وحيداً يعمل ثماني عشرة ساعة يومياً في بريد مؤسسة شحن عالمية كبيرة. في غضون خمس سنوات، أصبح نائب الرئيس الأدنى. أسر والدي الناس بشخصيته. إنه طويل القامة وذو بشرة داكنة ويتمتع بشعر أسود وعينين بنيتي اللون. أحبّته النساء والتمس الرجال صداقته. وكان يعلم كيف يجعل المرء يشعر بأنه أهم شخص بالنسبة إليه. إنْ كان يشرب الكولا مع مفرّغي المراكب أو يحتفل مع المدراء التنفيذيين، كان والدي يرتاح وسط الناس مهما كانوا يفعلون أو مهما كانت هويتهم.

اشترى جهاز كاراوكي في إحدى رحلاته إلى اليابان قبل إنزاله في الأسواق الأميركية. كان مضيفاً كريماً وخلاقاً. لطالما ضجّ منزلنا بالفرح برفقة الأصدقاء وأفراد العائلة الذين يتهافتون باستمرار. عندما كان والدايّ يقيمان حفلة، كان والدي يستمتع جاعلاً كل مدعو يشعر كأنه مركز الانتباه. عشقت والدي. أستطيع دائماً التحدث إليه، فهو لم يحكم عليّ

أبداً. ربّاني أمي وأبي على مصارحتهما بأي مشاكل تواجهني وأخبراني بألا أخاف أبداً من الوثوق بهما مهما كانت الظروف. كلاهما تربى على الأسس والمبادئ الدينية فزرعا في داخلي إحساساً قوياً بالصواب والخطأ. علماني بأن أكون متسامحة وعطوفة وأتواصل مع الضعيف. كما أنهما شجعاني على التصرف باستقلالية وبالتحلي بتفكير مستقل.

كانت أمي تدعم أبي. فعلى الرغم من أنه بعيداً عن المنزل في رحلات عمل غالباً، إلا أنها نادراً ما كانت تتذمر. كذلك، كانت تعمل في مكتبه لبضعة أيام في الأسبوع كمساعدة. كان يربط والديّ زواجاً ناجحاً. أحبّ أصدقاؤهما التواجد معهما. فكأنهما كانا يشعان بالبريق وأراد الآخرون مشاركتهما إياه.

فيما انجلى الصباح معلناً حلول فترة بعد الظهر وبدأ يقترب موعد الحفلة، أدركت أن أبي لن يحضر لمفاجأتي كما كنتُ آمل. فواسيتُ نفسي قائلةً: "لا بأس، ستلتقط أمي الكثير من الصور ويمكنني أن أريه إياها في نهاية الأسبوع". رنّ جرس الباب فأيقظني من حلمي حول عودة أبي من اليابان.

"جودي، أصدقاؤك هنا"، نادت إيفي بصوت يملأه النغم فيما التقطت عدداً كبيراً من قبعات الحفلات وهرعت لتفتح الباب وتستقبل طلاب الصف الرابع.

"آتية"، صرختُ وقد بدأ تفكيري بأبي يتضاءل فيما استقبلت زملاء صفي المحمّلين بالهدايا.

كان نهاراً رائعاً. كانت خالاتي مبتهجات يحيط بهن الأولاد وهم يتناولون قطع الحلوى اللذيذة الموضوعة في الصحون الخاصة بالحفلات.

تسلينا كثيراً. تسلقت الخالة جوودي سلّماً لتعليق علبة سكاكر عملاقة. فحبست أمي أنفاسها خشية أن تقع الخالة جوودي المعروفة بتعجرفها عن أدراج السلّم المتمايلة في أي لحظة. كلما كان السلّم يهتز، كلما ضحكنا أكثر فأكثر. كان يوماً عظيماً.

.تناوبنا على محاولة كسر العلبة. في النهاية، نجح إيدي، الفتى المفضل لديّ في المدرسة، في تهشيمها بقوة لدرجة أن السكاكر انتشرت في أرجاء الغرفة. في غضون ثوانٍ، جاء الكلبان شوشو وتوبا مسرعين ملتهمين السكاكر التي تناثرت على أرض الغرفة. كان الجميع يضحك بقوة. وأخذت جدتي تلتقط الصور فيما حملت أمي كاميرا الفيديو وراحت تصوّرنا من كلّ زاوية محتملة.

علمت أمي أنني كنتُ وحيدة بما أنني كنتُ طفلتها الوحيدة. كانت مصممة على مساعدتي لإقامة عيد ميلاد رائع وشعرت بفرح عارم عندما وصل جميع أصدقائي. ولكن شيئاً كان يعكّر مزاجها خلال الحفلة. بدت بعيدة عنا. هكذا حال أمي، أحياناً تكون شغوفة ومحبوبة، وأحياناً أخرى قاسية وصارمة. أظن أنه كان من الصعب عليها أن ترزق بطفلة واحدة فقط. كنتُ بمثابة راشدة صغيرة بالنسبة إليها.

بدت أمي جميلة ذاك اليوم. لفتت الأنظار أينما ذهبت بشعرها الأجعد الحالك وعينيها العسليتين الأخاذتين. إنها تعتقد أن المرأة يجب أن تهتم دائماً بمظهرها وعلمتني كيف يكون احترام الذات. غالباً ما باح لي أصدقائي بأنهم يتمنون لو كانت أمهاتهم يتمتعنَ بجمال أمي. أحياناً أتمنى لو أن أمي لم تدرك مدى جمالها. فقد طاردتني تلك الفكرة لسنوات عديدة.

كان جميع أصدقائي يتمتعون بأوقاتهم. شعرت بالأمان والسعادة. فقد حضر كل زملائي في المدرسة لأنهم أرادوا الاحتفال معي بعيد ميلادي...

***

كنت ذا شعبية تلك السنة. فقد كان الأولاد يتشاجرون في المدرسة للجلوس بقربي. كنا نتشاطر الأسرار. حتى إننا اختلقنا لغة خاصة بنا كنا نتكلمها كي لا يفهم البالغون ما كنا نقوله لبعضنا البعض. كانت السيدة ستانس، باركها الرب، والتي علمتنا في الصف الرابع، صبورة جداً معنا. كانت المدرسة حلماً جميلاً. فقد تمتعت في المشاركة في الصف. اعتقد زملائي بأنني ذكية وأتحلى بالحكمة. كانوا يمتثلون بي.

ارتدتُ مدرسة الارتقاء وهي مدرسة لتعليم القواعد حيث معظم المعلمات متعبّدات لله. كانت المعلمة روز المفضلة لديّ، وهي امرأة لطيفة ورؤوفة في أواخر الستينات من عمرها تعاملنا بدفء وحنان. كما أن أمي أحبتها كثيراً. كانت ترسل إليها دائماً هدايا صغيرة لتعلمها مدى تقديرها لها.

كانت مدرستي تضم برنامجاً خاصاً للصمّ وقد تسجلت فيه ماريان، إحدى الفتيات الصغيرات التي أثرت بي عندما كنت أمر بقربها في الرواق. في الخامسة من العمر، عانت تشوهاً خلقياً في القدم فكان عليها ارتداء أحذية سوداء ثقيلة غريبة الشكل موصى عليها خصيصاً ليلائم تشوهها. بالإضافة إلى إصابتها بالصمم التام، كان نظرها ضعيفاً فوضعت نظارات سميكة بدت ضخمة على وجهها الصغير. وكان بعض الطلاب الأكبر سناً يسخر منها لأنها كانت ترتدي دائماً ملابس مستعملة رثة. سخروا من

طريقتها في المشي ومحاولاتها للتكلم. وعلى الرغم من أنها تبلغ الخامسة من العمر وتصغرني بأربع سنوات فقط، شعرتُ بغريزة الأمومة تجاهها. أردتُ أن أحيطها بذراعيّ وأُشعرها بالحنان. إنها تملك أجمل ابتسامة رأيتها في حياتي.

طلبت من المعلمة روز الإذن للتطوع كمساعدة في برنامج الصمّ خلال ساعة الغداء. فوافقت على الفور. كل يوم، كنت ألعب مع هؤلاء الأطفال المميزين وأساعد المعلمة كلارا الشابة، والتي تتميز بالبراءة الملائكية والمسؤولة عن البرنامج، على تعليمهم كيفية قراءة الشفاه. كنت أتكلم معهم فيحاولون تشفير ما أقوله. أحببتُ ماريان بشغف. فقد بدت وحيدة جداً في هذا العالم. حتى بعض الأولاد الصمّ كانوا يسخرون منها.

بعد ظهيرة ذات يوم، طلبت من المعلمة كلارا أن تسمح لي باصطحاب ماريان إلى منزلي. فرجوتها قائلةً: "أرجوك أيتها المعلمة. قالت أمي إنها ستتصل بوالدتها لتأخذ موافقتها ثم ستذهب لاصطحابها وبعد ذلك إعادتها إلى منزلها. أرجوك!".

"سيتوجب عليّ الاتصال بوالدتها أولاً"، أجابت المعلمة كلارا متوجهةً نحو مكتبها لإجراء الاتصال. بعد مرور لحظات، عادت مبتسمة. "لقد سُوّي الأمر. حصلتُ على عنوان منزلها. سيكون رائعاً إنْ استطعتِ وأمك اصطحابها يوم السبت عند الساعة الحادية عشرة". كنتُ متحمسة بشدة.

في صباح يوم السبت، استيقظت وانتهيت من ارتداء ملابسي عند الساعة السادسة وحرصت على إيقاظ الجميع أيضاً. كانت أمي تتطلع للقاء ماريان. سألتها: "أمي، أين تسكن؟ هل منزلها بعيد عنا؟".

فأجابت: "نعم يا عزيزتي، إنه يبعد حوالى الأربعين دقيقة". وفيما كنّا نقترب من الحي الذي تسكن فيه ماريان، بدأت ألاحظ أن المنازل بدت مهملة.

"أمي، ما الخطب، لِمَ تتسم هذه المنازل بالحزن؟" سألتها غير مدركة لِمَ طلاء بعضها مقشور وأسيجتها مكسورة.

فقالت بحزن شديد: "جودي، إنّ الناس الذين يعيشون في هذا الجوار أقل حظوةً منا. فهم لا يملكون المال. يمكنك أن تصلي لهم سائلة الرب أن يمنحهم القوة والفرصة الجيدة".

وأخيراً، توقفنا بالقرب من منزل ماريان المؤلف من طابق واحد. على الرغم من أنه بحاجة إلى التصليح، إلا أن الباحة كانت مرتبة بعناية. يمكن ملاحظة أن عائلة ماريان تتمتع بالكرامة واحترام الذات برغم فقرها.

فيما اقتربنا من الشرفة، أطلت علينا امرأة شابة ممتلئة الجسم ذات شعر أشقر وعينين تتسمان باللطف وفتحت الباب الأمامي مبتسمةً وقالت بعينين مغرورقتين بالدموع: "مرحباً! أنا شيري، والدة ماريان. لا يسعني أن أشكركما بما يكفي لدعوتها لقضاء النهار في منزلكما. أقلق كثيراً لأنها تشعر بالوحدة كما أنني مشغولة برعاية مولودي الجديد فلا أستطيع منحها الانتباه الكافي. إنها خجولة وتواجه مصاعب في التعرف على أصدقاء في برنامج الصمّ في المدرسة. وهذه هي المرة الأولى التي يدعوها أحد ما لتمضية الوقت معها".

فأجابت أمي: "جودي تحب ابنتك كثيراً شيري. كنتُ أتطلع للقائها".

"شكراً لكما. أرجوكما أدخلا وتفضلا بالجلوس".

كان داخل المنزل نظيفاً مثل الحديقة.

وعلى الرغم من أن الأثاث بدا قديماً ورثاً وغرفة المعيشة مزينة بشكل بسيط، إلا أنه نظيف ومرتّب. كان من الواضح أن ماريان أتت من عائلة تفتخر بالقليل الذي تملكه ولا تخجل من ظروفها المحدودة.

أمضيتُ وماريان وقتاً رائعاً معاً. فقد اصطحبتنا أمي لتناول البيتزا وإلى الحديقة العامة حيث لعبنا لساعات. اعتبرت ماريان الشقيقة الصغرى التي لطالما حلمتُ بها. احتاجت إليّ كما احتجتُ إليها. لقد أحببتُ أن ألعب دور الشقيقة الكبرى لها وأعتني بها. كان الأطفال الباقون في الحديقة يحدقون بنا. فعندما تجاوزناهم بالقرب من الأراجيح، تراجعوا وكأنهم شعروا بالخوف. لم ترد أمي أن تحرج ماريان وتحرجني أو تثير المشاكل لذا أمسكت بأيدينا وركبنا السيارة ورحلنا.

سألتُ أمي في طريقنا نحو المنزل: "أمي، لِمَ تصرف هؤلاء الأولاد في الحديقة بهذه الطريقة؟".

فشرحت لي والدتي وهي تتكلم ببطء لتحرص على أن أفهم كل كلمة تقولها: "أحياناً، يخاف الناس من الأشخاص المختلفين عنهم. لا يعني ذلك أنهم أناس سيئون ولكنهم ضيقو التفكير وحسب. تعلّمي أن تتجاهليهم. إنّ ماريان صديقتك ولا تدعي أحداً يحرمك منها".

"أعلم يا أمي"، أجبتها متأملةً أن أمحو ذكرى هذه الحادثة.

في صباح يوم الاثنين فيما هرعتُ إلى صف المعلمة روز، أوقفتني صديقتي الحميمة، جو إلين، في الرواق وقالت لي بنبرة اتهامية: "سمعتُ أنك كنتِ تلعبين مع المتخلفة عقلياً. رأتك شقيقتي بالقرب من الأراجيح".

فأجبتها: "ماريان ليست متخلفة عقلياً، إنها تعاني من إعاقة جسدية وحسب".

ردت الفتاة التي لطالما اعتبرتها نصفي الآخر: "إنْ لعبتِ معها فلن نلعب معك بعد الآن. إنّ ماريان مخيفة. وإنْ أمضيت وقتاً معها تكونين مخيفة أيضاً".

أخذتُ إنذار جو إلين بعين الاعتبار. كانت صديقتي المقرّبة وكنا نفعل كل شيء معاً. هل كان يستحق الأمر أن أترك جو إلين من أجل ماريان؟ فلن أستطيع التكلم مع هذه الأخيرة كما أتكلم مع جو إلين. إنها أصغر سناً مني كما أنه من الصعب التواصل معها بسبب صممها. لقد كانت شقيقتي الصغيرة المزعومة ولكنني ما أزال أحتاج إلى صديقة مقربة حقيقية. كيف يمكنني أن أواجه المدرسة بدون صديقة؟

فقلت لها: "حسناً جو إلين. لن ألعب مع ماريان بعد الآن. أرجوك ابقي صديقتي المقرّبة". علمت من نظرة الانتصار التي ارتسمت على وجهها أنني استعدتُ صداقتها. ولكنني قلقتُ على ما سيرتسم على وجه ماريان. كيف سيسعني النظر في عيني تلك الفتاة الصغيرة وإخبارها بعدم استطاعتي تمضية الوقت معها بعد الآن؟ أقنعتُ نفسي قائلةً: "لا خيار لديّ".

في فترة بعد ظهر ذلك اليوم، أخبرتُ المعلمة كلارا بأنني لا أستطيع أن أكون متطوعة.

كذبتُ قائلةً: "تريدني أمي أن أعود إلى المنزل في فترة الغداء. وتعتقد أنه من المضرّ ألا أحصل على استراحة طيلة اليوم".

"لا بأس جودي، أتفهم الأمر"، أجابت المعلمة كلارا بصوت تملأه الخيبة ثم أضافت: "يفتقدك الأولاد وخاصةً ماريان. لقد تعلّقت بك كثيراً".

فقلت لها بصوت تخنقه الغصة: "آسفة أيتها المعلمة ولكن أمي لن تسمح لي". عند انتهاء هذا الحديث، خرجتُ من الصف مسرعةً. ولاحظتُ وجود ماريان في آخر الرواق عائدةً من فترة الاستراحة. رأتني وابتسمت فاتجهت نحوي. تظاهرتُ بعدم رؤيتها وهرعتُ باتجاه الطرف الآخر من الرواق. تمنيتُ الموت. كيف أمكنني القيام بذلك؟ ما الذي أصابني؟ تجنبتُ لأسابيع الاقتراب من جناح المدرسة الخاص بالصمّ. شعرتُ بالعار الشديد لإخبار أمي بما فعلتُ ولم أرد المعلمة كلارا أن تعلم أنني كنت قد كذبت عليها. فكان الاختباء الحلّ الوحيد. في فترة الغداء من كل يوم، كنتُ أدخل خلسةً إلى حمام الفتيات وأختبئ خلف الحجيرات. كان ذلك نذيراً بالأحداث التالية.

وذات يوم عند عودتي من المدرسة، كان أمي وأبي ينتظرانني في غرفة الجلوس. ما كان أبي ليعود إلى المنزل أبداً خلال النهار إلا إذا وقع خطب ما.

قالت أمي بصوت رتيب: "اتصلت المعلمة كلارا وطلبت مني إعادة النظر في قراري بعدم السماح لك بالتطوع خلال ساعة الغداء. لم تأتِ إلى المنزل عند الغداء ومن الواضح أنك لم تمضي هذه الساعة في التطوع. جودي، ما الذي يجري؟ أنا وأبوك قلقان".

لم أستطع الكذب على والديّ. لقد نطقتُ بالحقيقة فوراً. شرحتُ لهما ما حدث بيني وبين جو إلين وكيف أُرغمتُ على اتخاذ قرار رهيب. بالكاد استطعتُ لفظ الكلمات لأنني كنتُ أبكي بقوة. اتجه أبي نحوي وأخذني بين ذراعيه.

عاتبني بلطف قائلاً: "جودي، ما فعلته خطأ. لقد آذيتِ ماريان ونفسك لتسمحي لأحد بتصغيرك. تصرفت جو إلين بأنانية وبقسوة وكان يجب أن تواجهيها بجرأة". وسألني بصرامة: "علمتِ أن ما طلبته منك كان خطأ، أليس كذلك؟".

فأجبته: "نعم يا أبي، شعرتُ بحال سيئة ولكنني لم أرد أن أخسر صديقتي المقرّبة". شعرتُ بالعار من نفسي وأيضاً بالراحة لأنني لم أطمس الحقيقة.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، اصطحبني والدايّ إلى مكتب المعلمة كلارا. أخبراها بأن لديّ أمراً مهماً لإطلاعها عليه. قلتُ للمعلمة كلارا ما جرى فاستمعت إليّ بفارغ الصبر.

قلتُ باكيةً: "آسفة جداً أيتها المعلمة". "هل يمكنني التطوع مجدداً؟" رجوتها خائفةً من أن تطلب مني الخروج وعدم العودة. ولكنها حضنتني ثم شكرت والدايّ.

قالت مبتسمةً: "أعتقد أن هناك فتاة صغيرة ستسعد كثيراً لرؤيتك غداً في فترة الغداء".

في اليوم التالي، عدتُ إلى صف المعلمة كلارا في فترة الغداء. عندما رأتني ماريان، هرعت إليّ مبتسمة ابتسامة عريضة. همستُ قائلةً: "ماريان، أنا آسفة جداً". فأمسكت بيدي وشدتني نحو اللوح حيث كانت ترسم زهرة. قلت لها: "إنها جميلة جداً". ابتسمت للإطراء ثم لفت ذراعيها حولي وشدّت. كانت تلك المرة الأولى التي أشعر فيها بحال جيدة منذ أن التقيت بجو إلين في الرواق.

مع مرور الأسابيع، بدت الأمور أنها عادت إلى سابق عهدها. حتى إن جو إلين عادت إلى طبيعتها. فذات يوم، بدأت بالتحدث معي مجدداً خلال الاستراحة. ولكن أعتقد أنها كانت فقط تحاول أن تكون لطيفة لأن والديها أرغماها على ذلك. فقد اتصلت أمي بهما وشرحت لهما ما جرى بيني وبين جو إلين. استاءا لسلوك ابنتهما وشجعاها على اللعب معي. طمأنت نفسي قائلةً: "على الأقل لم تعد تكرهني. ما الفرق إنْ اتخذ والداها هذا القرار بالنيابة عنها؟

مع توالي أيام المدرسة، أصبحت أمضي وقتاً أقل مع جو إلين إلى أن افترقنا تدريجياً. افتقدت أن يكون لدي صديقة حميمة لمشاطرتها كل شيء، لذا ركزتُ حبي واهتمامي على ماريان وباقي الأولاد في برنامج الصمّ. كانوا يجدون الفرح في الأماكن التي ما كان ليلتفت إليها الأولاد الأصحاء.

تلك السنة، أمضيتُ معظم عطلتي الصيفية مع أنسبائي في الريف. كانوا يكبرونني ببضع سنوات ولكنهم أشركوني في ألعابهم غير ممانعين إنْ انضممتُ إليهم لأنني كنت أكثر نضجاً من سنّي. ومع اقتراب نهاية شهر آب، كنتُ متحمسة للعودة إلى المدرسة. كان عليّ إيجاد صديقة مقرّبة جديدة تحتضن ماريان وباقي الأولاد في البرنامج الخاص بهم.

بدأ الصف الخامس حاملاً معه الوعود. لقد دُعيت إلى حفلتين راقصتين في الأسبوع الأول! وخلال الاستراحة أرادت الفتاتان الأكثر شعبية في المدرسة أن أشاركهما اللعب في فريقهما كما رافقني غريغ، أوسم فتى في الصف، إلى صف الرياضيات. فقلتُ بنفسي بثقة تامة: "ستكون أفضل سنة على الإطلاق". كان الجزء الأروع أنه لم يعد أحد يضايقني لتطوعي في برنامج الصمّ. حتى إن فتاتين في الصف أخبرتاني أنه

من الجيد أنني أتمتع بما أقوم به.

مع اقتراب عيد الشكر، كنتُ أشعر بالسعادة العارمة. فقد خضعتُ لتجربة أداء لمجموعة تمثيلية للصغار تُدعى "بيت بلايرز" وتم اختياري للعب دور دوروثي في المسرحية الضخمة الساحر أوز. سيحضر جميع طلاب المدرسة المسرحية فشعرتُ بالإثارة وبالكاد استطعت النظر بشكل مستقيم. كان كلّ يوم يخبئ مغامرة جديدة. بدا كل شيء رائعاً لذا ما كان لأحد أن يتوقع ما سيحدث.

بعد ظهر يوم، راحت مجموعة من زملاء صفي تضايق بعض الأطفال الصمّ. كانوا يطلقون عليهم أسماء رهيبة ويسخرون من إعاقتهم. وبدأوا يغنون: "متخلفون عقلياً، متخلفون عقلياً، جميعنا نكره المتخلفين عقلياً".

"أرجوكم توقفوا، فهم لا يستطيعون سماعكم على كل حال"، قلت لهم محاولةً استخدام المنطق معهم.

فاستمروا في القول: "متخلفون عقلياً، متخلفون عقلياً، حتى الرب يكره المتخلفين عقلياً".

صرختُ قائلةً: "كفوا عن ذلك! دعوهم وشأنهم. لم يفعلوا شيئاً قط لإيذائكم".

لم ينفع الأمر. كانت جو إلين مَن يشجعهم على ذلك ولم أتمكن من إيقاف أحد منهم. كلما حاولت أكثر، كلما تصرفوا بوضاعة أكثر. نظروا إليّ وكأنني خنتهم. كانت عيونهم تتساءل كيف تجرأتُ على الدفاع عن المتخلفين عقلياً؟ بعد ذلك مباشرةً رأيت المعلمة كلارا تركض باتجاهنا

حاملةً بيدها المسطرة لمعاقبة المذنب. تفرّق الجميع وأيضاً جو إلين في الرواق. وكان العديد من الأطفال الصمّ يئنون بالقرب من باب صفهم خائفين ومرتبكين.

"ماذا جرى هنا؟" سألت المعلمة كلارا غاضبةً ومتوترة بشكل ملحوظ. "جودي، مَن البادئ؟".

"لا أعلم أيتها المعلمة"، قلت لها مطأطأة الرأس ومحاولة إخفاء خجلي.

"آنسة بلانكو، لا تحاولي أن تخدعيني"، قالت بنبرة صارمة لم أسمعها قط من هذه المعلمة اللطيفة. "أريد أن أعرف مَن المسؤول عن إثارة هذه المتاعب وأعرف أنك شهدتِ ذلك".

لم أرد أن أشي بزملاء صفي ولكنني لم أحتمل الكذب على المعلمة كلارا مجدداً. يستحق هؤلاء الأولاد اللطفاء أكثر من ذلك وكان عليّ أن أقوم بما هو صواب هذه المرة.

فاعترفتُ قائلةً: "جو إلين وغريغ هما البادئان".

"أشكرك جودي. أعلم أنه كان من الصعب عليك أن تكوني صريحة حيال ذلك ولكنك قمتِ بأمر مشرّف وأنا فخورة بك".

في اليوم التالي، انتشر في المدرسة كلها خبر وشايتي بجو إلين وغريغ. فصلهما المدير لأسبوع كامل. لم يعد أحد يتكلم معي فأصبتُ بالكرب. الجميع تجاهلني خلال الاستراحة. وفي وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم، وجدتُ طعاماً فاسداً من سلة المهملات محشواً داخل حقيبة كتبي.

على الأقل هناك المسرحية التي أتطلع إلى إتقان لعب دوري فيها.

تمتعت في أوقات التدريب وتأقلمت جيداً مع باقي الأولاد في مجموعة التمثيل. فقلتُ لنفسي: "ليست الأمور بهذا السوء". قال أبي إنني أظهرتُ قوة شخصيتي. ما عدد الطلاب في الصف الخامس الذين يتفاخرون بذلك؟ أعدتُ طمأنة نفسي قائلةً: "فوق ذلك إن الجميع سيشاهدونني في المسرحية وسينسون هذا الحدث الفظيع".

كنتُ أؤدي دوري نهار الأحد فيما كان التمرين مع الزي مساء الأربعاء. صباح يوم الجمعة، أصدرت الجريدة المحلية مقالة حول افتتاح مسرحية "البيت بلايرز" في نهاية الأسبوع. وقد طبعوا صورة كاملة لي وقد التقطوها خلال التمرين على ارتداء الزي. مع بلوغ منتصف بعد الظهر، كان الجميع قد قرأ المقالة التي أثارت إعجابهم. لم تغطي الجريدة قط خبراً يشمل أشخاصاً بأعمارنا. *ارجوك يا رب، تقول أمي إن الأمور تحدث بمشيئتك. أرجوك فلتكن مشيئتك أن يحبني أولاد المدرسة من جديد.*

في ذلك اليوم وعند انتهاء نهارنا الدراسي، اقتربت مني تيري صديقة جو إلين المقرّبة الجديدة وإحدى أكثر الفتيات شعبية في صفنا.

قالت: "رأيت صورتك في الجريدة، عجباً كيف يبدو الأمر؟".

"لا بأس به على ما أظن"، أجبتها محرجة وغير متأكدة مما أقوله.

فعرضت عليّ قائلةً: "سأقيم حفلة راقصة ليلة السبت وأنتِ مدعوة لحضورها إنْ أحببت المجيء".

وأخيراً! لقيتُ حظوة لدى أصدقائي. لقد سامحوني! "نعم، سأحضر بكل سرور"، قلتُ والراحة تغمرني. شعرتُ بالسعادة لدرجة أنني عدتُ إلى المنزل وأنا أطير فرحاً.

"أمي، خمّني ما حدث!" صرختُ منطلقةً بسرعة عبر الباب الخلفي وواضعةً حقيبة كتبي على منضدة المطبخ. قلتُ: "دعتني تيري لحضور حفلة راقصة ليلة السبت. لا يكرهونني بعد الآن. كم أنني متحمسة!".

أجابت أمي: "هذا رائع يا ملاكي". ثم شرحت قائلةً: "قلت لك إنهم سيتقبلونك. ولكن يا عزيزتي، لا يمكنك حضور تلك الحفلة الراقصة ليلة السبت. ستقام المسرحية بعد ظهر يوم الأحد. سيتوجب عليك الحضور إلى المسرح عند الساعة الثامنة صباحاً. جودي، لقد تدربت بجهد على هذه المسرحية. إنْ لم تحصلي على قسط وافر من النوم ليلة السبت، فكيف ستؤدين دورك؟ قد ينتهي بك الأمر في تخييب ظنك وخذلان باقي مجموعة التمثيل".

فقلت لها رادعةً الدموع من الانذراف: "أمي، كلا، أرجوك دعيني أذهب. إنْ قلتُ لتيري بأنني لست ذاهبة، سأضيع فرصتي في كسب صداقتها وصداقة الفتيات الأخريات مجدداً. لا يمكنك أن تفعلي بي ذلك!".

قالت: "جودي، أردت الخضوع لتجربة الأداء في مسرحية ساحر أوز. كان حلمك أن تكوني دوروثي. تحملين مسؤولية الآن، ولن أكون أماً صالحة إنْ سمحتُ لك بتجاهلها. اشرحي الظروف لتيري. سوف تتفهم الأمر".

رجوتها قائلةً: "كلا، لن تتفهم الأمر. لن أشعر بالتعب. أعدك بأنني لن أبقى مستيقظة طيلة الليل. أرجوك دعيني أذهب. أرجوك!".

فقالت بصرامة: "كلا، هذا جواب نهائي".

تلك الليلة، بكيت وبكيت فلم يكن ذلك عدلاً. كان أداء دور

دوروثي حلمي ولكن المدرسة ما زالت واقعي. كنتُ أتحول إلى منبوذة الصف وجاءت حفلة تيري الراقصة لتكون خلاصي. لِمَ لم تستطع أمي تفهّم ذلك؟ كان همّها الوحيد أنني قد أشعر بالتعب. ما الفرق الذي كان سيحدث؟ كانت المسرحية بعد ظهر يوم أما المدرسة فكانت كل يوم.

في صباح اليوم التالي، أخبرت تيري بأنني لن أستطيع حضور حفلتها. حاولت أن أشرح لها: "تيري، لن تسمح لي أمي بحضور الحفلة لأن المسرحية ستقام يوم الأحد".

فأجابت: "لا تريدين الحضور فقط لأنك تعتقدين أنك أفضل مني".

"كلا، هذا ليس صحيحاً"، اعترضتُ فيما شعرتُ بأن الوعد بصداقتها يفلت مني. "لستُ مهتمة بتلك المسرحية السخيفة ولا أعتقد أنني أفضل منك".

قالت تيري: "بلى تعتقدين ذلك. لست سوى مجرد ممثلة متكبرة. بالمناسبة، دعوتك فقط لأن أمي طلبت مني ذلك. لا أحد يريدك أن تأتي على كل حال". ثم، استدارت ومشت. شعرت بالإحباط.

صباح الأحد، حاولت نسيان ما حدث مع تيري فيما كنتُ أستعد للمسرحية. أحببت النشاط وراء الكواليس، والفوضى في غرف تبديل الملابس فيما كان يعتني الأهل بأزياء أولادهم، ورائحة المستحضرات التجميلية، وقرقعة دعامات الملابس وإعداد المسرح للتمثيل بشكل سريع. إنه العالم الذي أصبح البديل للحياة الاجتماعية.

كان والدايّ وراء الكواليس يشجعانني. فقال والدي: "حظاً موفقاً يا عزيزتي. هذا ما يقوله دائماً الممثلون المحترفون قبل أداء أدوارهم".

وذكّرتني أمي فيما كانت تثبّت ضفائري: "جودي، تذكري أن تقفي باستقامة". بدأت المخرجة السيدة بيت، وهي امرأة نشيطة في العقد الرابع من العمر اكتسبت الشهرة لعملها في مسرح الأطفال، بمرافقة الأهالي بلطف إلى خارج غرف تبديل الملابس.

"أمي، هل سيكون أي من طلاب المدرسة بين الحاضرين؟" سألتها بلا أمل.

"أردتُ أن أفاجئك ولكنني أستطيع إخبارك الآن"، قالت أمي وعيناها تلمعان. "اتصلت ببعض الأمهات. سيحضر جميع زملاء صفك".

"أمي، شكراً لك!".

كانت المسرحية ناجحة. كنتُ دوروثي لساعتين. خلال دعاء الستارة، عند الانحناء أمام الجمهور، صعد أبي إلى المسرح وقدم لي باقة جميلة من الأزهار. بدا وسيماً للغاية ذلك اليوم. بعدئذٍ، جاء كلّ من تيري وجو إلين وباقي الزملاء وراء الكواليس لتهنئتي. على الرغم من أنهم كانوا يبتسمون ويثنون على أدائي، إلا أنهم بدوا منزعجين وكأنهم كانوا مرغمين على تناول خضار لا يحبونه. تظاهرت بعدم ملاحظة ذلك. فقد عشت للتو حلم السنين في أداء دور دوروثي في ساحر أوز. ولكن داخلياً، شعرت بفراغ.

صباح يوم الاثنين في المدرسة، شكرتُ جو إلين وتيري لحضورهما المسرحية. "لقد عنى حضوركما لي الكثير"، قلت وأنا أتوق لكسب صداقتهما مجدداً.

قالت تيري: "كانت المسرحية ممتعة".

"أجل"، أضافت جو إلين.

فسألت تيري: "كيف استطعت حفظ دورك بأكمله؟".

"لم يكن الأمر بهذا السوء"، أجبتها. "تمرنت أمي معي كل يوم وبعد وقت قصير، علقت السطور في ذهني".

قالت تيري: "إلى اللقاء".

وقالت جو إلين: "نعم، إلى اللقاء". ربما أستطيع كسبهما مجدداً. إنهما تتكلمان معي من جديد.

كان تفاؤلي قصير الأمد. مع توالي الصف الخامس، بدأ الجو الاجتماعي في المدرسة يأخذ حيزاً دقيقاً ولكن أكثر عمقاً. فقد بدأ العديد من زملاء صفي بتشكيل مجموعات. كان أهم ما في الأمر قبولك في إحدى هذه المجموعات فتكونين إما مع المجموعة أو خارجها. وإنْ لم تكوني مشجعة أو رياضية، طالبة شرف أو فرداً من مجموعة "الأقوياء"، فقد تكونين غير مرئية.

كما أنني لاحظت تغييرات أخرى. بدلاً من تقدير المشاركة في الصف كما كنا نفعل في الصفوف الصغيرة، أصبح الآن هؤلاء الذين يرفعون أيديهم باستمرار للمشاركة موضع سخرية ومصنفين في خانة مدللي الأستاذ. كانت السخرية من الأشخاص حتى إنْ لم يرغب المرء بذلك الثمن الجديد الذي عليه دفعه لتتقبله المجموعة. كانت القواعد بسيطة. إما أن تسخر وإما أن تكون موضع سخرية. كلما كنت أكثر وضاعة مع "المنبوذين"، كلما أصبحت أكثر شعبية بالنسبة إلى باقي أفراد مجموعتك. وإنْ لم ترد الانضمام إلى المجموعة، تصبح "منبوذاً". إنّ الأولاد الذين لطالما

كانوا لطفاء وطيبين أصبحوا الآن أفظاظاً كي يثيروا إعجاب أصدقائهم.

سألني إيدي بعد ظهر يوم خلال الاستراحة: "لِم تستخدمين كلمات منمقة كهذه؟ فأنتِ لا تعلمين حتى معناها".

أحببتُ تعلّم كلمات جديدة وكنت أتمرن على استخدامها في المدرسة. لم يضايقني أحد قط حيال ذلك.

فأجبته: "أعلم أيضاً ما تعني".

"أنتِ كاذبة ومتكبرة. لِم لا ترتادين مدرسة مختلفة؟ لا أحد يحبك هنا".

كنتُ مفتونة بإيدي. "أرجوك لا تقل ذلك"، أجبته مخيبة الأمل متذكرةً كيف كسر علبة السكاكر في حفلة عيد مولدي التاسع وتمتعنا بوقتنا ذلك اليوم. سمعت من خلفي صوت قرقعة الأقدام على الأرض. فاستدرت وإذا بصديقيْ إيدي يتجهان نحونا. قال أحدهما: "إنها مجنونة".

فسأل الآخر: "أجل، إيدي لِمَ تتكلم مع المجنونة؟".

أجاب إيدي: "قلت لها أن ترتاد مدرسة أخرى لأننا نكرهها جميعاً هنا. وراحوا ينشدون بسخرية: "مجنونة، مجنونة، لا أحد يحب المجانين. مجنونة، مجنونة، لا أحد يحب المجانين"، كرروا ذلك مراراً معلنين عن إقصائي.

هرعتُ باتجاه الموقف الخاص بالمدرسة وصدى كلماتهم يتردد في رأسي مثل الأجراس. تائهة ومرتبكة وقد ضاقت أنفاسي، دخلت إلى متجر للأدوية واتصلت بأمي من هاتف عمومي.

رجوتها قائلةً: "أمي، أرجوك تعالي لاصطحابي. لا أستطيع العودة إلى هناك مجدداً. أرجوك".

"جودي ، أين أنتِ؟" سألت بصوت أجش يملأه الخوف.

فقلت بتنهد : "إنني في وولغرينز".

"سأحضر في غضون خمس دقائق".

أعادتني أمي إلى المنزل وأعدت لي سندويشاً من الجبنة المحمّصة ثم وضعتني في الفراش حيث خلدت إلى النوم حتى الصباح التالي. عند نزولي لتناول الفطور ، أخبرني والدي بضرورة عودتي إلى المدرسة فيجب أن لا أن أمنح إيدي أو أصدقاءه الشعور بالرضا لإيذائي. فقال والداي : "تجاهليهم وسوف يتوقفون عن مضايقتك". لم يعلموا قط كم كانت هذه النصيحة خاطئة.

لقد عانى الأطفال في برنامج الصمّ الكثير. لم يقتصر الأمر الآن على بعض الأفراد الذين كانوا يضايقونهم. كل المجموعات تهاجمهم الآن. كانوا هدفاً سهلاً لأنهم لم يستطيعوا المقاومة. لم يكن الأطفال ذوو الإعاقة الهدف الوحيد. أي شخص اختار أن يكون مختلفاً كان عرضةً للمضايقة. إما أن تكون في صفهم وإما تكون منبوذاً. لم أستطع إزعاج أحد. لقد اقترفتُ خطأ عندما تجاهلت ماريان. صممتُ على ألا أكون ضعيفة هكذا مرة أخرى.

مع نهاية الصف الخامس ، كنتُ مجردة من الأصدقاء. لاختلفت وجهة نظري إنْ كانت الوحدة مألوفة ؛ لو لم أحظَ بشعبية قط. ولكن أحبني الجميع من الصف الأول وحتى الصف الرابع. إنّ التحول من فتاة محبوبة إلى منبوذة كان بمثابة صدمة.

. احتار والداي بما قد يقومان به. لم يحتملا رؤيتي عائدة إلى المنزل كل

يوم بعينين باكيتين. ولكنهما كانا أيضاً قلقين من أنهما في حال سمحا لي بالانتقال إلى مدرسة أخرى سيكونان بذلك يؤيدان فكرة الهروب ويشجعان على التهرّب من المشاكل. لقد علقا ما بين تحريري من الألم وتعليمي كيفية تجاوزه. قررا أن يسمحا لي بالتمتع بالعطلة الصيفية وبعدئذٍ نتخذ قراراً في الخريف. كنتُ ما أزال عضواً ناشطاً في مجموعة التمثيل. أحمد الله على ذلك.

في أيلول، أطلعت والديّ على رغبتي في العودة إلى مدرسة الارتقاء وعدم الهروب. أردتُ أن أتحلى بالقوة. فوافقا على ذلك. بدأ الصف السادس بشكل جيد. لم أتعرض كثيراً للمضايقة. خففت من استعمال مفرداتي وأحجمت عن رفع يدي في الصف. لا بأس إنْ ناداني الأستاذ باسمي وإن لم يفعل يكون ذلك أفضل. جلستُ فعلاً على يديّ في بعض الأحيان لتذكير نفسي بأنني لا أريد أن أكون مدللة الأستاذ. ويبدا أن جهودي قد أثمرت. خلال الاستراحة، بدأ زملاء صفي بدعوتي للعب معهم مجدداً. لم أكن ذات شعبية ولكنني على الأقل لم أتعرض للمضايقة باستمرار. قلت لنفسي: "يجب أن أبقى مفعمة بالأمل وأستمر في بذل الجهد".

كنتُ ما أزال وحيدة على الرغم من التشجيع الذي ألقاه. عدم تعرضي للمضايقة أمر وعدم الحصول على أصدقاء أمر آخر. رجوت الله: "أرجوك يا رب، اجعل الأولاد في المدرسة يحبونني من جديد".

حصل ذلك ليلة العيد. قرع زملاء صفي باب منزلي وسألوني إنْ أردت الانضمام إليهم. كنتُ متحمسة ومرتاحة جداً لدرجة أنني أوشكت على البكاء. لقد منحوني فرصة أخرى. التقطت الكيس البلاستيكي

وخرجت مسرعةً ظنّاً مني أن الرب قد استجاب دعائي. كان هناك شركاً وحيداً: أرادوني أن أنضم إليهم للاشتراك في تنفيذ مقلب على عجوز تسكن في أعلى الشارع. أرادوا أن يرشقوا منزلها بالبيض النيء وأوراق المرحاض وقد التمسوا مساعدتي كشريك.

همست جو إلين: "إنها عجوز شمطاء".

صرخت تيري: "هيا لنجعلها تستشيط غضباً".

فصاح غريغ وهو يضحك: "هل ترونها في ردائها السخيف وهي تنظف كل هذه الفوضى؟".

رفضت الانضمام إليهم لأنني شعرت بالسوء حيال تلك الامرأة. أخبرتهم بأن ما يريدون فعله أمر مشين ووضيع. وفي لحظة، تحول مركز ازدرائهم من العجوز إليّ. كانت صداقتهم التي تقت إليها مجرد إخفاق.

في اليوم التالي، التقى والداي السيدة جانين، مديرة المدرسة. "لا أدري علامَ كلّ هذه الجلبة"، قالت بعدما شاطرها أمي وأبي بعض تجاربي في المدرسة. وختمت بإيجاز: "يجب أن تبذل المزيد من الجهد كي تختلط. الأولاد سيبقون أولاداً. يجب أن ندعهم يخوضون معاركهم. إنْ لم تكن مستعدة للمحاولة أكثر للتأقلم مع باقي الأولاد، فربما من الأفضل أن تنتقل إلى مدرسة أخرى".

في الشهر التالي، تسجلت في أكاديمية مورغن هيلز وهي مدرسة خاصة بـ "الموهوبين فنياً وفكرياً".



الفصل الرابع

السحب القاتمة

قالت أمي بفرح: "كل شيء جاهز. ستبدأين في أكاديمية مورغن هيلز في غضون أسبوع".

فاعترفت قائلةً: "أمي، لست أكيدة من أنني أريد ارتياد هذه المدرسة. هناك أشخاص مدفونون في حرم المدرسة. رأيت أضرحتهم في الحديقة الخلفية خلال التوجيه! كان ذلك مرعباً".

فأجابت: "جودي، هذه ليست أضرحة. إنها مجرد نصب تذكارية للطلاب الذين توفوا في إحدى الحربين العالميتين".

"أمي، بربك هذه ليست مدرسة عسكرية. هذه النصب التذكارية مخيفة. وهل لاحظت كم هو قديم ومحبط المبنى؟"، سألتها مرتعبة من مجرد فكرة المشي في الأروقة المظلمة القذرة كل يوم.

أشارت بلهجة تشجيعية: "يا عزيزتي، إنّ أكاديمية مورغن هيلز إحدى أرقى المدارس الخاصة في هذا الجزء من البلاد. المبنى عبارة عن معلم. تتحدثين دائماً عن الجامعة التي قد ترتادينها. يقع العديد من أفضل الجامعات في مبانٍ قديمة".

فأجبتها راسمةً ابتسامة رغماً عني: "أظن أنك محقة. أتعتقدين أن الأولاد سيحبونني في هذه المدرسة الجديدة؟".

قالت أمي: "بالطبع سيحبونك. إنّ الطلاب في مورغن هيلز جديون حيال دروسهم. لن يضايقوك للمشاركة في الصف أو استعمال كلمات منمقة. ستكونين في مكان حيث يكون لديك أمورٌ مشتركة مع أولاد جيلك".

"لا أزال متوترة"، قلت متمنية لو أنني لم أضطر لمواجهة ذلك.

فطمأنتني قائلةً: "كل شيء سيكون على ما يرام. أشعر بذلك".

بدأت أشعر بالتفاؤل مع اقتراب اليوم الأول من المدرسة. قد تكون بداية جديدة. لم أعد مضطرة لارتداء زي المدرسة الموحد بعد الآن مما أراحني. لم أكن أطيق التنورة المربعة النقش والقميص الأبيض الرسمي اللذين توجب علينا ارتداؤهما في المدرسة الثانوية. كما أن الصفوف كانت أصغر. فكان هناك ثلاثون طالباً فقط في الصف السادس في أكاديمية مورغن هيلز، خمسة عشر طالباً في كل صف. بينما كان هناك ثلاثون طالباً في الصف الواحد في مدرسة الارتقاء. كذلك، إنّ المواد أكثر إثارة للاهتمام. أمام طلاب الصف السادس فرصة لدراسة التاريخ القديم والأدب واللغة الفرنسية وعلم التنجيم وحتى علم الإحاثة وهي مواد لم تكن تُدرّس في مدرسة الارتقاء. كنتُ أتطلع بشكل أخص إلى دراسة التاريخ القديم وعلم الإحاثة. فقد أحببتُ كثيراً دراسة الأثريات والأحافير.

وعلى الرغم من أنني كنت سأبدو الطالبة الجديدة الوحيدة في المدرسة، إلا أنني كنت أعرف كالي، إحدى زملاء صفي الجدد. منذ أن كان كلانا في مجموعة التمثيل، اشتركنا معاً في العديد من المسرحيات. وقد وعدتني بتعريفي إلى الجميع في اليوم الأول من المدرسة. قالت بحماس

شديد: "سوف تحبين الأكاديمية. إنّ الأساتذة رائعون حقاً وقد أخبرتُ جميع أصدقائي عنك".

فاعترفت قائلةً: "كالي، أخاف ألا أتمكن من التأقلم. فأنتِ وأصدقاؤك تعرفون بعضكم البعض منذ الصف الأول. سأشعر كالغريبة".

"جودي، إنّ طلاب هذه المدرسة لطفاء جداً. سترين بنفسك. ثقي بي".

أملتُ أن تكون محقة. إنْ لم يحبني زملاء صفي في هذه المدرسة الجديدة، قد انتهى أمري. سيكف والداي عن الإيمان بي. سمعتهما يتكلمان في الليلة السابقة فيما اعتقدا بأنني كنتُ نائمة.

كان قد قال أبي: "علينا أن نكون صريحين مع نفسينا. لا يمكننا السماح لجودي بأن تتهرّب دائماً من مشاكلها. إنْ لم تتكيف في مورغن هيلز، قد يكون هناك خطب ما بها".

سألت أمي: "ماذا تقول؟".

فشرح بهدوء: "أقول أنه علينا اصطحاب ابنتنا إلى طبيب نفسي، أحد يستطيع اكتشاف ما بها".

فجادلته أمي بصوت مرتفع: "ليست غلطة جودي. إنها قائدة وليست تابعة وهي كبش المحرقة في الصف بسبب ذلك".

أجاب أبي: "لا تهمني الأسباب. كانت ابنتنا تبكي حتى النوم طيلة سنة. لا يمكنني احتمال رؤيتها تتألم وإنْ كانت هي السبب في رفض الجميع لها، فعلينا معرفة المصدر.

قالت أمي: "إنني متفاجئة لإدراكك بأنها تشعر بالبؤس، فبالكاد أنتَ تأتي إلى المنزل".

فأجاب أبي بحزم: "دعينا لا نثير هذا الموضوع. أريدك أن تتصلي بطبيب الأطفال وتطلبي منه أن يوصي بطبيب نفسي خاص بالأطفال. لا يهمني كم سأدفع له أو المسافة التي سنقطعها. أريد أن أعرف لِم ابنتنا سيئة التأقلم".

لقد صدمتني كلمات أبي. أهكذا يعتبرني؟ سيئة التأقلم؟ تملّكني الغضب وشعرتُ بالغثيان.

فقالت أمي: "سأحصل على اسم أفضل اختصاصي في شيكاغو. ولكن لننتظر بضعة أشهر ونرى ما سيحصل في المدرسة الجديدة قبل حجز موعد".

قبل أبي قائلاً: "حسناً. سننتظر حتى عطلة رأس السنة".

تلك الليلة، قبعت في الظلام أسترق السمع إلى مناقشة والديّ، فشعرتُ بالوحدة حقاً للمرة الأولى في حياتي. إنّ الشخصين الوحيدين في العالم اللذين وقفا إلى جانبي في محنتي لم يعودا يثقان بي.

إنّ الكلمات التي واستني في ما مضى اجتاحت ذاكرتي مما جعل الحديث الذي سمعته صدفةً أكثر إيلاماً...

لا يكرهك زملاء صفك. أنتِ متقدمة عليهم وسيدركونك وستكونين ناجحة وستحصلين على أصدقاء أكثر مما تتخيلين. في يوم ما، ستصبحين أيضاً وزة جميلة كما في قصة البطة القبيحة. ■

ماذا جرى؟ كيف كان من الممكن أن تتغير عاطفتهما؟ ربما كان أبي محقاً وهناك خطب ما بي. ربما كانت حقاً غلطتي في أنني سيئة التأقلم.

اختفت تلك الثقة بنفسي في تلك الليلة. كان والديّ يتحدثان حول

اصطحابي إلى طبيب نفسي. كنتُ متوترة بما يكفي حول التكيّف في مدرسة جديدة وإنْ أفسدت الأمر سأُجر إلى مكتب طبيب نفسي.

***

."يا ملاكي، حان وقت النهوض"، قالت أمي بوضوح فيما دخلت إلى غرفتي وأشعلت النور. "إنه يومك الأول، ألستِ متحمسة؟".

أجبتُ: "بلى، ولكنني خائفة أيضاً".

قالت: "جودي، إنها بداية جديدة. كوني على طبيعتك وحسب. أسرعي وارتدي ملابسك حتى يكون لديك الوقت لتناولي فطوراً جيداً قبل حضور باص المدرسة".

أجبتها: "حسناً يا أمي".

بعد إرغام نفسي على تناول القليل من البيض المقلي، ارتديت سترتي وعانقت أمي مودعةً. فيما ضمّتني إلى صدرها، دنوت منها التماساً لدفئها رافضةً الذهاب. فأبعدتني عنها بلطف وأعطتني حقيبة كتبي. ثم، أخذت وجهي بين يديها ونظرت إلى عينيّ وقالت لي إنها ستكون دائماً إلى جانبي ومهما حصل ستظل تحبني هي وأبي من كلّ قلبيهما.

قالت: "ها هو الباص، هيا اذهبي الآن".

كانت سائقة الباص، امرأة قوية في العقد السادس، رحّبت بي بحرارة فقالت مبتسمةً: "لا بد أنك جودي بلانكو، الطالبة الجديدة في الصف السادس".

فأجبت بخجل: "نعم".

شرحت لي قائلةً: "أنا السيدة أندروز. وهذا الباص رقم ست وعشرين. سأعيدك إلى المنزل أيضاً بعد دوام المدرسة. لِمَ لا تجلسين في الصف الثالث إلى اليسار بالقرب من ديبي. فأنتما في الصف ذاته. ديبي، أرجو أن تعرّفي جودي إلى باقي الطلاب في الباص".

"مرحباً"، قالت ديبي بفرح فيما جلست بقربها. ذكرتني ديبي بفرح فاوست في شبابها لصغر حجمها وعينيها الزرقاوين الأخاذتين وشعرها الأشقر الطويل. أحببتها على الفور. هتفت قائلةً: "أخبرتنا كالي الكثير عنك. يريد الجميع لقاءك".

لقد غمرتني السعادة. فبدأ التوتر داخلي ينحسر. شعرتُ بأنني أكثر خفةً وكأن الأمل انتشلني من حفرة مظلمة. قلت لنفسي: "ستكون أكاديمية مورغن هيلز جيدة". قدمتني ديبي إلى باقي الطلاب في طريقنا إلى المدرسة. كان الطلاب الذين تتراوح صفوفهم بين الأول والثامن ودودين وفضوليين فراحوا يطرحون عليّ أسئلة عن مدرستي القديمة وموادي المفضلة.

"كالي، انتظري"، سمعت ديبي تصيح من نافذة الباص فيما توقفنا في موقف المدرسة. مرتديةً زي المشجعات الأحمر والأبيض، استدارت كالي ملوحةً بيدها ومبتسمةً.

قالت بحماس: "جودي، أهلاً بك في مورغن هيلز".

أجبتها: "شكراً! إنني متحمسة جداً. بالمناسبة، لم تخبريني قط بأنك مشجعة. في مدرستي القديمة، لم يكن ليسمح لك بالتدرّب حتى الصف السابع".

أجابت بفخر: "نعم، نظمتُ فريقاً خلال الصيف. هيا، سنريك أنا

وديبي مكان خزانتك. ثم يمكنك لقاء الجميع".

فيما كنتُ وكالي وديبي نشق طريقنا باتجاه المبنى الرئيسي، سألتهما عن السيد وورن والسيدة غورج، أستاذي الصف السادس. أجابت ديبي بخجل: "إنّ السيد وورن لطيف. إنه يعطي الكثير من الاختبارات المفاجئة ولكنّ طالما أنك تولين انتباهاً في الصف وتقومين بواجبات القراءة، يمكنك الحصول على علامة جيدة. كما أنه وسيم حقاً".

"نعم، ولكن ماذا عن العجوز غورج؟" قالت كالي محوّلةً ناظريها باتجاه ديبي. همست قائلةً: "لا تخبري أحداً ذلك. سمعتُ صدفة أمي وهي تقول إن السيدة غورج كانت مدمنة لهذا السبب ترتعش يداها أحياناً. كما أنها عجوز تبلغ الستين على الأقل. أحياناً تكون مزاجية وتتصرف بوضاعة".

شعرتُ بالإثارة لإشراكي في حديث سري كهذا.

وأضافت ديبي: "ولا تنسي أيضاً العطر الذي تضعه فيعبق في كامل الصف. كم هو مقرف".

قالت كالي بإلحاح: "من الأفضل أن نسرع. أريد أن أقدمك إلى الجميع قبل بدء الصف".

قلت: "حسناً". إنني أتأقلم وأخيراً وأشعر بالسعادة.

صاحت ديبي: "مَن يصل إلى المبنى الرئيسي أخيراً يكون الخاسر". فيما نتسابق في باحة المدرسة وهواء أيلول العليل يلفح وجوهنا وأوراق الخريف تنسحق تحت أقدامنا، شعرت بالحرية والبهجة.

"فزتِ يا كالي"، صحتُ أنا وديبي معاً فيما نلتقط أنفاسنا. آلمتنا

خواصرنا من الضحك. كان كلّ من ديبي وكالي من أكثر الفتيات شعبية في الصف السادس. فتقديمي إلى باقي الصف سيضمن قبولي بينهم.

شابهت أكاديمية مورغن هيلز مدرسة تعليم اللغة الإنكليزية للفتيان. كان الجمنازيوم يقع في نهاية العقار خلف حدائق المدرسة. تواجدت الكافيتيريا ذات البناء الحجري المهيب والسقف المطابق لسقف الكاتدرائية والنوافذ الزجاجية الملونة في الوسط. أما الجناح الشمالي حيث كان يقع الصف السادس فكان الأكبر بين مباني المدرسة الثلاثة. على الرغم من إعادة تجديده عدة مرات مع مرور العقود، كان هناك بعض الترسبات الرمادية فيه وكأن سنوات الانحلال ما زالت حاضرةً تحت طبقته الخارجية الجديدة.

كان داخل الجناح الشمالي خفيفاً ومنفعياً. فقد كانت الأروقة مطلية بالأزرق الأردوازي ومخططة بصفوف من الخزائن الكحلية اللون. كما أن الصفوف مطلية بالأبيض النقي. لم يكن الوقع سهلاً عليّ وكأنني كنتُ أمشي في أروقة مستشفى، وليس في مدرسة.

كانت مجموعة من الطلاب تتحدث بالقرب من الخزائن خارج غرفة السيد وورن. عندما رأوني أقترب برفقة كالي وديبي، أسرعوا باتجاهنا. راحوا يطرحون عليّ الأسئلة بفضول وحماسة. "هل أنتِ الطالبة الجديدة؟ من أي مدرسة انتقلتِ؟ هل تتدربين على رياضة ما؟ أين تقطنين؟ أتريدين الجلوس معنا وقت الغداء؟ كنتُ محاطة بزملاء صفي الجدد. بدأوا بتقديم أنفسهم إليّ الواحد تلو الآخر. لم أستطع حفظ أسمائهم فقد كان الأمر مشوشاً للذهن.

قال فتى وسيم ذو شعر بني فاتح وعينين خضراوين دافئتين: "مرحباً، أنا بيتر. ستحبين مدرستنا. الجو رائع هنا".

"يسعدني لقاؤك"، أجبته مظهرةً افتتاني به.

"أنا ستيف. تقول كالي إنك تحبين التمثيل. سيؤدي الصف السادس هذه السنة مسرحية طوم سوير. يجب أن تتدربي معنا"، قال فتى واقفاً بالقرب من بيتر.

أجبتُ متحمسةً: "أحب المشاركة في المسرحيات".

"جودي، أودّك أن تتعرفي إلى المزيد من أصدقائي"، قاطعتني كالي فأفهمتني بنبرة صوتها بأنني ألتقي الآن بالمجموعة التي تتمتع بالشعبية.

"مرحباً"، قلت مذكّرةً نفسي بأن أبتلع وأنظر بعينين طارفتين. احتجت إلى تقبلهم بشدة.

فيما ألقي نظرة باتجاه كالي، تقدمت كات وهي فتاة شبيهة بالتمثال ذات شعر أسود طويل وعينين بنيتين أخاذتين لتقديم نفسها. تملك كات حسّاً بالنفوذ وكأنها تعرف تماماً من تكون وما تريده في هذه الحياة. *مهما تفعلين، لا تظهري لها بأنك خجولة.*

قلت محاولةً أن أبدو واثقة من نفسي بقدر الإمكان: "يسعدني لقاؤك".

"أهلاً بك في مورغن هيلز. من أي مدرسة انتقلت؟" سألت بوجه خالٍ من التعابير.

أجبت: "من مدرسة الارتقاء".

"يا للقرف، المدرسة الثانوية. ألم تكرهيها؟ أسمع أن المعلمات المتعبّدات يمكن أن يتصرفنَ أحياناً بوضاعة"، قالت مراقبةً لغة جسدي ومقررةً ما إذا كنتُ سأعجبها أم لا.

"كانت مدرسة لا بأس بها"، قلت وقد لمعت بذهني صورة المعلمة روز التي كانت رمزاً للحماية. "أعتقد أنني سأحب المكان هنا أكثر".

قدمت كات لي عرضاً وقد رقّت ملامحها: "لِمَ لا تجلسين بالقرب مني ومن جاكي في الحصة الأولى؟ هناك مكتب شاغر بيننا. وأنا متأكدة من أن السيد وورن لن يمانع".

زادت ثقتي بنفسي. فإنْ كانت كات تتقرب مني، أكون قد تجاوزت الحاجز الأول. قلت بامتنان: "سيكون ذلك رائعاً".

عندما رنّ جرس الحصة الأولى، كنتُ قد التقيت بجميع طلاب الصف السادس تقريباً. فيما جلست على مقعدي، ربّت أحدهم على كتفي بقوة. استدرت لمعرفة مَن. فكانت فتاة طويلة القامة ذات شعر أشقر ليفي وتضع نظارات مستدقة الإطار واقفةً خلف مكتبي مباشرةً.

قالت بغطرسة: "أنا دارا".

"مرحباً"، أجبتها وشعرت على الفور أن دارا لا يمكن أن تكون إلا صديقة جيدة. "أنا جودي بلانكو، الطالبة الجديدة".

"هذا واضح"، أجابت بحزم وهي تدرس ردة فعلي.

"نعم، الأمر واضح حقاً، أليس كذلك؟"، وافقت على ملاحظتها فيما رحت أفكر بشيء ذكي ومضحك لإثارة إعجابها. فمزحت مسرورة بسرعة بديهتي قائلةً: "واضح كالتصاق الصديرية بالكلب".

فسمع طلاب الصف بأكمله ملاحظتي واستغرقوا في الضحك. قبل أن تسنح لدارا فرصة الإجابة، دخل السيد وورن إلى الغرفة وتوجه نحوي وقال مبتسماً: "أرى أنك لا تواجهين مشكلة في التأقلم مع الجميع. لا بد

أنك جودي بلانكو. أهلاً بك في الصف السادس".

قلت: "شكراً لك سيد وورن".

عندما بدأ السيد وورن بمناداتنا بأسمائنا، مرّرت لي دارا ورقة تحت المكتب. ففتحتها وكان مكتوب عليها:

أنتِ حقاً رائعة

وضعت الورقة داخل حقيبة كتبي مغمورة بالسعادة ومتحمسة لأريها لوالداي كإثبات على أنني لم أعد سيئة التأقلم.

مرّت الأشهر الأولى في أكاديمية مورغن هيلز بسرعة وبدون أي حوادث. استمريت في الحصول على علامات عالية والتكيف مع زملاء صفي. قبلني كلّ من كات ودارا في مجموعتهما. كنت قد شكلت فريقاً مع كالي وديبي. لم نفترق قط. كنا نثرثر ونتشاطر الأسرار ونجرب مستحضرات التجميل وننام عند بعضنا البعض خلال نهايات الأسبوع ونتكلم لساعات على الهاتف حول موضوعنا المفضل: الفتيان. كنتُ وكالي مفتونتين ببيتر فيما أُعجبت ديبي بستيف.

كان العديد من طلاب الصف السادس يتخذ صديقاً دائماً. شكّ الأهالي والأساتذة بالأمر. ولكنهم لم يهتموا لأن بالنسبة إليهم ما هو قدر المتاعب التي قد يقحم أولاد بسن الثانية عشرة أنفسهم بها بما أنهم لا يمكنهم القيادة أو المواعدة وحدهم؟ باعتقادهم، أقصى ما يمكن حدوثه هو قبلة بريئة في باحة المدرسة. يمكن لبساطتهم هذه أن تكلفنا الكثير جميعاً.

اقترب عيد رأس السنة وقد وافقت أم كالي على أن تقيم حفلة

احتفالاً بالمناسبة وتدعو الفتيان والفتيات. كانت كالي متحمسة. أمضيت وكالي وديبي ساعات في تحضير الدعوات. وفيما كنتُ ألعق الأغلفة، لاحظت غياب اسم واحد فسألت كالي عنه.

قالت: "جميع الدعوات هنا".

سألتها: "ماذا عن دايف؟" خجولاً وغريب الأطوار، كان دايف منعزلاً. لم يكن زملاء صفه يحتقرونه ولكنهم يتجاهلونه. وفي بداية الأسبوع، سمعني وديبي صدفةً نتكلم عن الحفلة. لاحقاً، في طريقي إلى الجيمنازيوم، أخذني إلى جنب وسألني: "أتعتقدين أنني سأكون مدعواً؟" على الأرجح استغرقه اليوم بأكمله ليتشجع ويقترب مني. فأجبته: "بالطبع ستكون مدعواً".

"أنت تمزحين، أليس كذلك؟" أعادتني كالي إلى الحاضر بسؤالها. "إنه نكرة".

فأجبتها: "نعم، ولكن يمكن أن يجرح ذلك مشاعره".

"كالي، قد تكون جودي محقة..." قبل أن تنهي ديبي عبارتها، أسكتتها كالي بنظرة محدّقة مربكة. شعرتُ بالسوء ولكن خشيت من أنني إذا أثرتُ الموضوع مجدداً، سيقلل ذلك من رأي كالي بي. فتكون مجازفة خطيرة. سيعيش دايف بالخيبة ولم أكن أريد أن أكون المنبوذة مرة أخرى.

غيرت الموضوع على الفور وحولت الحديث إلى ما سنرتديه في الحفلة. فيما راحت ديبي وكالي تتكلمان بحماقة عن ملابس الحفلة، أصابني شعور بالذنب. لقد فعلتُ بشخص ما كان يُفعل بي مراراً في الماضي. بدا الأمر وكأن الحادثة التي وقعت مع جو إلين وماريان تتكرر

مجدداً إلا أنها أسهل بكثير هذه المرة. فدايف فتى سليم ونموذجي. على الأقل، يمكنه حماية نفسه. قد يكون اكتشاف المرء لذاته ثم اتخاذه منحى آخر مجرد جزء من النضج. ولكن جزءاً مني كان يدرك أن الأمر أكثر من ذلك، أمر لم أستطع شرحه بسهولة.

"عندما كنتُ المنبوذة، لم أفكر قط بباقي الأولاد الذين كانوا مرفوضين. لم أستطع تجاوز حدود ألمي. لم يخطر قط على بالي بأنني سأكون مصدر هذا الألم. بدأت أدرك أن الأمر برمته كان جزءاً من حلقة البقاء الاجتماعي. سيكون دائماً المسكين مثل دايف كبش المحرقة في الصف. كان عليّ الكفّ عن لعب دور البطلة. فقلت لنفسي بحزم: "إنها حفلة كالي. ليست غلطتي إنْ لم تكن كالي ترغب في دعوة دايف".

مع اقتراب نهاية الأسبوع، كانت جميع الدعوات موزعة. قال دايف بين الحصتين: "إنه نهار الخميس. قد أتلقى الدعوة اليوم عبر البريد".

طأطأت رأسي شاعرةً بالعار من الإجابة.

فاستنتج قائلاً: "لم أُدعَ، أليس كذلك؟".

قلت: "كلا، دايف".

فأجاب بحزن: "لا بأس. لم أظن أنني سأُدعى على أي حال". علّق حقيبة كتبه على كتفه وتوجه نحو الصف. *كفي عن الشعور بالذنب. سيتخطى الأمر. على الأرجح أنه بعد سنوات لن يذكر ما حدث.* لن أعلم أبداً كم كنتُ مخطئة.

مع اقتراب ليلة السبت، بدأت أشعر بنذير شؤم مزعج بدلاً من الإحساس بالإثارة حول حفلة كالي.

"ما الخطب يا ملاكي؟"، سألت أمي بقلق فيما كنتُ أرتدي ملابسي لحضور الحفلة.

"لا شيء، أنا بخير".

كنتُ أقول لوالديّ أن كل شيء على ما يرام في المدرسة. لم أرد أن أجازف في جعلهما يكتشفان أنني كنتُ أشكّ في ما إذا كان الأمر يستحق العناء على الرغم من تكوين الأصدقاء. على الأقل عندما كنتُ فاشلةً اجتماعياً، كان ضميري مرتاحاً. ففكرتُ: "أي شيء أفضل من الذهاب إلى طبيب نفسي. هذه المرة، لن يهتم أبي بالتفاصيل. إنْ لاحظ حصول أمر غير طبيعي، سأجرّ بالتأكيد إلى مكتب الطبيب النفسي.

فيما توقفنا أمام منزل كالي، أراد جزء مني العودة إلى المنزل والجزء الآخر كان يتوق لاختبار الحفلة الساهرة المختلطة الأولى لي. رحبت بي والدة كالي الرشيقة والمرتدية بنطلوناً فضفاضاً وبلوزة بلون الكريم أمام الباب. فقالت لي ملوحةً بيدها لأمي: "جودي، تعرفين طريقك. الحفلة في الطابق العلوي".

تعيش كالي في منزل كبير مؤلف من طابقين لهما تصميم جورجي في أحد أقدم وأغنى أحياء شيكاغو. عندما اشترى أهل كالي المنزل، قاما بإعادة تجديد العلية فحولاها إلى غرفة استجمام للأولاد. فيما صعدت السلالم، سمعت موسيقى الروك تُعزف فوق وصدى الضحكات. فتساءلت إنْ كان بيتر قد وصل. شعرت بالقشعريرة لمجرد التفكير به.

كان باب العلية موصداً عندما وصلت إلى أعلى السلالم. فقرعته بقوة. وأخيراً، فُتح الباب. "يا أصحاب، لقد وصلت جودي!"، صاحت كالي لَمن في الداخل محاولةً أن يغطي صوتها على أغنية إلتون جون "فتاة

الجزيرة"، التي انطلقت بصوت مرتفع من مكبّر الستيريو.

سألت: "كالي، لِمَ أوصدتِ الباب؟".

قالت: "لأننا كنّا نلعب لعبة القنينة ولا أريد أن تدخل أمي عنوةً".

فأجبتها بارتباك: "ما أهمية هذه اللعبة؟ إنها فقط لعبة حقيقة أو تحدٍّ. إما تختارين الإجابة على سؤال أو قبول التحدي. نلعبها دائماً. لن تهتم أمك لهذا الأمر".

"كلا أيتها السخيفة، لا نلعب الحقيقة أو التحدي بل نلعب لعبة التعرّي"، قالت هامسةً.

"ماذا تعنين بالتعرّي؟".

فقالت مغلقةً الباب خلفها: "عندما تشير القنينة إليك، عليك نزع قطعة من ملابسك. والشخص الأخير الذي يبقى مرتدياً أي قطعة ملابس يكون الرابح. لا تحتسب المجوهرات. هيا، إنها ممتعة".

فطمأنتُ نفسي: "ما أسوأ ما قد يحصل؟" انضممتُ إليهم. وفوق ذلك إن بيتر كان موجوداً فأردتُ إثارة إعجابه بمدى روعتي. جلس الجميع متربعاً على شكل دائرة. كان هناك ثماني فتيات وسبعة فتيان. في وقت قصير، امتلأت الأرض بالسترات والأوشحة وغيرها من الملابس. بعدئذٍ، خلعتُ بنطالي وبلوزتي. ديبي، التي قد نضجت قبل أوانها، كانت مجردة من ثيابها ما عدا الملابس الداخلية. وكان الفتيان يحدقون في جسدها فأزعجني ذلك. مع كلّ دورة للقنينة، كانت تنشدّ عضلاتي.

"جودي، اخلعي قطعة من ملابسك"، غنت كالي بفرح فيما توقف رأس القنينة أمام ركبتي اليسرى.

فأجبتُ بلا مبالاة زائفة: "حسناً". نزعتُ البلوزة ببطء ورميتها إلى جانبي. نظرنا أنا وديبي ببعضنا البعض. لاحظتُ أنها كانت متوترة تماماً مثلي. علا صوت همهمة القنينة وهي تدور على السجاد. فأشارت إلى ديبي مجدداً.

أنشد الفتيان: "هيا ديبي اخلعي شيئاً". شعرتُ بالأسف عليها. أوشكت على البكاء ولكنها لم ترد أن يظن أحد بأنها جبانة. نزعت عنها صديريتها وقد احمرت وجنتاها. فقهقه الجميع ما عدا بيتر. رأى تعابير وجه ديبي.

أمرت كالي قائلةً: "أحسنتِ ديبي! إنه دورك في تدوير القنينة".

قال بيتر: "لا، هذا مضجر. لنلعب شيئاً آخر"، أعلن منقذاً ديبي من التعرض للمزيد من الإهانة. كان بيتر أكثر الفتيان شعبية في المدرسة. كان يأمر فيُطاع. استجاب أصحابه بسرعة لأمره.

فاقترح ستيف: "نعم، لنلعب لعبة القبلة أو الإخبار".

سألتُ: "ما هذه اللعبة؟".

أجاب: "إنها لعبة سهلة تماماً مثل الحقيقة أو التحدي ولكن بدلاً من التحدي، عليك تقبيل مَن تؤمرين بتقبيله. ويجب أن لا تكون قبلة عادية بل حقيقية أي قبلة على الفم مع إدخال اللسان".

"رائع"، قالت كات مرتديةً سترتها على عجل.

تبين لي كَم كان هؤلاء الأولاد مبكري النضج أكثر من زملاء صفي السابقين في مدرسة الارتقاء. لم أكن قد اختبرتُ بعد قبلتي الأولى وهم في الثانية عشرة من العمر يتعانقون ولا أحد يعلم ماذا يفعلون أيضاً. كانت

المدرسة الثانوية ذات بيئة مغلقة مقارنة مع المدرسة التي أرتادها الآن. *تصرفي بهدوء. وأخيراً، أنتِ جزء من المجموعة التي تتمتع بالشعبية. لا تفسدي الأمر بلعب دور المحتشمة.*

لعبنا اللعبة فأشارت القنينة عليّ مرتين. قبّلتُ ستيف الذي كنتُ معجبةً به وبيتر مما جعلني أدرك مدى الشعور بالمتعة في تقبيل شخص منجذبة إليه. ولكن لعبة التقبيل هذه لم تكن كافية بالنسبة إلى البعض الذين كانوا أكثر ألفةً مع المداعبات الجنسية الأكثر تقدماً.

شعرتُ بأن الجو في الغرفة بدأ يأخذ منحى آخر فيما راح البعض ينقسمون إلى أزواج. أُطفئت الأنوار وأُضيئت الشموع. جلستُ مصعوقة. أراد جزء مني الهروب وتمنى الجزء الآخر أن يتحلى بالشجاعة للانضمام إليهم. دخل اثنان بسرعة إلى الخزانة وأغلقا الباب. استطعت رؤية ما يحصل عبر الأضلاع غير قادرة عن إشاحة نظري. كنتُ مرتعبة.

نزلتُ بسرعة للاتصال بأمي. قلتُ باكيةً: "أمي أرجوك تعالي لاصطحابي".

سألت: "ما الأمر، ما بالك يا ملاكي؟".

فقلتُ: "أمي، ما يفعله شخصان في الخزانة يجعلني أحمرّ خجلاً من مجرد التكلم عن الموضوع".

فسألت أمي: "أين والدة كالي؟".

"إنها في المطبخ تعدّ قالب الحلوى على ما أظن. إنني أتصل من الحجرة الصغيرة. أرجوك لا تقولي شيئاً لها. لا أريد أن أشي بكالي. أرجوك، سوف تكرهني. ألا يمكنك اصطحابي وحسب وسنقول لوالدة

كالي بأنني أعاني من ألم في المعدة؟".

فقالت: "جودي، صليني بوالدة كالي الآن".

رجوتها: "كلا، أمي أرجوك".

"الآن جودي".

كنتُ أبكي بشدة. فحضرت والدة كالي من المطبخ وسلمتها الهاتف.

"يا إلهي"، دمدمت ملقيةً السماعة ومسرعةً بصعود السلالم.

أمسكت بالجميع متلبسين بالجرم. مصدومةً وغاضبةً، صاحت بكالي أمام الجميع. كان الأمر مريعاً. ثم، راحت تتصل فوراً بالأهالي الآخرين لاطلاعهم على ما جرى. في الوقت الذي وصلت فيه أمي، كانت والدة كالي قد أنزلت الجميع إلى غرفة الجلوس حيث انتظروا بسكون مهيب وصول أهاليهم لاصطحابهم.

قالت: "أنا حقاً آسفة جوي لما حدث. ما كان يجب أن أدعهم بدون مراقبة".

أجابت أمي: "لا ألومك. ما كنتُ لأظن أن شيئاً من هذا القبيل قد يحصل في حفلة لأولاد في الثانية عشرة من أعمارهم".

فأضافت: "لديك ابنة مميزة. أنا ممتنة لتمتعها بحس المنطق للاتصال بك".

جفلتُ لسماع كلماتها. لقد خنتُ للتو صديقتي الحميمة وأكثر الطلاب شعبية في المدرسة. فيما نهمّ أنا وأمي بالخروج، استدرتُ ونظرتُ إلى كالي. كانت عيناها تستشيط غضباً. وبينما أغلق الباب خلفي، تملّكني ذلك الشعور القديم بالخوف.

عندما عدتُ إلى المدرسة صباح الاثنين، كان الجو محموماً. فقد تجاهلتني كات وجاكي بالقرب من الخزائن. ولم تتكلم معي دارا. أما كالي فتجنبتني. عندما رنّ الجرس وهرع الجميع إلى صف الحصة الأولى، توجهتُ إلى الرواق لأنني لم أرد أن أواجه بقية النهار. رأتني ديبي واقفةً هناك فدنت مني ولفت ذراعها حولي.

قالت محاولةً أن تواسيني: "جودي، سينتهي كل ذلك صدقيني. إنّ كالي غاضبة الآن ولكنها ستتجاوز هذا الشعور".

شعرتُ بامتنان كبير تجاه ديبي لمخاطبتي. كانت تحاول أن تكون صديقتي.

"ديبي إلى أي حدّ وصلتِ مع ستيف ليلة السبت في حفلة كالي؟" سألت غير متأكدة من تقبلي للحقيقة.

فاعترفت بضحكة خافتة تنم عن التوتر قائلةً: "لم نتمادَ كثيراً. كنا نتبادل القبل وحاول لمس صدري. في هذا الوقت، صعدت والدة كالي السلالم بسرعة وهي تصيح. لهذا السبب أردت التكلم معك على انفراد هذا الصباح قبل بدء الصف. لقد أنقذتني حقاً. لم أعلم ما كنت سأفعل لو لم يدخل راشداً إلى الغرفة. أحب التفكير بأنني كنت لأوقفتُ ستيف ولكن هناك جزء مني يخشى أن يوصم بالجبن".

فقلت: "إذاً يسعدني أنني اتصلت بأمي".

أجابت: "وأنا كذلك. ولا تقلقي حيال الآخرين. أنا صديقتك وسأبقى كذلك دائماً. هل أنتِ آتية إلى الصف؟".

"نعم، سأدخل بعد برهة. أخبري السيد وورن بأنني دخلت إلى الحمام".

كانت قد أثلجت في ذلك الصباح فانتعلتُ الجزمة إلى المدرسة. كنتُ مشوشة التفكير لدرجة أنني نسيت تغييرها لانتعال الحذاء. في طريقي إلى الخزانة، توقفت في حمام الفتيات. وعلى غير عادة، دخلت إلى الحجرة الأولى إلى اليمين. وعندما نظرت، وجدتُ حذائي السويدي الصنع المفضل لدي يطفو في المرحاض في بركة من البول. وكان هناك ملاحظة مربوطة بالإبزيم بواسطة خيط مأخوذ من صف الفنون. أنزلتُ يدي إلى الماء باشمئزاز وببطء أخرجت حذائي المتضرر. قلبتُ الملاحظة فكانت الكلمات المكتوبة على عجل بالحبر المتعذّر محوُه:

إنها البداية وحسب أيتها الساقطة

لم أعد أشعر بأحشائي. فقد كان ذلك أسوأ مما اعتقدت. كانت ديبي محطمة. لن يغفر لي أحد ولن ينسوا ما حصل في حفلة كالي. لم يفهموا لِم فعلت ما فعلته. يا للفظاعة، لستُ متأكدة من أنني فهمت ما فعلت.

استجمعتُ قواي فرميت حذائي في سلة المهملات وحملت حقيبة كتبي وتوجهت إلى صف السيد وورن. ما إنْ دخلت إلى الصف، شعرتُ بغضب زملائي. لقد تشاطروا أسرارهم معي وجعلوني واحدة منهم وقد خنتُ ثقتهم. أنا عدوتهم الآن. واسيتُ نفسي قائلةً: "على الأقل، ديبي صديقتي". لطالما أخبرتني أمي بأن صديقة وفية واحدة تكفي. أملتُ الآن أن تكون محقة.

ما كان أحد يجلس معي وقت الغداء. لم أتفاجأ ولكن ذلك لم يسبب ألماً أقل. فيما أهمّ بالخروج من الكافيتيريا، أوقفني دايف. قال: "سمعتُ عما حدث. أعلم أنك أردتِ دعوتي إلى حفلة كالي ولكنها رفضت ذلك".

أجبتُ: "نعم، هذا صحيح".

"لا أود أن أجرح مشاعرك ولكنني لا أستطيع التكلم معك بعد الآن. في حالتي هذه، أواجه الكثير من المشاكل. إنْ رآني ستيف أو أحد أصدقائه أتودد إليك، ستصبح الأمور أسوأ. أريدك فقط أن تعلمي أنني لا أفعل ذلك لأنني أكرهك. كلّ ما في الأمر أن لا خيار لديّ".

لقد تأثرتُ. "شكراً لإخباري. لا تقلق، أتفهم الوضع".

لم يحدثني أحد في طريق العودة إلى المنزل. ولم يرن جرس الهاتف تلك الليلة. ها قد عدتُ إلى الوحدة. حاولت دیبي أن تساندني ولكنني تساءلت إلى متى ستقف إلى جانبي. في النهاية، سيجبرها كالي والآخرون على الاختيار. لم أتوقع منها أن تضحي بأصدقائها الذين عرفتهم منذ سن السادسة من أجلي. ما حصل ليلة السبت كان غلطتي. لم يكن عليها أن تدفع ثمن ذلك.

بقدر ما كان الوضع صعباً في المدرسة، كانت العودة إلى المنزل أصعب. لم أستطع السماح لوالديّ بمعرفة أن الأمور لا تجري على ما يرام لأنني كنت مرتعبة من أنهم سيرغمونني على رؤية الطبيب النفسي. كان الأمر أشبه بمسدس محشو موجه إلى رأسي. أي حركة خاطئة وينتهي أمري.

كانت أمي تنتظرني في المطبخ عند عودتي إلى المنزل. فسألتني بقلق: "كيف كان يومك يا عزيزتي؟".

أجبتها متحاشيةً النظر في عينيها: "لا بأس به. لا يزال بعض زملائي غاضبين مني ولكنني أعتقد أن الحادثة برمتها ستصبح طيّ النسيان مع حلول رأس السنة".

قالت أمي: "يا ملاكي، ألم أخبرك أن كل شيء سيكون على ما يرام؟ عليك التحلي بالإيمان وحسب".

"أجل أمي. لديّ الكثير من الواجبات المدرسية. سأصعد إلى غرفتي".

لقد أقنعتها.

تكرر الروتين نفسه كل يوم. كان الأولاد إما يتجاهلونني وإما يوبخونني ساخرين مني. أحمد الله أن لديّ ديبي. فقد آزرتني صداقتها. بدأ بعض الزملاء بمضايقتها لذلك فشعرت بالذنب حيال الأمر.

ذات يوم قلت لديبي في الباص في طريقنا إلى المنزل: "إنه لأمر عظيم أنك صديقتي ولكنني لا أظن أنه من العدل أن تدفعي ثمن أخطائي. ليس عليك أن تكوني لطيفة معي في المدرسة. نستطيع أن نزور بعضنا البعض في المنزل ولكن عندما نكون في المدرسة، يمكنك التظاهر بأنني لم أعد أعجبك. أعلم أنك صديقتي ولكنني لن أشعر بأي تحسن إنْ نبذك الجميع أيضاً". لاحظت ارتسام الراحة على ملامح وجهها.

فقالت بامتنان: "جودي، لم أرد البوح بأي شيء ولكن كالي ودارا تضغطان عليّ كثيراً. سيكون سرنا أنك صديقتي الحميمة".

"بالطبع ديبي، سرنا".

كان التظاهر بأن ديبي لم تعد تحبني عندما نكون في المدرسة صعباً على كلينا. في الواقع، أعتقد أن الأمر كان أصعب على ديبي لأنها شعرت بالذنب وقلقت من أنها تجرحني. أحببتها لذلك.

مع مرور الأسابيع، تحيّن زملاء صفي كل فرصة سنحت لهم لافتعال المشاكل معي. فقد عوقب العديد منهم بقسوة من قبل أهاليهم بسبب سلوكهم في حفلة كالي وألقوا اللوم عليّ لذلك.

بدأت كات ودارا تسيئان معاملتي جسدياً. راحت كات تضربني في

الأروقة وتدفعني باتجاه الخزائن. وتقوم دارا برفسي على ساقيّ ومقدّمهما. بعد ظهر ذات يوم في المغسلة، حاولت أن تحرق الجانب الداخلي من معصمي بسيجارة. حاولت الصراخ ولكن جاكي شدت يدها بإحكام على فمي وهددتني بأنها ودارا ستضرباني ضرباً مبرحاً إلى أن أنزف إنْ أصدرتُ صوتاً.

لقد أخبرني والداي بأن الطريقة الفضلى لتدبر أمر المتنمرين هي إهانتهم بتعليق ذكي ولاذع ثم الاستدارة والمغادرة. قال لي أبي وأمي مراراً وتكراراً: "لا تمنحيهم الشعور بالرضا في الحصول على مرادهم. تجاهليهم وسيكفون عن إزعاجك".

فهذا ما حاولت فعله. في كل مرة حاولت دارا أو كات أو أي من أصدقائهما إساءة معاملتي، كنتُ أردّ بتعليق شفهي أو أتجاهل وجودهم بدلاً من مقاومتهم والدفاع عن حقوقي. كلما أظهرتُ لهم مدى "نضجي"، كلما زاد عزمهم لإغضابي. ما بدأ كانتقام بسيط لكوني واشية أصبح أمراً بالغ الخطورة.

كان بيتر بطلي. سأل دارا ذات صباح قبل بدء الصف: "لِم لا تدعين جودي وشأنها؟ أعلم أن الجميع غاضب منها ولكن ذلك لا يعني أنه لا بأس إنْ ضربتها".

قالت دارا: "بيتر، لا تقل لي إنك تقف في صف هذه الواشية القذرة".

"كلا يا دارا ولكنني لا أعتقد أنه من العدل ضربها. كذلك، إنْ رآك السيد وورن أو السيدة غورج، سوف تقعين في ورطة".

"تباً لك"، ضربت الأرض بقدمها فيما ابتعدت.

قلت مسترقة السمع إلى شجارهما: "شكراً لك بيتر".

فأجاب مبتسماً: "لا بأس".

رفرف قلبي. ما زال بيتر يحبني. كان المدافع عني. لستُ وحيدة في النهاية. أستطيع احتمال باقي السنة. تشبثت بفكرة أنه حتى لو لم يصادقني أحد، على الأقل يهتم لأمري كلّ من بيتر وديبي. تلك الليلة، عندما سألني والدايّ عن يومي في المدرسة، قلت لهما إن كل شيء جرى على ما يرام. وللمرة الأولى منذ أسابيع، كانت هذه الحقيقة.

حلّت عطلة رأس السنة وانقضت بسرعة. قد يكون الجميع قد نسي أحداث حفلة كالي. تكلمت مع ديبي وبيتر في الليلة الأخيرة قبل عودتنا إلى المدرسة، فأخبراني بأننا ما زلنا أصدقاء. عند وصولي إلى صف السيد وورن، تجاوزتني كات ودارا بنظراتهما. لا جدوى من الأمر. لم أتمكن من استعادة صداقتهما. في فترة بعد الظهر، مباشرة بعد صف الرياضة، اقتربت مني دارا وكات وبعض الفتيات الأخريات في غرفة الخزائن وسألنني: "أين سترتك الجديدة الجميلة؟".

أجبت: "عمّ تتكلمنَ؟ إنها في خزانتي. لماذا؟".

"هل أنتِ متأكدة؟"، سألنَ وهن يضحكنَ.

فتحت خزانتي وبالطبع كانت السترة البيضاء الجديدة التي أهدتني إياها الخالة إيفي بمناسبة العيد قد اختفت. فسألت: "ماذا فعلتنّ بها؟".

"تباً لك"، أجبنَ راكضات خارج الغرفة ومقهقهات.

بحثتُ عنها في كل مكان. في النهاية وجدتها مرصوصة داخل كرة تحت المشعاع بالقرب من خزانة البواب وقد وُضع عليها عدة علب مفتوحة من المشروب الغازي فشكّل السائل السكري بقعاً بنية كبيرة على النسيج.

رفعتُ ببطء السترة الرطبة واللاصقة عن الأرض وطويتها ووضعتها داخل حقيبة الجمنازيوم. إنْ حالفني الحظ، سأضع بعض المبيّض لإزالة البقع.

بما أنه لم يعد لديّ أي شيء لارتدائه خلال بقية النهار، أعدتُ ارتداء قميص الرياضة وفوقه سترتي وحملت كتبي وتوجهت نحو صف اللغة الإنكليزية. فيما أغلقت الباب الأمامي للجمنازيوم، اقترب مني ستيف مبتسماً وطلب الإذن لمرافقتي إلى الصف.

"رائع، سيكون ذلك عظيماً"، أجبته متحمسةً ولكن مرتبكة من الطلب غير المتوقع. فقد كان يتجاهلني منذ حفلة كالي.

قال مؤكداً: "جودي، لم أعد غاضباً منك". ثم، مدّ يده. اعتقدت أن الأمر كان غريباً. لم يحاول قط الإمساك بيدي ولكنني تحمستُ لملاطفتي من جديد. عندما مددتُ يدي لالتقاط يده، أمسك بمعصمي وراح يلويه إلى أن بدأت ركبتايَ بالانثناء. ثم، جاء كلّ من كات ودارا وجاكي والعديد من التلاميذ من خلفي. أمسكوا جميعهم بيديّ وقدميّ وجرّوني حتى الموقف خلف الحرم الرئيسي وهم ينشدون "سوف نقتلك". راحوا يرفسونني ويبصقون عليّ. مزقوا حقيبة كتبي وأفرغوا محتواها على الأرض. من الغريب أنني لم أشعر بالخوف. فقد كان قتلي يحمل الوعد بالراحة.

مرمية على الأرض، متقوقعة على نفسي ومصغية إلى ضحكاتهم، كل ما كنتُ أفكر فيه هو كيف سأشرح ما جرى لي عند وصولي إلى المنزل. فقد كان بنطالي وسترتي ممزقين وقذرين. وامتلأ شعري بالبصاق والحصى. كما أن الخدوش والرضوض غطت ذراعيّ.

بقيت هناك في وضعية الجنين أهز إلى الأمام وإلى الخلف حتى رنّ الجرس وسمعتُ المعذبين يغادرون. جلستُ وفتحت عينيّ. جمعتُ كتبي

وأوراقي ووقفت ببطء. كنتُ أتألم بشدة. لم أعلم ما أفعل فتوجهت إلى مكتب الممرضة.

كذبت قائلةً: "كنتُ أركض متجهة إلى الصف ووقعت. أفسدت سترتي فأعدت ارتداء قميص الرياضة". حدقت بي الممرضة وقد ارتسمت على وجهها علامات الجحود.

سألتها بإجفال: "أيمكنك مساعدتي على تنظيف جروحي؟ إنها تؤلمني كثيراً".

فقالت بحزم: "جودي، أنتِ لا تقولين الحقيقة".

رجوتها قائلاً: "أرجوك، لا أريد أن أكون واشية مرة أخرى. دعيني أعالج الأمر على طريقتي".

قالت: "حسناً، ولكن إنْ رأيتك في هذه الحالة مجدداً سأتصل بوالديك".

"هذا عادل بما يكفي".

على الرغم من أنها فعلت ما بوسعها، فقد بقيت علامات الهجوم ظاهرة للعيان. "هل أنتِ بخير؟"، سألت السيدة غورج فيما كنتُ أجلس بحذر على مكتبي.

كلّ العيون كانت تحدق بي. إنْ قلت أي شيء للسيدة غورج، أكون قد حفرت قبري بنفسي.

"تعثرتُ ووقعت".

سألت: "أتودين الذهاب إلى المنزل؟".

"كلا، أنا بخير".

صُدم بيتر وديبي لاكتشافهما ما حصل لي بعد حصة الجمنازيوم.

سأل بيتر: "لِم لم تصرخي ليساعدك أحد. كنت أساعد المدرب ماكميلان للإعداد لتمرين كرة القدم. لو سمعتك لكنت ركلت ستيف على أسنانه".

فقاطعته ديبي: "نعم، سحقاً للتظاهر بأنني لست صديقتك. لكان كلانا حاول إيقافهم".

فقلت بامتنان: "أعلم أنكما كنتما لتفعلا ذلك. كنتُ مرتبكة لدرجة أنني لم أقوَ على التفكير".

كانت حادثة الضرب في الموقف المخصص للمدرسة الأول بين الكثير من الحوادث المشابهة. تمنيت لو أن أهلي والبالغين الآخرين نصحوني بشكل مختلف حول كيفية التعامل مع المضايقات. لطالما عاملتني عائلتي كبالغة صغيرة وهكذا تصرفت مع أندادي. كم تقتُ لضرب دارا ضرباً مبرحاً. عندما أستلقي في سريري في الليل، أحلم بصفع كات على وجهها ولكم ستيف على معدته ورمي حقيبة يد جاكي الجلدية الجديدة في الوحل. كان الغضب ينمو في داخلي. ولكن بدلاً من السماح لنفسي الراحة في منح زملائي ما يستحقونه وربما استعادة احترامهم مع مرور الأيام، ترفعت عن ذلك وتجاهلت الأمر.

أساء الأولاد في المدرسة تفسير سلوكي. ظنوا أنني أتصرف بتكبر وكياسة. فحوّل ذلك استياءهم لما فعلته في ليلة سبت إلى ازدراء لشخصي. وفي النهاية، حتى ديبي وبيتر ابتعدا عني غير قادرين على احتمال الاحتقار والنبذ. وعلى الرغم من أنهما لم يشاركا قط في أي مضايقة أو اعتداء جسدي، إلا أن أصدقاءهما مارسوا الضغط عليهما للانفصال عني.

خشيتُ أن يكتشف والدايّ أنني فاشلة اجتماعياً مرة أخرى، فكنتُ أخفي بحذر أي آثار للاعتداء ما إنْ أصل إلى المنزل بعد ظهر كل يوم. كنتُ

أضع مستحضرات التجميل على ذراعيّ وساقيّ كي لا ترى أمي الرضوض حيث تلقيتُ اللكمات والركلات. نقعتُ بقع الدم والوحل على ملابسي في الحوض قبل وصول أمي إلى المنزل. وإنْ أردت البكاء، كنتُ أرفع صوت الستيريو حتى لا يسمعني أحد. وعندما كان أحد يسألني عن حال المدرسة، كنتُ أجيب بأن كل شيء يجري على نحو رائع وبأنني لم أكن أشعر بهذه السعادة من قبل.

علم السيد وورن والسيدة غورج بوجود خطب ما ولكنهما لم يقولا أو يفعلا شيئاً قط. بعد ظهر ذات يوم، تبعني كلّ من ستيف ودارا إلى باص المدرسة.

همست دارا: "ما الأمر؟ هل أنتِ خائفة؟".

فقال ستيف بتودد: "لِم تخافين منا؟ نحن أصدقاؤك".

شعرتُ بالغثيان. "بالله عليكما، دعاني وشأني". استغرقا في الضحك. الآن، لم أعد أهتم لما قد يحصل لي. كنتُ أغلي من شدة الغضب.

فصرختُ: "اذهب إلى الجحيم أيها السافل". ثم ضربني ستيف بقوة على صدري ضربة انقطعت لها أنفاسي. مكافحةً لالتقاط أنفاسي من جديد، وقعت على الأرض وبكيت. رآني السيد وورن فيما كان يدخل سيارته وأتى إليّ.

سألني: "ماذا جرى؟".

قلتُ: "ضربني ستيف. أطلب منك أن تحتجزه بعد دوام الدراسة. أريده أن يقع في ورطة".

فأجاب السيد وورن بتنازل: "جودي، أستطيع أن أحتجزه. فما فعله كان خطأ. ولكن ألا تعتقدين أنه سيكون من الأفضل إنْ حللتِ مشكلتك

مع ستيف في ما بينكما بدون تدخل المدرسة؟ إنْ احتجزه، لن تكوني إلا واشية. في العالم الحقيقي، علينا تعلّم خوض معاركنا.

الآن، شعرت بالوحدة أكثر من ذي قبل. "أظن أنك محق".

تلك الليلة، تجلى الوضع أمامي. ما من مكان ألجأ إليه. إنْ توجهت إلى الأساتذة، سيقع زملاء صفي في ورطة مما سيجعل الأمور أكثر سوءاً. لم أستطع اللجوء إلى والدايّ لالتماس المساعدة لأنهما سوف يصطحباني إلى مكتب الطبيب النفسي. إنّ معاملتي كخرقاء من قبل أندادي كانت سيئة بما يكفي. بالطبع لم أرد طبيباً نفسياً لتصنيفي بالخرقاء أيضاً. بالإضافة إلى ذلك، كنتُ غائبة باستمرار. فقد عانيت من حنجرة عقدية وآلام معدية دائمة. كنتُ سعيدة بطريقة ما لأن ذلك يعني أنني لن أواجه المدرسة.

جفاني النوم. تمنيتُ الموت. فرجوتُ الرب: "يا إلهي، أرجو مسامحتي على هذا الطلب، ولكن بدلاً من أن تدع شخصاً يحب الحياة يصاب بداء السرطان، دعني أصاب به مكانه. هناك الكثير من الأولاد المصابين بسرطان الدم. أرجوك، أبعد المرض عن أحدهم وازرعه فيّ. لم أعد أرغب في العيش". شعرتُ باللا أمل والضياع فرحتُ أبكي وأتنهد تنهيدات يأس. لم أسمع صوت باب غرفتي وهو ينفتح.

سألتني أمي بخوف: "يا ملاكي، ما الأمر؟".

"أمي، إنهم يكرهونني مجدداً. أنا فاشلة. أرجوك لا تخبري أبي. لا أريد الذهاب إلى طبيب للمجانين. أرجوك يا أمي".

في اليوم التالي، وعلى الرغم من طلباتي الملحة، تم تحديد موعد لرؤية طبيب نفسي مخصص للأولاد يُدعى الدكتور غراف.

الفصل الخامس

تنازع البقاء

هطل المطر على باب نافذتي. استيقظت من حلم لأتذكر فقط أنني كنتُ أعيش كابوساً لساعات قليلة. رجوت والداي ألا يصطحباني لرؤية الدكتور غراف ولكنهما لم يرقّا لحالي.

بكيتُ بمرارة: "أبي أرجوك، سأبذل جهداً أكبر. لا ترغمني على رؤية الدكتور غراف. ماذا لو رآني أحد من المدرسة أدخل إلى عيادة الطب النفسي؟ سأموت من الإحراج". كلما رجوتهما، كلما أصبحا أكثر عزماً.

فقال أبي بصبر: "يا عزيزتي، سوف يساعدك. إنّ الدكتور غراف محترم جداً وقد أحدث فرقاً في حياة العديد من الصغار".

لم يدرك والدايّ ما كانا يفعلانه بي. على الرغم من حسن نيتهما، إلا أنني شعرت بالخيانة. علمت أنني سأكون قيد التدقيق مع الدكتور غراف أكثر من زملائي. أردتُ الصراخ. ولم يكن أساتذتي يسهلون الأمر عليّ أيضاً. فقد قال كلّ من السيد وورن والسيدة غورج في اجتماع مع والدايّ أنني، برأيهما، أعاني من "مشاكل في التكيف اجتماعياً". إنّ الاستماع إلى هذه الكلمات من معلمين موقرين عزز الشك لدى والدايّ بأنني "غير طبيعية".

قلت بمرارة: "أتعتقدان أن السيد وورن والسيدة غورج على حق

وأنني المخطئة لأنني لا أتكيف في المدرسة".

أجابت أمي: "ليس صحيحاً. نريدك أنا وأبوك أن تكوني سعيدة. علينا اكتشاف سبب مواجهتك لمشاكل كهذه مع باقي الأولاد".

قلتُ: "إنني مختلفة وحسب. إنْ استطعتُ التعايش مع ذلك فلِمَ لا يمكنكما ذلك؟ لِمَ يتوجب عليّ رؤية الطبيب النفسي؟ لستُ مَن حاولت أن تحشر عفريتها في خزانة قبل عيد مولدها الثالث عشر. لستُ مَن هدد بقتل طالبة أخرى في الصف السادس. لِمَ أُعاقب على شيء لم أرتكبه؟".

"لا نأخذك لرؤية الدكتور غراف بسبب أمر سيئ اقترفته. نريد معرفة سبب نبذك. ولا يقتصر الأمر على ذلك وحسب. فأنتِ مريضة باستمرار. سبق أن أضعتِ أحد وعشرين يوماً دراسياً هذه السنة".

"أمي، هذا ليس عدلاً. كنتُ أعاني من داء الحنجرة العقدية وقبل ذلك أصبت بزكام حاد".

فاستنتجت قائلةً: "لا أقول إنك تدعين المرض. أعتقد أنك ترتاحين ضمناً عندما تصابين بالمرض لأن ذلك يعني عدم الاضطرار لمواجهة زملاء صفك. إنك تستغلين مرضك كنوع من التهرّب ولن نسمح أنا ووالدك لذلك بالاستمرار".

كانت أمي محقة بأمر واحد. كنتُ سعيدة عندما شخّص الطبيب حالتي بداء الحنجرة العقدية. كان أي شيء أفضل من الذهاب إلى المدرسة. لم أعد أحتمل أكاديمية مورغن هيلز. كان المرض ملاذي الوحيد. فلن أتعرض للضرب أو الاحتقار عندما أكون في الفراش. على الرغم من أنهما لم ينبسا ببنت شفة، علمتُ أن والداي كانا قلقين حيال حالتي النفسية.

كنتُ مكتئبة. فقدتُ الاهتمام بمظهري. لم أغسل شعري منذ أسبوع. حتى تنظيف أسناني تطلب الكثير من الجهد. لم أعد أهتم. رحتُ أبتعد عن العالم تدريجياً. كلّ ما أردتُ فعله هو التقوقع على الكنبة ومشاهدة أفلام جودي غارلاند وميكي روني القديمة والتظاهر بأن أندي هاردي وأنا كنا أصدقاء. لقد تقوقعت على نفسي. لم تستطع حتى خالاتي العزيزات اختراق ذلك.

قلتُ: "لستُ ذاهبة. سيتوجب عليكما قتلي أولاً إنْ أردتماني الذهاب لرؤية هذا الطبيب الأبله!".

حذرني أبي: "هذا يكفي. سننطلق في غضون ساعة".

انطلقنا بصمت إلى مكتب الدكتور غراف. على الرغم من أنه يبعد عنا مسافة ربع ساعة، إلا أنها بدت كساعات قبل أن نركن السيارة في الموقف المخصص للجانب الجنوبي من مركز الطب النفسي. إنه مبنى عصري من طابقين مؤلف من قرميد أبيض ونوافذ رمادية اللون وأبواب زجاجية ضخمة فبدا كمبنى يحتوي على مكاتب مؤسساتية أكثر من عيادة.

"هيا يا ملاكي، لا تخافي. أنا وأمك هنا"، قال أبي فيما رافقني بلطف إلى الداخل.

كانت قاعة الاستقبال باردة وموضوعية وتحتوي على أثاث مؤلف من الكروم والبلاستيك ومكسو باللينوليوم للتظاهر بأنه آجر. وكانت المجلات الوحيدة المتوفرة هي الطبية التي تعالج الأمراض العقلية. بالكاد يوجد شيئاً يريح الزائر للمرة الأولى. رحبت بنا ممرضة قاتمة اللون في منتصف عمرها عند المكتب الأمامي.

سألت: "هل أستطيع مساعدتكم؟".

فشرح أبي: "نعم، أنا طوني بلانكو وهذه ابنتي جودي، لديها موعد مع الدكتور غراف".

أجابت: "بالطبع، تفضلوا بالجلوس. سأعلم الدكتور غراف بوجودكم".

كان هناك الكثير من الأولاد مع أهاليهم في غرفة الانتظار. كانت هناك فتاة في الرابعة عشرة من عمرها رابضة في الزاوية تحدق إلى بعيد وقد كان معصماها ملفوفين بضمادات. وجلست أمامها فتاة أخرى باهتة اللون ونحيفة جداً لدرجة أن شكل ضلوع قفصها الصدري كانت ظاهرة تحت سترتها. استمرت في اللعب بشعرها لتوترها وشعورها بالانزعاج. وكان هناك طفل صغير يهز إلى الأمام والخلف مدمدماً ويبعد عنها بضع أمتار. كيف انتهى بي الأمر إلى هذا المكان؟

"أمي، أبي، أرجوكما لنخرج من هنا"، قبل تمكنهما من الإجابة، نادتني الممرضة باسمي. فتجمدتُ.

"تفضلي من هنا آنسة بلانكو"، أرشدتني باتجاه رواق طويل. توقفنا أمام مدخل حيث كُتب على لافتة: "الدكتور جاك غراف، معالجة اضطرابات المراهقين". إنه فيلم رعب يتحقق. إنّ الوضع برمته سخيف. إنني وحيدة ولستُ مضطربة نفسياً أو عاطفياً.

فتح الدكتور غراف الباب. فأطلّ رجل ضخم أصلع ذو عينين ثاقبتين وسلوك فظ. كسبت مقاربته إلى العلاج النفسي الانتباه القومي. إنه معروف لمساعدته المراهقين العنيدين الذين لا يتجاوبون مع المزيد من العلاجات

التقليدية. وقد أوصت به إدارة المدرسة لأن باعتقادهم تتطلب حالتي شخصاً يستطيع تدبر أمر "فتاة قوية الإرادة".

"لا بد أنك جودي. أرجوك تفضلي بالدخول"، قال مؤشراً إلى أريكة جلدية ذات لون بني باهت مقابل مكتبه. مرتدياً بذلة داكنة وقميصاً جعداً وربطة عنق خمرية، لم يبدُ كأيّ طبيب رأيته قبلاً.

"شكراً"، أجبته محدقةً إلى الشهادات المتعددة التي تزيّن الجدار.

قال محاولاً الحصول على مجموعة من الورق: "أخبرني والداك بأنك تواجهين مشاكل في المدرسة. أخبريني ما كان يحدث".

قلتُ مغيّرة الموضوع: "لم أرَ قط هذا العدد من الشهادات. كم جامعة ارتدتَ؟".

قال الدكتور غراف: "يستغرق الطب النفسي الكثير من التعليم. لقد درست أربع سنوات قبل التخرج وأربع سنوات في كلية الطب ثم أمضيت سنوات من التدريب المتخصص والعمل كطبيب مقيم وفترات التخصص".

"ما الفرق بين الطبيب النفسي مثلك وعالم النفس؟"، سألت متعجبةً من سبب تدوينه الملاحظات خاصةً وأنني تجنبت قول أي شيء مهم عن قصد.

فشرح: "يحوز الطبيب النفسي على شهادة طب بينما يحصل عالم النفس على شهادة الدكتوراه".

"ما كانت أصعب حصة في كلية الطب؟" سألته مسرورة بأن براعتي في طرح الأسئلة تنجح. إنْ استطعتُ إلهاءه في حديث صغير لمدة أربعين دقيقة سأعود إلى المنزل حرة الإرادة أو هكذا اعتقدت. إلا أنه لم يكن من

السهل تضليل الدكتور غراف.

"هذا يكفي أيتها الشابة. كفاك ألاعيب وأجيبي على سؤالي. ما كان يحصل في المدرسة؟".

رحتُ أتلوى في مقعدي. شعرت وكأنني فأر اختبار قد وقع في الشرك.

قلت: "يمكنك أن تطرح عليّ أسئلة بقدر ما تشاء ولكن الوضع لن يغير شيئاً".

فأصر قائلاً: "لن يغير ماذا؟".

"واقع أنني مختلفة".

قال بإصرار: "مختلفة كيف؟" أثار أعصابي صوته البارد. بدا الأمر كأن المكتب الفدرالي يخضعني للاستجواب.

همستُ بخجل: "لا أتكيف اجتماعياً".

سأل: "لماذا؟ يبدو أن كونك منبوذة الصف يحظى بانتباه والديك. ربما تتمتعين بذلك".

قلت لنفسي: "كيف استطاع الدكتور غراف اتهامي بشيء فظيع كهذا؟" صرختُ مانعةً دموعي من الانذراف: "هذا ليس صحيحاً. أكره واقع أن الجميع يكرهني. كما أنه لأمر فظيع أن أبي يعتقد بأنني سيئة التأقلم وفي قرارة نفسيهما يظن والدايّ أن الذنب ذنبي!" قفزت عن الأريكة وتوجهت نحو الباب فكان موصداً. "دعني أخرج من هنا. أنت لا تفهم الأمر"، صرخت بغضب فيما رحتُ أفتل مسكة الباب وأشدها.

فقال لي: "جودي، دعيني أفهم".

مرتعشةً وبدون أي خيار آخر، جلست على الأريكة وأخبرت الدكتور غراف ما كنتُ أعانيه منذ أن انقلب ضدي زملائي في مدرسة الارتقاء. كما أنني أطلعته على الحوادث في مورغن هيلز وكيف وصلت إلى مرحلة الشعور بأن عذاب الاعتداء الجسدي أقل من العذاب النفسي.

ثم قلت عند انتهائي: "مهما تكلمت معك، لن يغير ذلك شيئاً. ربما رؤية طبيب نفسي تريح والديّ ولكنْ كلانا يعلم أنك لا تستطيع مساعدتي".

فأجابني الدكتور غراف وهو يغلق دفتر ملاحظاته: "إنني أجهل ذلك. سأتكلم مع والديك لبعض الوقت. ستعيدك الممرضة إلى قاعة الاستقبال".

فيما عدت أدراجي إلى القاعة، زاد اضطرابي مع كل خطوة. ماذا كان يقول الدكتور غراف لوالديّ؟ بقيت في مكتبه لساعة فقط. كيف استطاع الادعاء بمعرفة كل شيء حول مشاكلي أو حول نفسيتي بعد زيارة واحدة فقط؟ شعرت وكأنني موضع اختبار لكائنات فضائية وأن انفعالاتي وأفكاري قيد التحليل والبحث. أستطيع سماع أصوات هذه الكائنات العالية تقول: *تظهر نتائج المخبرية الأولية للاختبار الذي أجري على النموذج البشري رقم 42556 أن خللاً يشوبه. يوصى بإحالته إلى حجيرة العزل.*

أعادني أبي إلى الواقع عندما سألني: "جودي، عزيزتي، ألا تريدين معرفة ما قاله لنا الدكتور غراف؟".

فأجبته: "أبي، أنا آسفة كنت مستغرقة في أحلام اليقظة. لم ألاحظ حتى وجودكما أنت وأمي هناك".

قالت أمي: "يود الدكتور غراف أن نحضرك مجدداً إلى هنا غداً لتخضعي لبعض الفحوصات".

"أي نوع من الفحوصات؟"، سألت شاعرةً بأنني قد أصيب بالإسهال.

أجاب أبي: "إنها جزء من عملية التقييم". وقال مؤكداً من جديد: "ليست فحوصات طبية مثل صور الأشعة وفحص الدم. سيريك الدكتور غراف سلسلة من الرسومات المنجزة بغير عناية ويسألك عما ترينه. أتذكرين لعبة الغيوم التي كنا نلعبها عندما كنت صغيرة؟ كنا ننظر إلى السماء ونختلق أشكالاً للسحب مثل الحيوانات والتنين؟ هذا تقريباً ما ستفعلينه في الغد".

قلت: "دعكما من ذلك. لن أكون حقل تجارب".

فاجابت أمي بحزم: "جودي، يود الدكتور غراف مساعدتك ولكن يجب أن تكوني مستعدة لمساعدة نفسك".

سألت: "ماذا أخبركما أيضاً؟".

أجاب أبي: "فقط أنك انفعالية جداً وربما يساهم ذلك في مواجهة المشاكل مع أصدقائك".

"ماذا تعني بـ "انفعالية"؟".

ردت أمي بهدوء: "يا عزيزتي، لا تتخذي الآن موقفاً دفاعياً. شرح لنا الدكتور غراف أن بعض الأولاد يولدون انفعاليين ومفرطي الحساسية. قال إنهم يميلون إلى الإفراط في ردود فعلهم تجاه الأمور التي لا يبالي بها الطفل العادي".

"ماذا؟ أتقولان إنني أفرطت في ردود فعلي تجاه ما حصل لي في المدرسة؟".

"كلا، يا ملاكي، على الإطلاق. ولكن الدكتور غراف قال إن مضايقة الأولاد لبعضهم البعض والسخرية من بعضهم البعض مرحلة طبيعيّة من النمو".

"أتعتبران الضرب والبصق أمراً طبيعياً؟".

"يعتقد الدكتور غراف أنك ربما تغالين قليلاً بطريقة دراماتيكية".

لا أصدق أن ذلك يحدث. ذكرني هذا بأحد الأفلام المعدة للعرض على التلفزيون حول إساءة معاملة الأطفال حيث يتحرش عمّ بابنة أخيه الصغيرة ولكنّ والديها لا يصدقانها عندما تحاول إخبارهما عما حدث. "لن يفعل أبداً شيئاً كهذا"، قالت الأم في الفيلم معاتبةً ابنتها.

كلّ مرة شاهد فيها أبي وأمي هذا أحد هذه الأفلام، كانا يواصلان الكلام عن مدى فظاعة اعتقاد الوالدين بأن ابنتهما كاذبة. "كيف يمكن أن تكونا بهذه الحماقة؟!" كان يصرخ والدايّ معاً على الممثلين أمام شاشة التلفاز. ولكن أما يفعلان الأمر ذاته معي الآن؟ استطعت الفهم من طريقة كلام أبي وأمي أنهما يعتقدان أنني كنت أواجه مشاكلي بشكل غير متناسب. لننسَ الجروح والرضوض، والملاحظات البغيضة والملابس الملطخة بالوحل. لقد وجد والدايّ الجواب السهل الذي كانا يبحثان عنه. لم تكن ابنتهما سيئة التأقلم. كانت دراماتيكية وحسب. جلّ ما تحتاج إليه هو رؤية الدكتور غراف لبعض الجلسات الإضافية فتصبح أقوى وفي يوم من الأيام يصبح ذلك كله طيّ النسيان.

قلتُ باكيةً: "أمي، أبي، نعم أعترف بأنني دراماتيكية ولكنني لستُ أبالغ في مدى سوء الأمور في المدرسة. إنّ الدكتور غراف مخطئ".

قال أبي: "جودي، إنه أحد أهم الاختصاصيين في مجال عمله. لا يمكننا صرف النظر عما يقوله. علينا أن نمنحه فرصة".

علمت أنني لن أغير رأي والداي لو مهما قلت أو فعلت. لقد أصبحت غريبة في حياتي الخاصة. لم يعد يهم ما كنت عليه. ما يهم هو رأي والداي وأساتذتي وزملائي والآن الأطباء بي. سئمت من كوني رهينة آراء الجميع لدرجة أنني لم أعد أستطيع التفكير. تحوّل عالمي إلى سيرك وكنتُ أنا المهرج.

واصلت رؤية الدكتور غراف لشهرين. وكانت كل جلسة كسابقتها. طرح عليّ الكثير من الأسئلة فيما كان يدون ملاحظات. بعد الأسبوع السادس، اتصل بوالداي لتحديد اجتماع عائلي.

قال مستنتجاً: "تعاني ابنتكما من أعراض متعلقة بالإجهاد. إنه أحد أسباب إصابتها المستمرة بالمرض. كما أن مشاكلها المعدية وإرهاقها المتواصل يحدثان بتأثير الإجهاد.

كانوا يتصرفون وكأنني غير موجودة في الغرفة. كان يتكلم ووالداي يصغيان إليه ويهزان برأسيهما. شعرت بأنني غير مرئية.

صرخت بغضب: "ليس عدلاً أيها الدكتور غراف. لا أتظاهر بالمرض".

قالت أمي موبخةً: "جودي، كيف تتجرأين على التكلم مع الدكتور غراف بهذه الطريقة! اعتذري الآن أيتها الشابة".

قاطعها الدكتور غراف: "لا بأس سيدة بلانكو. إن ابنتكما تحت ضغط كبير. أفضّل أن تنفّس عن غضبها بدلاً من التهرب والاختباء منه. يعتبر إبداء الرأي كما فعلت منذ لحظة تقدماً ملحوظاً. يظهر ذلك أنها تَمتَّن".

. قلبت عينيّ فقد كان هذا الأمر سخيفاً.

أعلمنا قائلاً: "أود أن أصف دواء لجودي لتلطيف الأعراض المتعلقة بالإجهاد".

والآن يعالجونني بواسطة الأدوية.

"هناك دواء جديد في السوق يدعى فيرستران. أظن أنه سيساعدها كثيراً".

سأل أبي وقد ارتسمت على وجهه إمارات القلق: "لكَم من الوقت سيتوجب عليها تناوله؟".

شرح الدكتور غراف: "عندما تشعر جودي بالقلق أو الاستياء، فلتتناول حبة من الدواء. سوف تهدئ أعصابها. إنه دواء خفيف ومفعوله قصير الأمد أي أنه يخرج تماماً من الجسم بعد بضع ساعات من تناول الطعام".

سألت أمي: "هل يسبب الإدمان؟".

فأجاب الدكتور غراف مؤكداً: "كلا، بتاتاً. إنّ معظم المراهقين الذين يتناولون فيرستران يكفون عن أخذه في غضون سنة أو اثنتين".

قال أبي مقترحاً: "ربما يجب الحصول على رأي آخر".

فقلت: "أبي أرجوك لا. سيعني هذا رؤية المزيد من الأطباء والخضوع إلى المزيد من الفحوص النفسية".

أجاب الدكتور غراف ملتقطاً كراسة عن مكتبه ومسلماً إياها لأبي: "أتفهم جيداً قلقك سيد بلانكو. إليك بعض المعلومات حول فيرستران. اتصل على هذا الرقم إنْ كان لديك المزيد من الأسئلة".

"شكراً أيها الطبيب"، أجاب أبي ممرّراً الكراسة إلى أمي.

"لا أعتقد أنه من الضروري أن تواصل جودي الجلسات الأسبوعية. إنّ المصاعب التي تواجهها في المدرسة ليست سراً خفياً. الأولاد سيبقون أولاداً. لقد شرحت لجودي أنها تحتاج إلى الكف عن أخذ كلّ ما يقوله زملاؤها أو يفعلونه على محمل الجدّ والاسترخاء قليلاً. أنتِ شابة موهوبة ولطيفة"، قال لي الدكتور غراف مبتسماً: "ستكونين على ما يرام".

شعر والداي بالراحة. استطعت رؤية ذلك في عيونهما. أدركت أنهما كانا يعيشان في أرض الأحلام. لم يفعل الدكتور غراف شيئاً. ما زلتُ منبوذة في مورغن هيلز. لم يتغير أي شيء.

في بداية الأسبوع، ذهب صفنا في رحلة ميدانية إلى متحف التاريخ الطبيعي. وقد تألف أحد المعارض من مخلوقات مشوهة بفعل التلوث، مثل ضفدع له رأسان، والتي تمّ حفظها في كؤوس وأحواض كبيرة مليئة بمادة الفورمالديهايد. "أنظروا يا أصحاب، إنهم أقرباء بلانكو!" صاح أحد فتيان صفي لمجموعة من أصدقائه. فاستغرقوا جميعاً في الضحك.

في تلك الليلة عندما عدت إلى المنزل من الرحلة الميدانية، أردت إخبار والداي عما جرى ورغبتُ في أن يحضناني ويواسيانني. ولكنني لم أستطع. لم يعد المنزل والعائلة ملجأي. تعلمت أن الوثوق في البالغين

يـؤدي إلى الألم أكثـر مـن الراحـة. كـلّ مـا كنـتُ أقولـه كـان يُنقـل إلى الـدكتور غـراف وكنـتُ أخشـى مـن إخضـاعي لـدواء أقـوى. لم يكـن الإجهاد جديراً بـاللوم. شـعرت بالغضـب والوحـدة. كيـف بإمكـان حبة دواء أن تصلح ذلك؟

فلجأت إلى صديقي الأمين، دفتر يومياتي. كان المكان الوحيد حيث استطعت التعبير عمـا يختلج في داخلـي مـن مشـاعر بـدون الخـوف مـن أن يحكم عليّ الأشخاص الذين فقدت ثقتي بهم. انتشلتني الكتابة من الحزن الذي يتآكلني. فوجدت العزاء في نظـم الشـعر. منحتني لغـة الشـعر سـبيلاً لتحويل جرحي وغضبي إلى رموز وصـور استطعت التحكم بهـا. عنـدما كـان زمـلاء صـفي يسـخرون مـني أو يهمسـون كلمـات بغيضـة في قاعـة الدراسـة، كنـتُ أعـزل نفسـي عـنهم وأنظـم قصـيدة وأغـوص في صـوت القلم الهادئ وهو يتحرك فوق الصفحة.

بعد ظهر ذات يوم، فيما كنتُ أنتظر أمي لاصطحابي من المدرسة إلى مكتب الدكتور غراف، سحبت إحدى زميلاتي قلماً أسـود سـحرياً ثابتـاً مـن حقيبـة كتبهـا وبينمـا ثبتـتني صـديقتها، راحـت تكتـب أشـياء بغيضة على ذراعي. ما إنْ شاهدتنا سيارة أمي تتوقف، هربتا مقهقهتين.

فيمـا كنـتُ أغمـض عـينيّ وأتخيـل أنـني أدعـى لحضـور حفـلات وأخرج مع المشجعات ولاعبي كرة القدم، أصـبحت أحلـم الآن بإيـذاء الناس. لم أتجرأ على البوح لأي أحد بتخيلاتي السـلبية فـدونتها عوضـاً عن ذلك.

الانتقام

تعتقدون جميعاً أنكم رائعون فتطعنوني في القلب

وتمتصون دمي وتقلبون حياتي رأساً على عقب

ظننتم أنكم تستطيعون استغلال فاشلة فتزيدونها ألمًا

ولكنكم ستدفعون الثمن غالياً

لن أهرب مجدداً

الانتقام، كم هي كلمة عذبة

الانتقام، كم يبدو الأمر سخيفًا

ولكن العدالة ستجدكم

إنها فقط تنتظر الوقت المناسب

لنا، تعذبوا وانزفوا دماً

ادفعوا ثمن جريمتكم باهظاً

تهرب الضحايا

خائفة مغشية البصيرة

تائهة في عالم لا يرحم

وقد سلب الوحوش أرواحها

وخلّفوها جسداً بلا روح

جسداً فارغاً وبارداً

عيونها مليئة بالكراهية

لقد أقسمت على الانتقام

لتتحدى قدرها.

لو علم الدكتور غراف بذلك، لكان زاد العلاج وهو قدر قد أفعل أي شيء لتجنبه. على الرغم من أنني حاولت أن أبقى متفائلة، إلا أن جراحي كانت تتفتح أكثر فأكثر. أردت الخروج من هذا الجحيم.

اتفقت مع والداي والأطباء لأحافظ على الهدوء في المنزل. متى تذمرت من اضطراب في المعدة أو من صداع، كانت تقدم لي أمي "حبة دواء زرقاء" أخرى. استمريت لأسابيع بتناول الدواء إلى أن ضقتُ ذرعاً به.

قلت متذمرةً: "أمي، لم أعد أريد تناول دواء فيرستران. إنه يجعلني أشعر بالنعاس. أحسّ كأنني ميتة حية". لا بد من أنها لاحظت مدى فتور همتي لأنها ولشدة مفاجأتي، لم تجادل في الموضوع.

أجابت: "حسناً يا ملاكي، أوافقك الرأي. سأتصل بالدكتور غراف".

بقيت أمي تتحدث على الهاتف لوقت طويل. آمل ألا أضطر للخضوع للمزيد من الفحوصات النفسية.

شرحت لي قائلةً: "يقول الدكتور غراف أنه لا بأس إنْ كففتِ عن تناول الفيرستران لكنه قال أيضاً إنك ما زلت تحتاجين إلى الخضوع لبرنامج السيطرة على الإجهاد. اقترح أن تكون طريقة تعلُّم ضبط وظائف الجسم الحل المناسب".

"وما هي هذه الطريقة؟"، تساءلت عما ستكون المفاجأة التي تنتظرني في حقل التجارب المحلي.

"يقول إنها نوع من إرخاء العضلات"

لا يبدو ذلك سيئاً جداً. على الأقل لا تتضمن تناول أدوية.

قالت أمي بفرح: "يريدنا أن نذهب إلى العيادة غداً بعد المدرسة. لقد

حدد موعداً لنا مع الاختصاصي".

في اليوم التالي، عندما اصطحبتني أمي بعد المدرسة لاستشارة أخرى مع خبير في القوى العقلية، لم أستطع إلا التساؤل: لِمَ ينتهي أمر الأولاد الذين يتعرضون للمضايقة من قبل المتنمرين في المدرسة في مكاتب الأطباء النفسيين؟ لِم لا يؤخذ المتنمرون إلى أطباء نفسيين؟ لِم لا يكفّ الأطباء عن إخبار أهالي الضحايا بأن أولادهم مَن يحتاج إلى المساعدة؟ وماذا عن أهالي المتنمرين؟ ما خطب البالغين كلهم؟ يبدو أنه في حال كان الطالب قاسياً أو بغيضاً مع طالب آخر فهو أمر "لا بأس به" لأنها مجرد مرحلة طبيعية من النمو. فإنْ كنت الطرف المتلقي وتعرضت للمضايقة، تكون أنت مَن يحتاج إلى المساعدة. ما هذا المنطق؟

فيما ركنت أمي السيارة في موقف العيادة، حصّنتُ نفسي من المجهول الذي ينتظرني. لم يكن لديّ أدنى فكرة عما سيحصل. أصبحت الممرضة في قاعة الاستقبال تعرف عائلتي جيداً. لقد رحبت بنا بحرارة.

"مرحباً جودي، علمت أنك ستبدأين بطريقة تعلّم ضبط وظائف الجسم معنا. سيهتم بذلك الدكتور كيلر. لِم لا تدخلان أنتِ وأمك؟ إنه يتوقع حضوركما. إنه في المكتب الثالث إلى اليسار".

كان مكتب الدكتور كيلر معقماً ومَنْفَعيّاً. كان معظم الأطباء الذين عرفتهم يحتفظون بصور لعائلاتهم على مكاتبهم. كان مكتب الدكتور كيلر خالياً إلا من بعض الأقلام الحادة ودفتر ملاحظات ومجموعة صغيرة من الملفات.

كان يرتدي الدكتور كيلر، وهو رجل في أوائل الأربعينات من العمر يبدو أنه مولع بالدراسة، سترة مختبر بيضاء وجعداء فوق بنطال من اللّفيز

وقميص قصير الكمّين. قال باسطاً يده: "يسعدني لقاؤك جودي. لا بد من أنك جوي والدة جودي".

فقلت: "يسعدني لقاؤك أيضاً. ماذا ستفعل بي بالتحديد؟".

قال مبتسماً: "أرى أنك لستِ مسرورة بالأمر". ثم شرح: "إنّ طريقة تعلّم ضبط وظائف الجسم هي عبارة عن طريقة لمساعدة الناس على السيطرة على مستوى إجهادهم بدون اللجوء إلى الأدوية أو العلاج النفسي".

فسألته متشجعة: "تعني أنني لن أضطر للتكلم عن الأمور التي تحزنني مثلما فعلت مع الدكتور غراف؟".

قال لي: "على الإطلاق. لِم لا تأتين معي فنباشر العمل؟ جوي، يمكنك الانتظار في مكتبي. سيستغرق الأمر بضع دقائق لتجهيز ابنتك ثم نستطيع الجلوس فأشرح لك عملية تعلّم ضبط وظائف الجسم وما سنفعله مع جودي".

فقالت أمي مطمئنةً: "هيا يا عزيزتي. فكري بالأمر على أنها مغامرة".

أرشدني الدكتور كيلر إلى غرفة صغيرة مجرّدة من النوافذ. بدت كمشهد من فيلم رعب. كان في وسط الغرفة أداة غريبة الشكل مثبّتة إلى الأرض وتشبه الكرسي الكهربائي. قال: "أريدك أن تجلسي هنا".

ابتلعت بصعوبة محاولةً أن أتحلى بالشجاعة. ربطني وراح يعلّق عشرات الأسلاك والأجهزة بذراعيّ وساقيّ. أدار شريط مسجّل ووضع سماعتي رأس على أذني طالباً أن أشدّ وأرخي عضلاتي بحسب تعليمات الشريط.

"لا تخافي جودي. هذه الإلكترودات غير مؤذية أبداً. إنها فقط تقيس تقدمك".

أغلق الباب وتركني وحدي.

كان باقي الأولاد يخرجون مع أصدقائهم إلى المركز التجاري أو يمارسون رياضة بعد الدوام الدراسي وكنتُ مربوطة بأداة مخيفة "أشد وأرخي عضلاتي". وفيما يشاهد معظم الناس الخيال العلمي على شاشة التلفاز، كنتُ أعيش نسيبه الخيال "الجنوني". على الأقل كان أفضل من تناول الأدوية.

**
*

كنتُ في الثانية عشرة من العمر وعلى شفير البلوغ فتحمستُ لذلك وتطلعت إلامَ سيصبح عليه جسدي. فقد انتقل العديد من الفتيات في صفي إلى ارتداء الصديريات الحقيقية. وكان ذلك حديث الساعة في المدرسة. وجدت نفسي أقارن أشكال الجميع في غرفة تبديل الملابس بعد حصة الرياضة. أدركت أن نموي الجسدي بطيء. وذات يوم فيما أستحم، ما ظننته ظهور علامات الأنوثة بدا غير منتظماً. فقد كان ثدياً أصغر من الآخر. سألت أمي إنْ كان هناك خطب ما. فأكدت لي العكس ولكن شعرت أنه علينا رؤية الدكتور كيلين للحيطة فقط. كان رأي الدكتور كيلين مطابقاً لرأي أمي مشيراً إلى أن حالتي ليست استثنائية وستصبح طبيعية في غضون سنة. إلا أن الأمر خاطئ.



الفصل السادس

بصيص

أمل

مع اقتراب العطلة الصيفية، زادت نظرتي إشراقاً حيال تمضية صيف بعيداً عن الأطباء. وأخيراً أدرك والداي أن العلاج النفسي كان يؤذيني أكثر مما ينفعني وأن العلاج الوحيد لي هو عطلة صيفية عادية. كما أنني تشجعتُ من جهة أخرى. فقد كانت شركة أبي تزدهر وتثمر واشترى هو وأمي للتو منزلاً جديداً. سننتقل إلى بايسون بارك، ضاحية جميلة تحدّها الملاعب الممتدة والبحيرات المشجّرة.

لم نكن متأكدين من المدرسة التي سأرتادها في الخريف. شجعني أبي الذي قلق من أن يبدو الأمر كالهروب على الاستمرار في مورغن هيلز التي كانت تضم مدرسة الأحداث والثانوية العامة أيضاً. إلا أن أمي لم توافقه الرأي. أرادت أن أبتعد قدر الإمكان عن هذه الأكاديمية. لذا، اقترحت أن أرتاد المدرسة العامة المحلية. لثقتهما بي، تركا لي الخيار. بما أن لديّ مهلة حتى منتصف شهر آب لاتخاذ القرار، قررت الانتظار ومعرفة كيف ستكون العطلة الصيفية.

كان الانتقال إلى الضواحي الريفية بمثابة الانتعاش بالمياه الباردة بعد التعرض كثيراً للشمس. كان التغيير منعشاً وضرورياً. لقد جدد نشاط عائلتي وانتشلنا من يأس صامت. بدا كل شيء حيال المكان الجديد مفعماً بالآمال ومشجعاً. كان منزلنا دائم الحيوية والنشاط. فقد أمضت جدتي

وخالاتي ساعات لا تُحصى ولا تعد في مساعدة والداي على الزخرفة وتفريغ الأغراض. كما أن أنسبائي حضروا يومياً لاستخدام حوض السباحة. كان وقتاً ممتعاً.

كان الجوار مليئاً بالأولاد من سني، كنتُ متوترة ومتحمسة للقائهم. غالباً ما كانوا يلعبون الكرة اللينة في الموقف الشاغر المقابل لمنزلنا. وكنتُ أشاهدهم، تواقة إلى الانضمام إليهم ولكن خائفة من ردة فعلهم إنْ توجهت إليهم وعرّفت عن نفسي. ذات يوم جمعة، في فترة متأخرة من بعد الظهر، كنتُ في غرفتي أستمع إلى شريط شون كاسيدي المفضل لديّ فسمعت جرس الباب يرنّ. هرعت إلى الأسفل لمعرفة الطارق. فكانت امرأة شابة جذابة مرتديةً جينز وكنزة وابنتها، فتاة جميلة شعرها أشقر اللون ومربوط إلى الخلف على شكل ذيل الفرس، وقد وقفتا على شرفتنا ومعهما سلة كبيرة من الفواكه المنوعة.

قالت: "مرحباً، أنا جون بابسون وهذه ابنتي إميلي. نقيم في المنزل البني في الزاوية وأردنا الترحيب بك وبعائلتك في الجوار".

فأجبت متفاجئة: "مرحباً! أنا جودي. أرجوكما تفضلا. سأنادي أمي". وصعدت السلالم بسرعة وصرخت وقد شددتُ على يد أمي: "أمي، حضرت جارة وتريد إلقاء التحية. أسرعي!".

عرّفتها إلى إميلي والسيدة بابسون.

علقت السيدة بابسون قائلةً: "سعدنا بلقائك. كنا جميعاً نتساءل عمن قد ينتقل للعيش هنا. إنه منزل جميل".

"شكراً. إنها لنعمة أن نجد أنا وزوجي هذا المنزل. أيمكنني دعوتك

لاحتساء فنجان قهوة سيدة بابسون؟".

أجابت السيدة بابسون: "أرجوك ناديني جون. بكل سرور".

"إميلي، لِم لا تأخذين جودي في جولة وتقدمينها إلى باقي الأولاد فيما أتحدث مع والدتها؟".

أجابت إميلي بحماسة: "حسناً، أمي. هيا بنا، لنذهب!".

شعرت بالسعادة والأمان فيما تنزهت مع إميلي وتحدثت إليها في بعد ظهر منعش من شهر حزيران، وتنشقت رائحة العشب المجزوز حديثاً وزهر الليلك. وكأنني كنت في سبات عميق وأفقت ببطء من عزلتي الطويلة ومططت أطرافي وفتحت عينيّ على دفء الشمس الحارقة. تمسكت بالأمل على الرغم من أن جزءاً مني كان ما يزال يشك في أنني قد أتعرض للأذى مجدداً. فيما تجولنا باتجاه ملعب الكرة اللينة، بدأت تصديق أن شتاء ماضيّ القاسي ينجلي ليحل محله موسماً ألطف من الوفرة.

"هذا جيم"، قالت إميلي بحماسة مشيرة إلى ضارب الكرة. "إنه في الثالثة عشرة من عمره وسيبدأ سنته الأولى في مدرسة الأحداث في أيلول تماماً مثلك".

"ضربة موفقة! ضربة موفقة!"، صاح العديد من أصدقاء جيم فيما انزلق على القاعدة الثانية. بوجود خمسة فتيان فقط على كل جهة، بدت المباراة مثل تدريب أكثر منها منافسة.

كان لجيم شعرٌ مجعدٌ أسود اللون وعينان بنيتان كبيرتان. طويل القامة ورياضي البنية، لفت انتباهي على الفور. "إنه وسيم حقاً"، تنهدت متخيلةً كيف قد يبدو تبادل قبلة معه. لقد سئمت من التمرن على تقبيل صورة شون كاسيدي الكبيرة الحجم المعلقة على جدار غرفتي.

راقبت إميلي وقد احمرّت وجنتاها: "نعم، إنه جذاب بالتأكيد".

"لنأخذ استراحة!"، صاح لاعب آخر معيداً تركيزنا مجدداً على المباراة. كان طويل القامة وذا عضلات ظاهرة وشعر سميك أسود، وكان مرتدياً سترة من الدنيم الباهت اللون والجينز الضيق الأزرق. ذكرني بشخصية فونزي في البرنامج التلفزيوني الأيام السعيدة.

سألت: "مَن هذا؟".

فقالت إميلي: "إنه سام، شقيق جيم وهو في السنة الثانية في الثانوية. كل الفتيات مفتونات به".

"أضيفيني إلى اللائحة!".

قالت إميلي مبتسمةً: "جودي، أنتِ مجنونة بالفتيان".

قلت ضاحكةً: "كلا، ألتفت فقط إلى الوسيمين".

"يا أصحاب، أنظروا مَن هنا"، قال جيم مؤشراً إلى إميلي وإليّ للتوجه نحوهم.

سيحبونك، لا تخافي.

قال جيم مبتسماً: "مرحباً، لا بد من أنك الفتاة المقيمة في المنزل الجديد. قالت إميلي إنها قد تحضرك معها اليوم".

قلت معترفةً: "سررت لأنها فعلت. انتقلت عائلتي إلى هذا المنزل في الأسبوع الماضي. رأيتكم جميعاً تلعبون الكرة اللينة ولكنني وجدت الأمر غير اعتيادي أن آتي إليكم بدون أن أعرف أحداً منكم".

تعاطف معي وقد أحدثت فيّ عيناه البنيتان شعوراً غريباً: "نعم،

سيكون شعوري مماثلاً. إنه لأمر صعب عندما تكونين جديدة. يا إلهي، لا تدعني أتفوه أو أتصرف بحماقة.

"أخبرني عن الأمر"، أجبت، متسائلةً إنْ كان ذلك الشعور هو الوقوع في الحب.

"بنيت أنا وشقيقي هذا العرزال الرائع. يمكن أن تعرّفك إميلي على الجميع ثم سنريك إياه".

قلت: "سيكون ذلك رائعاً".

خلال نصف الساعة التالية، تعرّفت على باقي الأولاد الذين أقاموا في الجوار. عاش ريكي (من عمري)، وشقيقه الأصغر روبي وشقيقاتهما الصغيرات الثلاث في الشارع المقابل لمكان إقامة جيم وسام. كان والداهما يعتنيان بالحدائق فامتلأت باحة منزلهم الخلفية بصفوف من الزهور والنباتات.

غريغ، فتى آخر في السنة الأولى، عاش بالقرب من البحيرة. أحبَّ الاستكشاف وغالباً ما يحث عن أفاعٍ وضفادع في الليل عبر استخدام مصابيح مضيئة. كما أنه كان مولعاً بالديناصورات وقد دعاني للانضمام إليه وإلى أصدقائه في رحلة لاكتشاف الأحافير بعد الدوام الدراسي.

أما جايسون الذي كان يطابقني في السن وشقيقاه الصغيران أقاموا على بعد عدة منازل في مزرعة عصرية ذكرتني بالمنزل في سلسلة مجموعة برايدي. غالباً ما كان جايسون الغريب الأطوار أضحوكة المجموعة. لم يبدُ أن الأمر يزعجه - على الأقل هذا ما كان يقوله.

كيم، فتاة صخابة ذات سلوك متهور، سكنت مقابل منزل جايسون

وعائلته. لديها طاولة بليارد ونافورة صودا في منزلها، فكان الجميع يذهب إلى هناك في المساء بعد إنهاء الواجبات المدرسية.

كما أن ريس، نسيب كيم، أمضى معنا الكثير من الوقت. إنه مصاب بداء السكر منذ طفولته، فحاول التعويض عن مرضه عبر التحلي بالقوة. أدركت بعد فترة قصيرة أنه كان يتظاهر بذلك. كان ينقذ الطيور الجريحة ويساعد أمي على العمل في الباحة. إنّ ريس طيب القلب ولكن معظم الأولاد الباقين كانوا يخشون انفعاله. إلا أن خوفهم لا أساس له. يمكن أن يكون سلوك ريس مخيفاً ولكنني كنت أراعيه لأنني أعلم تماماً كيف يبدو الأمر عندما يساء فهم المرء.

بول، طالب في السنة الأولى في مدرسة الأحداث ونجم فريق المصارعة في ثانويته، عاش مباشرة في الشارع المقابل لمنزل كيم. فُتنت به على الفور أيضاً. أحبت عائلته الحيوانات تماماً مثل عائلتي. وكانوا يربون كلباً هجيناً صغيراً يدعى ديوك. عندما كان يذهب بول كل صباح ليعدو كجزء من تمارين المصارعة، كان ديوك يلحق به. جعلني بول أشعر محمية منذ لحظة لقائنا.

"جودي، أمسكي بيدي كي لا تقعي"، قال بول، باسطاً ذراعه لي فيما تسلقت العرزال بخوف. إنه يقع على شجرة صفصاف عملاقة أغصانها طويلة وأوراقها خضراء غناء. لم أصعد عرزالاً قط فاستغرقت في المغامرة.

"إنه متقن الصنع"، قلت رافعةً نفسي على الألواح الخشبية التي شكلت الأرضية. "كَم استغرق من وقت لبنائه؟".

أجاب سام بفخر: "حوالى أربعة أشهر".

قال جيم: "هذا سر، لا أحد من أهلنا يعلم بوجوده".

فأكدت له قائلةً: "سرك في أمان معي".

"الآن إنه سرك أيضاً".

فانتفض قلبي.

بدأت أشفى في ذلك الصيف. تمتعت مع أصدقائي الجدد في سرور أمور المراهقة البسيطة. فكنا نذهب معاً للتنزه والاستكشاف في الغابة وجمع الأحجار ورؤوس الأسهم، ونسبح ونلعب الكرة اللينة وكرة القدم ونتسابق. وخلال فترات بعد الظهر الممطرة، كنا نحن الفتيات نستمع إلى الأسطوانات ونضحك ونثرثر حول نجوم الروك الذين نفضلهم ونمضي ساعات في اقتطاع الصور من مجلات المعجبين ولصقها على دفتر القصاصات المكرّس لمثالنا الأعلى.

متى واجه أحدنا أي مشكلة، كنا نجتمع كلنا في العرزال لمناقشتها. كان العرزال ملجأنا بعيداً عن عالم البالغين، مكاناً حيث نتشاطر أسرارنا بدون الخوف من الحكم أو العقاب. كنا نفكر ملياً بأسرار الجنس والمواعدة ونتحدث عما قد نصبح عليه عندما نكبر وننفس عن قلق المراهقة وإحباطها.

كنت من بين المحظوظات. فقد كان زواج والديّ ناجحاً ولكن بعض أصدقائي الجدد لم يحالفهم الحظ. كان والدا جايسون يتشاجران باستمرار وكانت الحياة في منزله أشبه بساحة حرب. شعرت بالأسف تجاهه. لم يسعه اللجوء إلا إلينا. وعلى الرغم من بذلنا كل الجهود لإسعاده، كان يحتاج إلى نوع من الحب والدعم اللذين لم نستطع تقديمهما له.

تناوب أهلنا لاصطحابنا إلى المركز التجاري أو السينما أو لتناول البيتزا في نهاية كل أسبوع. كما كنا نذهب إلى محل قديم الطراز لشراء الآيس كريم يبعد بضع أميال في آخر الطريق. امتلكته العائلة نفسها لثلاثة أجيال وكانت تصنع الآيس كريم في المكان ذاته مستخدمةً الكريم من الألبان المحلية. كل يوم جمعة، كانت تصحبنا أمي في سيارة البويك وتقدم لنا كوزاً من النوع الذي يحوي الآيس الكريم السميك لدرجة أنه كان يقطر من الأسفل. ففي الوقت الذي كنا نصل فيه إلى المنزل، يصبح داخل السيارة لزجاً بسبب الآيس كريم الذائب ولكنها لم تتذمر لذلك. كانت ابنتها تختبر الحياة كمراهقة "طبيعية وسليمة" ولا شيء كان ليجعلها أكثر سعادةً.

كنت أشعر بالأسف على ريس أيام الجمعة. بالتأكيد لم يكن الآيس كريم جزءاً من نظامه الغذائي. إلا أنني لم أشأ أن يشعر بأنه مستثنى فأجريت وأمي بحثاً صغيراً ووجدنا متجراً للسكاكر يبعد بضعة أميال ويبيع حلويات خالية من السكر. كل أسبوع، بعد مغادرتنا محل الآيس كريم، كنا نذهب إلى متجر السكاكر. كان ريس متحمساً. بعد مدة قصيرة، راحت بعض الفتيات تتناول الحلويات الخالية من السكر.

خلال الصيف، أصبحت وجيم صديقين حميمين. كل صباح، كنتُ أنظر من نافذتي لأرى إنْ كان مرآب جيم مفتوحاً. إنْ كان كذلك، فهذا يعني أنه يحضر دراجته وهو في طريقه إلى منزلنا. كان طقساً أمارسه كل صباح. وبعد وصول جيم، كانت تعد أمي لنا الفطور فنتناوله ونخرج مع باقي الأصدقاء طيلة النهار. وفي فترة الغسق، كنا نتنزه قرب الخليج الصغير ونتحدث عن أي شيء. أخبرته عما عانيته مع زملاء صفي السابقين. علم

أيضاً عن الدكتور غراف، مجنون طريقة تعلُّم ضبط وظائف الجسم وكيف كنت أتوق لأن يتقبلني الأولاد في مدرسة الأحداث العالية. شعرت براحة للوثوق بفتى من عمري.

لم أكن الفرد الوحيد في المنزل الذي شعر بالسعادة. فقد حلّ محل نظرات القلق التي بدت ظاهرة باستمرار على محيا والدايّ خلال السنوات العديدة الماضية ابتسامات تلمع لها العيون. لم يعد هناك جدالات بصوت خافت حول ما سيفعلانه بابنتهما السيئة التأقلم. بزغ يوم جديد.

قرر أبي أن يقيم حفلة شواء بمناسبة عيد الاستقلال ووافقت أمي برحابة صدر. آن الأوان لعائلة بلانكو أن تبدأ بالاستمتاع بالحياة مجدداً. كانت حفلة لا تُنسى: حولوا الباحة الخلفية إلى مشكال من الألوان بالإضافة إلى أعلام حمراء وبيضاء وزرقاء وزهور قُطفت حديثاً من مختلف الألوان والأحجام زينت الفناء. كما أن بركة الماء كانت تبرق كالألماس تحت أشعة الشمس.

حضر جميع جيراننا إلى الحفلة. جعل أهلي كل ضيف يشعر بالراحة لدرجة أن العديد من الأشخاص المتحفظين تخلوا عن تحفظهم؛ لقد فاجأوا الجميع بالجانب السخيف التلقائي من شخصياتهم. أغمضت عيني وتشربت الأصوات والأحاسيس من حولي: ضحكات الأشخاص واستمتاعهم في رش المياه في الحوض، ورنين كؤوس الكولا بعد نخب الصداقات الجديدة، رائحة الهمبرغر الذي يئز فوق المشواة. حفظت كل تفصيل في تلك الليلة المميزة. حتى كمراهقة، علمت أن السعادة يمكن أن تتلاشى وأن المرء يجب أن لا يستخف بأي شيء خاصة أن يُنتشل من الوحدة.

كانت هذه الحفلة على لسان الجميع لأسابيع. ذات صباح في العرزال، قال ريكي متذكراً ومقهقهاً: "هل رأيتم عبارات وجه أمي عندما دفع بها أبي إلى حوض السباحة؟".

أضاف جايسون: "نعم ولكن على الأقل كانت ترتدي أمك ثوب السباحة أما أمي فكانت تلبس بلوزة حريرية!".

"بلوزة شفافة يمكن رؤية ما تحتها عندما تبتل بالماء"، قالت إميلي وقد أمسكت بجانبيها لأنها كانت تضحك بقوة.

فأجاب: "مضحك جداً".

قاطعه روبي قائلاً: "لا تشعر بالسوء. فصدر أمك رائع!" فكرت فجأة بثديي وتساءلت لو أن أحداً قال عنهما هكذا. كل يوم تقريباً، كنت أنظر إليهما لأرى إنْ أصبح شكلهما طبيعياً. ولكن آمالي كانت تخيب فيما كنت أراقب برعب نمو الثدي اليمين باستمرار بينما بقي الثدي الآخر عقدة قاسية وضعيفة.

قررت ألا أفكر بالأمر الآن. إنها لنعمة أن أكون فرداً من المجموعة. كان من الأولويات الآن أن أختار المدرسة التي سأرتادها. وعليّ أن أتسجل في غضون بضعة أسابيع ولم أعد أريد أن يبقى القرار معلقاً فوق رأسي.

"يا أصحاب، أودّ أن أسألكم شيئاً".

"نعم، ما الأمر؟".

فشرحت لهم: "عليّ أن أقرر أي مدرسة سأرتاد هذه السنة. أود الذهاب إلى نورثويست ولكنني متوترة نوعاً ما من البدء مجدداً في مدرسة جديدة".

قال ريكي: "بالطبع يجب أن تذهبي معنا إلى نورثويست. ظننت أنك تسجلت هناك".

أجبت بإحراج: "كلا". جعلني جوابهم أشعر بالسخف لأنني قلقت منذ البداية.

قال غريغ مؤكداً: "بريك، يجب أن ترتادي نورثويست معنا. يكون الأمر رائعاً!".

أدرت وجهي مجيبةً: "حسناً". فحتى دموع الفرح لم تعتبر أمراً جيداً.

تلك الليلة، أطلعتُ والديّ على رغبتي في ارتياد مدرسة نورثويست مع أصدقائي الجدد. مسرورين لأنني اتخذت قراراً، ملأنا بسرعة الأوراق الضرورية. بعد أسبوع، وصل التأكيد على تسجيلي في البريد.

شعرتُ بسعادة لا توصف. ولكن هذه السعادة لن تبقى طويلاً...

***

إنها الليلة الأخيرة من العطلة الصيفية. كنت في غرفة نومي مع أمي نختار الملابس التي سأرتديها في الصباح.

قالت أمي بحزم: "ولا تنسي، ضعي القليل فقط من المسكرا ومسحة بلاش على وجنتيك وملمّع الشفاه الشفاف. ممنوع وضع أحمر الشفاه وظلال العيون السوداء. هل هذا مفهوم؟ سوف أتفحص وجهك في الصباح قبل مغادرتك".

"أعدك أمي أنني سأحرص على أن أبدو طبيعية".

سألت: "فتاة طيبة. هل أنت متوترة حيال يوم غد؟". أفهم من نظرة

عينيها أنها أكثر قلقاً مما يبدو عليها.

"أحاول ألا أكون متوترة. ليس الأمر أنني أبدأ من الصفر. فأولاد حينا يحبونني كثيراً كما أنهم جميعاً في نورثويست".

قالت أمي: "تذكري يا ملاكي أن تتصرفي على طبيعتك. إنْ حاول أحد مضايقتك، تجاهليه ولا تنحطّي إلى مستواه".

قلت صائحةً: "عما تتكلمين؟ لم تبدأ السنة الدراسية بعد وها أنت تفترضين الأسوأ!".

"جودي، لا تكوني حساسة إلى هذه الدرجة. كانت مجرد نصيحة صغيرة".

"كلا لم تكن كذلك. تعتقدين أنني أتجه نحو كارثة أخرى وأنني سأكون المنبوذة من جديد".

"يا عزيزتي، لستِ عادلة. لم يكن ذلك ما عنيته. الأمر فقط أنك بنيت آمالاً كثيرة ولا أريد أن يخيب ظنك. ماذا تودين الارتداء غداً؟ السترة الفضفاضة البيج أم الكنزة البيضاء؟".

"الكنزة. أكره تلك السترة. إنها تجعلني أبدو كسكرتيرة متقدمة في السن. ولا تغيري الموضوع. لن يكون الأمر كما كان قبلاً في مورغن هيلز. أعلم لِمَ كنت أتعرض للاحتقار والمضايقة هناك. كنتُ أتصرف بنضج. ولكنني تغيرت الآن. لطالما قلتما لي أنتِ وأبي أن أكون قائدة وليس تابعة. لقد كنتما كلاكما مخطئين. ما نفع أن أكون قائدة إنْ كنتُ وحيدة طيلة الوقت. هذا الصيف فعلت العكس تماماً. كنتُ فرداً من المجموعة وحسب. واتفقت مع أمور حتى لو لم أكن أوافق عليها وكانت أفضل عطلة صيفية في حياتي".

"جودي، إنني متحمسة لأن لديك أصدقاء هنا ولكن التنكّر لشخصك فقط ليتقبلك الآخرون سيؤذيك على المدى البعيد. أي حذاء ستنتعلين؟ الحذاء الخفيف أم الكعب العالي؟".

"الحذاء الخفيف. أمي تريثي. أنتِ وأبي قلقان جداً حيال المستقبل. لا أهتم بالغد. دعيني فقط أحصل على أصدقاء اليوم"، قلت متمنيةً لو أن هذا الحديث لم يبدأ أصلاً.

"يا ملاكي، كوني حذرةً وحسب وعديني بأنك ستكونين منطقية وليس أقل مما أنتِ عليه".

"أمي، لِمَ تفعلين ذلك دائماً؟ لِمَ تجعلينني أشعر وكأنني أخذلك أنتِ وأبي لمجرد أنني أريد أن أكون مثل باقي الجميع؟".

شعرت بالسوء لأنني أجبتُ أمي بحدة. ولكنني تعلمت أن المرء لا يمكن أن يكون "موهوباً" ومحبوباً في الوقت نفسه. يجب الانتقاء ما بين الاثنين. في مورغن هيلز، اخترت درب "الموهوبين" فاكتشفت أنه كان انتحاراً اجتماعياً. وقد شعر بذلك زملاء صفي. أن أكون محبوبة هو جلّ ما أهتم لأمره الآن. شعرت أن أمي وأبي كانا يثقلانني بعبء غير منطقي من خلال الاستمرار في إخباري بأنني مميزة وتشجيعي لأن أكون دائماً "الشخص الأكبر شأناً" عند حصول أي خطب في المدرسة.

كنتُ مستيقظة ومرتدية ملابسي عند الساعة السادسة من الصباح التالي. على الرغم مما اختبرته في الماضي، فإنني أحببتُ البدايات الجديدة. كان الأمل شعوري المفضل مهما كانت الظروف المحيطة به ضعيفة. فيما كنتُ أتجه نحو مكان توقف الباص، رأيت جيم وريكي يقتربان مني ملوّحين بأيديهما.

صاحا معاً: "مرحباً جودي".

كان الأمر عظيماً. سأكون على متن باص المدرسة مع مجموعة من الأصحاب ولن أواجه الأمر وحدي. في غضون دقائق، وصل الجميع تملأهم الحيوية والنشاط. إلا أن جايسون بدا شارد الذهن ومقطب الجبين.

سألت بقلق: "مرحباً جايسون، ما الخطب؟".

فأجابني: "تشاجر والداي مجدداً في الليلة الماضية".

قال ريكي: "كم هذا مثير للاشمئزاز".

تألمت لما يحدث لجايسون.

سألت إميلي: "أتعتقد أنهما قد يتطلقان؟".

كان وقع كلمة "طلاق" كبيراً على جايسون.

لقد جفل.

أجاب بصوت متقطع: "لا أدري".

"يا صاح، أنت مراهق الآن. لا تكن طفلاً. فهذا ليس بالأمر الرائع"، علّق جيم مقلباً عينيه وملتفتاً نحو ريكي وغريغ.

أصبحت أكثر غضباً مع كل كلمة ولكنني تريثت في قول شيء للدفاع عن جايسون. إنه يبكي الآن. فحاولت مواساته.

قال غريغ بسخط: "لا تدللي الطفل".

"لستُ أفعل. ولكن بربك يفترض بنا أن نكون أصحابه"، أشرت محاولةً منع نفسي من أخذ موقف. أدركت في تلك اللحظة أنه لم يكن توقعات والداي بي ما أرغمني على الدفاع دائماً عن الضعيف. كان ذلك

فعلي. لم أحتمل مراقبة شخص يتعرض للأذى فيما كنتُ أعلم أنني أستطيع فعل أي شيء لمنع ذلك. قد تظنون أنني تعلمت درسي. كلما حشرتُ نفسي في أمر ما، كان يتحول إلى كارثة: ماريان، الفتاة الصغيرة الصماء ودايف المخبول في مورغن هيلز. لا يهم مَن كان. كان الوقوف إلى جانب المرء بمثابة بداية النهاية. إلا أنني لم أستطع لوم أهلي. هذه هي شخصيتي البسيطة والطاهرة. كنتُ مولعة أو نهمة بالعقاب وفي كلتا الحالتين لم أستطع كبح جماح لساني.

هذا رائع. ها نحن نبدأ من جديد. لِمَ لا أدع الأمر وشأنه؟

"غريغ، من السهل عليك أنت وجيم أن تسخرا من جايسون. لا يصرخ والداك على بعضهما البعض في الليل والنهار. ضع نفسك مكانه".

ساد الصمت. حملق بي جيم. لم يسبق أن تشاجرنا شفهياً. لم أتكلم معه قط بلهجة تحدّ. كانت أمي محقة. كنتُ أدع حاجتي إلى التقبّل تغيرني إلى شخص قد يكون له شعبية في الحاضر ولكن قد أحتقره لاحقاً.

"جيم، أرجوك لا تغضب مني"، رجوته آملةً أن أستعيد محبته.

فقال مديراً لي ظهره: "هيا بنا غريغ، تستطيع جودي حماية الطفل إنْ أرادت".

كان طريقنا إلى المدرسة بطيئاً. جلست بالقرب من جيم آملةً أن ألقى حظوته مع وصولنا إلى المدرسة. "جيم، بربك. هل ستتجاهلني طيلة اليوم لارتكابي حماقة واحدة؟".

"اسمعي جودي، إنْ أردتِ أن يتقبلك الجميع في نورثويست وألا

يسخروا منك، سيتوجب عليك الكف عن التصرف هكذا. لا أحد يحب مصاحبة قديسة ثرثارة".

قلتُ محدثة صريراً: "أنت محق. لن أفعل ذلك من جديد".

قال: "لا بأس، لم أعنِ أن أقسو عليك بهذه الطريقة".

قلت براحة: "شكراً". على الرغم من أن الأمور عادت إلى سابق عهدها مع جيم، إلا أنني علمت أن سلوكي في ذلك الصباح قد نشر بذور الشك في ذهنه. لم أستطع لومه. فما قمتُ به لم يكن لائقاً.

"جودي، انتظري"، صاح جايسون فيما كان يخرج من الباص. "أشكرك بخصوص ما جرى هذا الصباح. وآسف لأن جيم وغريغ غضبا منك بسببي".

أجبته: "لا بأس. أعلم كيف يكون الأمر عندما تكون حزيناً وخائفاً. صدقني".

قال جايسون: "يسعدني أن والديك قررا الانتقال للعيش هنا".

سألت: "بالمناسبة، ما كنتَ تفعل قبلاً عندما كان يضايقك جيم وهؤلاء الفتيان حيال بعض الأمور؟".

فأجاب: "لا شيء. كنتُ أبتعد عنهم وأحاول نسيان ما حصل".

لِمَ لم أنعم بالحكمة ذاتها؟

لا يمكن أن يتهرب المرء من ذاته. يمكنه تجاهلها ولكن لا يمكن التهرّب أبداً. كان معظم الناس يشعرون بالعار من الأمور السيئة فيهم. أما أنا فكنت أشعر بالعار من مميزاتي الجيدة. قد ينفعني التحلي بالقوة عندما تقدمت في العمر ولكن ذلك كان يدمر حياتي الآن. لِمَ لا أستطيع أن أكون

مثل باقي المراهقات؟ لِمَ أشعر دائماً بالمسؤولية؟ لم يهتم باقي الأولاد بالأمور التي كانت تقلقني. استغرقني صيف كامل لإثبات أنه باستطاعتي استمالة الأصدقاء. سيتوجب عليّ تعلم أن أعيش بالذنب.

إنّ نورثويست مدرسة ضخمة ذات جناحين. تقع غرفة الغداء في وسط المبنى. على عكس أكاديمية مورغن هيلز، تبدو نورثويست مشرقة ومبهجة. كما أن الردهات مطلية بظلال فاتحة من الأصفر والبرتقالي والألوان المائية. كان هناك أقواس قزح مطلية على السقف. إنه تغيير جيد في الزخرفة.

فيما كنتُ أبحث عن الغرفة 101 حيث حصتي الأولى في اللغة الإنكليزية مع السيدة واكلز، شعرت بشيء ينذر بالشؤم. على الرغم من أنني أكره الاعتراف بالأمر، إلا أن سبب غضبي من أمي هذا الصباح هو تيقّني من أن ما قالته كان صحيحاً. خلال الصيف، كنت أتمرن على ما كنت قد تعلمته من مجموعة التمثيل حول كيفية تحويل الذات إلى شخصية. لقد لعبت دور "المراهقة الرائعة" بدلاً من شخصية جودي الحقيقية. على الرغم من أن أصدقائي الجدد بدوا صادقين معي حول إعجابهم بي، ما زال يتوجب عليّ العمل على موضوع التقبّل الاجتماعي. عندما كنتُ أمرّ بموقف مزعج، بدلاً من اختيار القيام بالصواب كنتُ أتظاهر بأن حينا هو المسرح وأصدقائي الجدد هم زملائي الممثلون وجميعنا نشترك في إنتاج مسرحي. كان ذلك يجعل من السهل القيام بالأمور التي أخجل بها لأنني استطعت التظاهر بأنني لم أكن الشخص المسؤول بل صاحبة الدور الخيالي الذي كنتُ ألعبه. في مرات عديدة كان يقسو الأولاد خاصةً على جايسون. كان يجب أن أتكلم ولكنني لم أفعل. إنه لشعور جيد أن يكون المرء فرداً

من مجموعة. ولم أشأ أن أعرّض ذلك للخطر ولكن هذه الخدعة النفسية القائلة بـ "هذه مجرد مسرحية، وليست الحياة الواقعية" لم تعد تنجح. لذا، تصرفت كما فعلت في محطة وقوف الباص.

كان كلّ من ريكي وغريغ وريس وإميلي معي في الصف ذاته. كانوا قد ارتادوا المدرسة المتوسطة مع العديد من زملاء صفي الجدد. "هذه جودي. انتقلت للعيش بقربنا هذا الصيف"، شرح ريكي لاثنين من أصحابه الجالسين في الصف الخلفي.

قاطعه غريغ قائلاً: "أجل، إنها رائعة".

بدلاً من الشعور بالراحة والاطمئنان للتعامل معي بلطف في نورثويست، تصرفت كمحارب قديم في فيتنام يعاني من اضطراب إجهاد ما بعد الصدمة. بدأت مشاهد من مورغن هيلز تمرّ في مخيلتي. فقد عاملني الجميع بلطف في يومي الأول هناك. أخذت نفساً عميقاً لتهدئة نفسي. كنتُ أفرط في ردة فعلي ليس حول هذه اللحظة ولكن حول ما حصل مع جيم هذا الصباح. يتشاجر الأصدقاء ولكن ذلك لا يعني أن صداقتهم تقف عند هذا الحدّ. كان عليّ أن أثق بجيم والآخرين. لم يظهروا لي أي سبب لعدم الوثوق بهم. والأهم من ذلك، احتجت إلى محاربة مصادر القلق التي استمرت في النمو داخلي. كانت مورغن هيلز من الماضي. وهذه مدرسة جديدة وبداية جديدة. إذاً، لِمَ ما زلت أشعر بأن خطباً ما سيحدث؟

كانت مدرسة الأحداث تجربة جديدة. لم يعد يعلمنا أستاذان بل أستاذ مختلف لكل مادة. كما أن التربية البدنية كانت مطلوبة. لم أكن مسرورة لذلك. فقد كان الأمر مجرد تسلية مع أولاد حينا. لم يكن مهماً إنْ تمايلت أو أخطأت الهدف أو احتليت المركز الأخير في سباق ما. أما الآن،

فسأُمنح علامة على أدائي. والأسوأ من ذلك أن حصة الرياضة تُقسم إلى فريقين. إنْ لم أبذل جهداً، لن أحصل وحدي على علامة متدنية بل سيدفع الفريق كله الثمن. لم أكن ميالة قط إلى الرياضة وكنتُ أشعر بالغرابة وخاصةً في الجمنازيوم. لم أستطع حتى تأدية الشقلبة ناهيك عن التأرجح على قضبان متوازية. على الأقل لم تكن مساعدة.

كذلك، كنتُ أخجل من تغيير ملابسي مع باقي الفتيات في حصة الرياضة. فقد أصبحت مشكلة نمو صدري أكثر ظهوراً. حتى الآن، تدبرت أمر إخفائها عن باقي الفتيات من خلال عدم الانتقال إلى استعمال الصديرية الخاصة بالرياضة قبل الحصة وتجنب الاستحمام. ولكن ما عساي فعله في سنة أخرى عندما تبدأ الثانوية؟ عندئذٍ سيكون الاستحمام بعد الرياضة إلزامياً. لقد اصطحبني والدايّ إلى عدة أطباء ولكنهم قالوا جميعاً الأمر ذاته: "سينمو صدرها تدريجياً. أملت أن يكونوا محقين.

لم يستغرقني الكثير من الوقت للتأقلم مع الجو في المدرسة. كانت حصتي المفضلة الكتابة الحرة. وكان الأستاذ بوفير غريب الأطوار وتعامله ألطف من أي أستاذ عرفته. نادراً ما كان يرفع صوته وكان يحب أن يُضحك الآخرين. حتى إنه منح تقديراً إضافياً لكل طالب يلقي نكاتوٍ في الصف. كنتُ مولعة بالسيد بوفير حقاً ولكن بعض الطلاب الآخرين لم يقدّروا أسلوبه الخارج عن التقليد. لم يعلم أنهم يظنون بأنه غريب وموضع سخرية. كان يفتخر بما يعتقد خطأً أن الشعبية العالمية هي التي منحته الثقة بأن يكون غير مثبّط. ومع ذلك كانت هذه الصفة السبب الأساسي في كونه أستاذاً فعالاً.

كان العائق الأول في نورثويست عندما أرادني زملائي في الصف أن

ينفذوا خدعة بغيضة على السيد بوفير. بعد ظهر يوم، أوقعتني آي جاي، إحدى أكثر الفتيات شعبية في نورثويست، في ورطة. كانت هي والعديد من صديقاتها، بمن فيهن كيم وإميلي، يقمن بأعمال بغيضة طيلة اليوم. أولاً، استبدلنَ ملمّع الشفاه الخاص بقائدة المشجعات بإصبع من الغراء. كانت ما تزال الفتاة المُهانة في مكتب الممرْضات محاولةً أن تزيل اللاصق بالمادة المذيبة. وأردنَ الاستمرار بأعمالهن الصباحية المزعجة، فقررنَ وضع عبوة شامبو ضد القشرة في حقيبة السيد بوفير.

لم أشعر بالسوء حيال المشجعة. فقد كان سلوكها متغطرساً ولم أعتقد أن القليل من الذل سيؤذيها. ولكن ما أردنَ فعله للسيد بوفير قد تخطى الحدود. كان يعاني من حالة جلدية مزمنة أدت إلى تقشّر بشرته. وكان يخجل من الأمر فيرتدي دائماً القمصان البيضاء كي يكون أقل ظهوراً.

طلبت آي جاي قائلةً: "جودي، إنه يفضلك من بين الجميع. نفذي الأمر".

"مستحيل، سيفتضح أمرنا!" صحتُ تواقة إلى التملّص من القيام بهذه الخدعة.

حثني الجميع قائلين: "ما زال هناك خمس دقائق قبل عودته من الاستراحة، هيا".

قفز جيم وعيناه تتلألآن: "جودي، إنها مجرد مزحة. ليست بالأمر المهم".

قلت محاولةً إقناع نفسي: "يمكنني القيام بذلك". فالسيد بوفير يتمتع

بحس الفكاهة. لن تُجرح مشاعره. كفي عن الشعور بالذنب. تذكري ما قاله جيم: "لا أحد يحب المعتوه".

همستُ والعقدة في معدتي مخيبةً ثقتي: "آي جاي، سأقف خارج الردهة ونفذي الأمر بنفسك".

• وافقت آي جاي عندما أدركت أن الوقت ينفد.

بعد مضيّ خمس دقائق، كانت المهمة قد نُفّذت. فتوجهت آي جاي بالحديث إلى السيد بوفير بلامبالاة فيما دخل الغرفة. قالت: "هل تحمل أوراقنا من الأسبوع الماضي؟ إنني متحمسة لمعرفة علامتي".

فأجاب مسروراً لرؤية هذا الحماس على مجرد واجب: "بالطبع آي جاي، لم أشأ أن أفرّق الأوراق عليكم حتى نهاية الحصة ولكن بما أنكم تتوقون لذلك، فهذا ما سنفعله الآن".

فيما مدّ يده على حقيبته، توقف فجأة وقد بدا ارتباكه. انفجرت القهقهات من آخر الصف.

همست آي جاي في أذني متحمسةً: "لا أحتمل التشويق". أردتُ أن أتقيأ ولكنني استمريت في الابتسام. لم أشأ أن أكون المنبوذة مجدداً، دميمةً ومهزومة قابعةً على الخطوط الجانبية. كان التقبّل الاجتماعي بمثابة ساحة معركة مزروعة بالألغام. كنتُ الجندي الذي كان عليه البقاء على قيد الحياة وكانت كرامة السيد بوفير ضحية الحرب.

"ما هذا؟"، سأل وقد هزّ يده ممسكاً عبوة الشامبو الزرقاء والبيضاء. "أمنح تقديراً إضافياً لَمن يقوم بمزحة في الصف وليس لجعل أضحوكة من أحد ما"، قال بصوت ضعيف يملأه الذل والصدمة. أدرك فجأة أن طلابه

الأعزاء لم يحبوه يوماً بل احتقروه. "لن أضيف أي شيء عن الموضوع"، قال وقد تلونت كلماته بحزن شخص قد تبعثرت أوهامه تماماً.

أردت الاختباء والموت. أعتقد أنني لم أسلم من الحرب. اعتقد الجميع أنني رائعة. لِمَ لم أستطع أن أجد متعة في ذلك. إنّ الحقيقة مثيرة للاشمئزاز. فإما أن يحبني الجميع ولكن أكره نفسي وإما أن أحترم نفسي ويكرهني الجميع. يا له من خيار. لم أعلم إلى متى سأبقى على هذه الحال. إنّ المراهقين حادّو الملاحظة. وفي النهاية، سيكتشف زملاء صفي أن "روعتي" كانت مجرد تمثيلية.

مع مرور كلّ يوم، أصبح من الصعب أكثر الحفاظ على أصدقائي الذين تعرفت إليهم في الصيف. سئمت التظاهر بشخصية أخرى فقط لأضمن وضعي الاجتماعي في المدرسة. مع الانتقال من الصف السابع إلى الصف الثامن، ضعفت عزيمتي.

**
*

"يبدو أن شيئاً ما في السيد بوفير قد فارقنا منذ أن قمنا بخدعة الشامبو المضاد للقشرة في السنة الماضية"، قالت إميلي بعد ظهر يوم وقد اتسمت كلماتها بالندم. لاحظت ذلك أيضاً. لقد اختفى الفرح والتلقائية اللذان كان يتمتع بهما معظم طلابه. ولكنني صرفت النظر عن هذه الفكرة رافضةً تصديقها.

بحسب أصدقائي، لم يكن ذلك شيئاً يُذكر. كانوا يقولون لي بالقرب من الخزائن، ما بين الحصص: "انتظري إلى أن نبدأ بالمتعة الحقيقية". وكنتُ أجيب بابتسامة تآمرية مستلزَمة وأعد بالتسكع بعد المدرسة ثم العودة إلى

الصف. كنتُ فرداً من المجموعة الرائعة. جلّ ما يهم الآن هو الشعبية.

تدريجياً، بدأت بالانعزال. حاولت بقدر المستطاع ولكن عادت ذاتي القديمة للظهور فبدا الأمر تقريباً وكأنني عانيت من نوع غريب من الصداع. فأحياناً، أقوم وأصدقائي بمضايقة آدم، معتوه الصف، بدون إدراكه لذلك وفجأةً أقول شيئاً مثل: "بربكم يا أصحاب، إننا نتصرف بوضاعة. لِمَ لا نتكلم عن شيء آخر؟" بدا الأمر وكأنني أعاني من تأنيب الضمير اللاطوعي. لِمَ لا يمكن أن تكون القواعد الأخلاقية الشخصية مثل مفتاح الإنارة؟ يمكنك إطفاؤه متى شئت وبعد وقت قصير تتكيف مع الظلمة.

في البداية، ما كان أحد يهتم بنوبات غضبي. كانوا ينذرونني كما فعل جيم حول مخاطر أن أكون خرقاء ثم ينتقلون إلى مواضيع أخرى أكثر أهمية مثل الوقت المحدد للعودة إلى المنزل ونجوم الروك والشائعات. لأشهر عدة، عشتُ بين كوني محبوبة وكوني سافلة. بغضت ذلك، ولكنه أفضل من البكاء حتى النوم لأن لا أصدقاء لديّ أو التسلل إلى الطابق العلوي بعد المدرسة لإزالة الوحل عن ملابسي كي لا يدرك والدايّ بأنني منبوذة الصف. كانت الحياة أشبه بميزان. وكان هذا الأخير يثبت قضية شاقة.

وكانت المشكلة الأخرى أنني لا أريد تخييب ظن عائلتي. فقد انتظر أمي وأبي طويلاً لرؤيتي سعيدة. وكانا يتمتعان بتقدمي الاجتماعي أكثر مني. كان شعورهما بالارتياح ملموساً. فرحا جداً لرؤيتي أستمتع بوقتي لدرجة أنهما لم يجادلاني حول تدني علاماتي. لقد انخفضت نسبة علاماتي من الممتاز إلى الجيد ولم أسمع منهما أي تذمر. كيف أمكنني إخبار أمي وأبي بأنهم إنْ رأوا أفعالي في المدرسة عندئذٍ لن تطول فرحتهما؟

خائفة ومرتبكة، قررت أن ألتمس نصيحة جدتي. فهي وجدي كانا

يعيشان معنا الآن في إضافة بناها والداي فوق المنزل. على الرغم من أنني كنتُ أعتقد أحياناً بأن جدتي مفرطة في التفاؤل، إلا أنني كنتُ أثق بحدسها. فيما اعترفت لها بسلوكي الرهيب، مررتُ بلحظات شعرت فيها بالعار الشديد لدرجة أنني لم أظن أن باستطاعتي إضافة كلمة أخرى. أمسكت بيدي وشجعتني على الاستمرار. بعد ساعتين وعندما فرغت من الكلام، بدأت جدتي بالتكلم.

"جودي، يمكنك التغلب على الحزن والوحدة وحتى الخسارة الفادحة ولكن الذنب يرافقك حتى مماتك".

لقد تفوهت بكلمات سبق لي أن عرفتها ولكنني لم أشأ مواجهتها. ما احتجت إليه كان خيبة الأمل. عندما ذهبت إلى الفراش، تعهدت بأنني سأكف عن التظاهر والرياء في اليوم التالي.

إنه الوقت الذي تعلمت فيه معنى التأثير التجمّعي (عندما حَدَثٌ واحد يسبّب فجأة سلسلة من الأحداث المشابهة). ما إنْ بدأت برفض الانصياع إلى مطالب المجموعة ونزواتها حتى انهار كل شيء حولي. إنّ الصداقات التي انتشلتني من الوحدة ومنحتني فرصة جديدة للعيش بدأت تتفكك. وكأن زملاء صفي كانوا تحت تأثير سحر ما وقد كسرته فجأة. راحوا يبتعدون عني الواحد تلو الآخر. كان واقع قيامي بالصواب أمراً مزعجاً. كان يفترض أن يكون احترامي لذاتي مكافأتي ولكن عوضاً عن ذلك تحوّل إلى جائزة تافهة بائسة.

كان زملاء صفي يختلقون أي عذر لإلصاقه بي. بعد ظهر ذات يوم في حصة علم الأحياء، كان من المفترض أن نقوم بتشريح خنزير جنيني. على الرغم من أنني قويت نفسي على حتمية المهمة، إلا أن رائحة

الفورمالديهايد وصوت تمزّق البلاستيك فيما راح الطلاب ينزعون الغلاف الخارجي عن الجثث الصغيرة كان كل ذلك يفوق احتمالي. لم أتمكن من إرغام نفسي على فعل ذلك. لقد أحببت الحيوانات ولم أستطع تحمّل هذا الأمر. فرفعت يدي وأخبرت الأستاذ بلات بأنه يسرني أن أقوم بأي عمل آخر يطلبه لأنني لن أشرّح حيواناً صغيراً لم يولد بعد. راح زملاء صفي يضحكون.

أجاب السيد بلات بحزم: "آنسة بلانكو، إنّ التشريح ضروري في حصة العلوم في مدرسة الأحداث. لا يمكنك النجاح في هذه الحصة بدونه".

فرجوته مانعةً دموعي: "أرجوك لا ترغمني على فعل ذلك".

"هذا يكفي يا فتاة. لا أريد أي نوع من التمثيل في هذا الصف. فإما أن تشاركي أو سأُسقطك في هذا الاختبار".

أجبته مرتجفةً: "مع خالص احترامي، سيد بلات، آسفة لا أستطيع القيام بذلك". ثم، قمت من مقعدي وجمعت كتبي وغادرت الغرفة. استطعت سماع الضحكات فيما كنتُ أمشي في الردهة.

دون أن أعلم ما عليّ أن أفعل، توجهت نحو مكتب المدير السيد غيبس. فقد كان لطيفاً ومتفهماً. كان يعرف أسماء معظم الطلاب ويتّبع سياسة الباب المفتوح للجميع. شعر بالقلق على الفور عندما رآني أدخل وعيناي حمراوتان ومتورمتان من البكاء.

"جودي، ما الأمر يا عزيزتي؟ ماذا جرى؟".

شرحت له ما حدث في حصة علم الأحياء. فوعدني بأن يتكلم مع السيد بلات. في اليوم التالي، استدعاني مجدداً إلى مكتبه خلال الحصة.

شرح لي وقد سلّمني ورقة دُوّن عليها عدة مواضيع مكتوبة باتجاه الأعلى: "تحدثت مع أستاذك. وقد وافق السيد بلات على منحك الوحدة الإضافية الضرورية للتعويض عن التشريح إنْ كتبتِ بحثاً من خمس عشرة صفحة حول أحد هذه المواضيع. ولكن ما زال عليك أن تحضري الحصة".

قلت: "شكراً لك سيد غيبس".

"بالمناسبة جودي، في ما بيننا، أنا فخور بطريقة معالجتك لهذه المشكلة. في يوم ما، ستنفعك كثيراً قوتك الداخلية هذه". هذا ما أملته ولكن الآن يجعل ذلك حياتي جحيماً.

تماماً كما توقعت، بدأت السخافات في ذلك اليوم في اللحظة التي دخلت فيها إلى المختبر.

"يا جودي"، صاح أحد الفتيان في الصف ممزقاً الغلاف الخارجي للخنزير الصغير وقذفني به. "أتريدين أن أقطع لك بعض اللحم المقدد؟" أصابتني الجيفة الصغيرة الزهرية في صدري فتناثر الفورمالديهايد على كامل بلوزتي. وقفت بلا حراك غير قادرة على التكلم بفعل الإهانة.

صرخ أحد آخر من آخر الغرفة: "ربما تفضّل شرحة لحم بدلاً من ذلك".

قبل أن أتمكن من الإجابة، دخل السيد بلات إلى الغرفة. عندما رأى حالة بلوزتي، أنّب الصف بإيجاز ثم سمح لي بالذهاب إلى الحمام.

مرّت فترة بعد الظهر بشكل لا يطاق. مع حلول وصولي إلى المنزل، أدركت بأنني لم أعد أستطيع إخفاء الحقيقة عن أهلي. قاما بمساندتي عندما شرحت لهما ما آلت إليه الحال في المدرسة. رأوا ما كان يحدث لأولاد

أصدقائهم الذين كانوا يطيعون أفراد المجموعة للحصول على قبولهم. كان البعض منهم يتعاطى المخدرات ويختبر الملذات الجنسية. على الرغم من أن والدايّ كرها فكرة أن تكون ابنتهما منبوذة مجدداً، إلا أن ذلك كان أفضل من البديل الآخر. في ذلك الوقت، لم يشكا بإرادتي بل شعرا بالامتنان لها. حتى إنهما عرضا عليّ أن أنتقل إلى مدرسة أخرى ولكنني صممت على عدم الهروب. لم يثبت هذا الحلّ فعاليته في المرة الماضية وأبى احترامي لذاتي إلا أن يتحمل المشقات حتى النهاية في مدرسة نورثويست. كما أن ما زال لديّ فقط فصلٌ واحدٌ.

كان الجزء الأصعب هو ركوب الباص من وإلى المدرسة. كان أصدقاء الحيّ يطيعون أوامر غريغ وريكي. فانقلبوا ضدي وما كانوا يكفون عن ازعاجي. كان كل يوم يشبه سابقه.

كانوا يغنون مراراً وتكراراً: "جودي معتوهة، جودي معتوهة". وأحياناً، كان أحدهم يثبتني فيما يقوم اثنان أو ثلاثة منهم برمي الرمل والبحص عليّ. ذات صباح في طريقي إلى محطة وقوف الباص، رأيتهم يقلّبون الأرض في موقع بناء قريب ويضعون شيئاً في حقائب كتبهم. لم أدرك ما كانوا يخططون لفعله، فواصلت المشي باتجاه الزاوية لانتظار الباص. فيما كانوا يقتربون، أدخل ريس يده إلى جيبه وأخرج حفنة صغيرة من الإسمنت. رفعها كي أراها ثم ألقى بها عليّ وكأنه يرمي كرة بايسبول. ارتديتُ إلى جهة اليمين لأتفادى الإصابة ولكنني لم أكن سريعة كفاية. جفلت فيما انقذفت بقوة على كتفي. كيف استطاع ريس أن يفعل ذلك بي؟ لقد ساعدته ليشعر بأنه فرداً من المجموعة من خلال إيجاد تلك الحلوى الخالية من السكر. انحدرت دموع ساخنة على وجنتيّ. فجأةً، أجزاء مثلمة

صغيرة راحت تندفع نحوي من كل حدب وصوب مثل المدافع. حاولت الهروب مخبئة وجهي بين يديّ ولكن الاعتداء كان قاسياً جداً. قلتُ: "أرجوكم توقفوا". كانت مفاصل أصابعي ومعصمايّ متورمة وملطخة بالدماء، وآثار الضرب تغطي بشرتي. لم أدرِ ما كان الأسوأ، العذاب الجسدي أم النفسي. توقف المعتدون أخيراً بعدما حصلوا على حصتهم من المتعة.

اقترب مني ريس وقد ارتسمت على وجهه النظرة الوديعة.

أجهشت بالبكاء قائلةً: "ارحل من هنا".

فشرح بتوتر: "لم يكن في نيتنا الوصول إلى هذه الدرجة، أتريدينني أن أرافقك إلى المنزل كي تنظفي نفسك؟".

قلت وأنا أقف ببطء: "كلا، أريد أن تدعني وشأني فقط. وفيما كنت أهمّ بالمغادرة، سمعت صوت النفير من بعيد. سيصل الباص قريباً. أسرعتُ في السير مجفلةً. لم أشأ أن يراني السائق بهذه الحال. يكفي الإحراج الذي يتملكني.

عندما رأى والدايّ حالتي استشاطا غضباً وأرادا الاتصال بجميع الجيران الذين تورط أولادهم بهذا الاعتداء. فأقنعتهما بالتراجع عن هذه الفكرة. وذكرتهما قائلة: "أمي، أبي، إنْ فعلتما ذلك سيعاقبهم أهلهم فتصبح الأمور أسوأ بالنسبة إليّ. أتذكران ما حصل بعد حفلة كالي في مورغن هيلز. أرجوكما، هلا تنسيان الموضوع؟" وأخيراً اقتنعا ولكن أخبراني بأنهما سيذهبان إلى الأهالي والإدارة في المدرسة إنْ تكرر ذلك الحادث.

بعد الاعتداء في محطة توقف الباص، واظبت على الذهاب إلى المدرسة.

شعر كلّ من كيم وإميلي بالذنب حيال ما حدث وحاولتا تصليح الأمور. "في النهاية، قام الفتيان برمي الأحجار عليك وليس نحن. لم نفعل شيئاً".

قلت: "بالضبط. وقفتما هناك وراقبتما ولم تفعلا شيئاً لمساعدتي. كان بإمكانكما على الأقل أن تطلبا منهم أن يتوقفوا".

أجابت كيم: "قلنا لك إننا متأسفتان".

قالت إميلي شارحةً: "كل ما في الأمر أنه لم يعد أحد يحبك وإنْ دافعنا عنك، قد يحصل لنا الأمر ذاته. ليس الأمر شخصياً. ما زلنا نعتقد أنك رائعة".

بكل صراحة، لم تعتقدا أنهما كانتا مخطئتين. لو كان الوضع معكوساً، لحاولت ردع هؤلاء الفتية أو لوجدت بالغاً ليمد يد المساعدة. لم تفعلا شيئاً. بالنسبة إليّ، هذا جعلهما أسوأ.

كان بول الصديق الوحيد الباقي. لم نرَ بعضنا كثيراً لأنه كان في فريق المصارعة مما استنفد كل وقته. لقد سمع من أمه عن الاعتداء. بعد ذلك بوقت قصير، دعاني لحضور إحدى مبارياته. أعلم أنه دعاني فقط لأنه كان يشعر بالأسف عليّ ولكنني كنت ممتنة للطفه. لم أحضر قط حدثاً كهذا في الثانوية فكنت متحمسة لذلك. فاز في المباراة. وكنتُ فخورة به. في وقت لاحق من تلك الليلة، اصطحبني لتناول البيتزا وتحدثنا لساعات. أراد الانتقام من ريس وغريغ والآخرين ولكن والداه أرغماه على أن يعدهما بعدم القيام بذلك. فيما أوصلني أمام منزلي قال لي مطمئناً: "سأكون دائماً إلى جانبك. أنتِ بمثابة شقيقتي الصغرى. سيدفعون الثمن إنْ أزعجوك في المرة القادمة".

هذه الليلة التي أمضيتها مع بول رفعت معنوياتي. كما أنني تشجعت مع حلول فصل الربيع. فنحن أصلاً في منتصف شهر آذار وسوف أتخرج

قريباً. افترضت أن الأسوأ قد انقضى وإنْ شددت العزيمة خلال الأشهر القليلة التالية، سأعود إلى المنزل مرتاحة البال. سيثبت تفاؤلي بأنه مهلك.

غطت عاصفة ثلجية عنيفة الأرض بالثلج. تأخرت بعد الدوام الدراسي وفوّت الباص. لذا، اتصلت بأمي كي تأتي لاصطحابي. رآني أحد لاعبي كرة القدم في نورثويست فيما كنت أتجه نحو المدخل الأمامي لانتظار أمي. سمعت شيئاً ونظرت خلفي. كان خمسة عشر لاعب كرة قدم واقفين خلفي. فقلت لنفسي: "ربما إنهم فقط ذاهبون إلى خزائنهم". أسرعت في السير ففعلوا ذلك أيضاً. ثم، راحوا يطاردونني في الرواق. دفعت الباب ظناً مني أن أمي ستكون في الخارج. ولكنها لم تكن هناك. أوقفني أربعة منهم، وفتح فمي بالقوة اثنان فيما راح الآخرون يحشون فمي بالثلج. لم أستطع التنفس. لوحت بذراعي بغضب محاولةً أن أتقي شرهم. كانوا يضحكون بقوة لدرجة أنهم لم يسمعوني أختنق. لم أستطع التكلم لأقول لهم بأنهم تجاوزوا حدودهم. أخيراً، صاح جيم، جيم نفسه الذي ما زلت مفتونة به بالرغم من كل شيء قائلاً: "يا فتيان، أعتقد أنها تختنق!" عندما أدركوا ذلك، تركوني وفروا هاربين.

بقيت رابضة بالقرب من الأجمات التي كانت مرصوفة على طول موقف السيارات وأنا أرتجف. تألمت من البرد. شعرت وكأن ألف إبرة صغيرة كانت تثقب بشرتي. بدأت أحس بالخدر يمتد إلى وجهي وأصابعي فرحت أصرخ. لم أعد أشعر بأنني متصلة بجسدي. وكأن كل ذلك حدث لشخص آخر غيري.

عندما وصلت أمي، وجدتني ملقيةً على الأرض وفي حالة هستيرية.



الفصل السابع

لمحات

الوزّة

"جودي، ما الأمر يا عزيزتي؟ ماذا حصل؟"، صاحت أمي وهي تخلع سترتها وتلفها حولي.

استمريت في الصراخ والتلويح بذراعي محاولة ردع المعتدين: "كلا! كفى".

قالت أمي: "يا ملاكي، لا بأس، لقد رحلوا". أمسكت بيديّ ورفعتني ثم قادتني بلطف إلى السيارة. على الرغم من أنني علمت بأنني سأكون بأمان فيما صعدت إلى المقعد الأمامي، إلا أنني كنت ما أزال مرتعبة. لم أستطع محو ذكرى عدم قدرتي على التنفس. عندما أغلقت باب السيارة، شعرت كأنني حيوان وقع في شرك. كنتُ منهكة جسدياً ونفسياً. في الوقت الذي وصلنا فيه إلى المنزل، كان الخوف الأمر الوحيد الذي أبقاني مستيقظة.

عندما دخلنا من الباب ورأى جدي النظرة في عيني، أصبح شاحب اللون.

سأل أمي: "ماذا حصل بحق الجحيم؟".

أجابت: "لست متأكدة، عندما وصلت إلى نورثويست، كانت جودي ملقية على الأرض مبللة بالماء ومرتجفة".

فقال بلطف: "أيمكنك إخبار جدك عما حدث؟ ماذا فعل بك هؤلاء الأولاد؟".

سردت أحداث بعد الظهر. قال بصوت أجش وهو يعانقني: "طفلتي المسكينة. من الجيد أنني لم أكن هناك لأنني كنتُ لأقتلهم". مسّد شعري فيما دنوت منه لمعانقته. وعدني قائلاً: "كل شيء سيكون على ما يرام".

كان والدي في نيويورك في رحلة عمل. عندما اتصلت به أمي ووصفت له الحادثة، استشاط غضباً واستقل الطائرة التالية للعودة إلى المنزل. في وقت متأخر من تلك الليلة، عقدنا اجتماعاً عائلياً.

قال أبي: "عزيزتي، أعتقد أنه علينا إطلاع مدير المدرسة على ما حدث. يجب معاقبة الأولاد الذين فعلوا ذلك".

"أبي، أرجوك، لا تتفهم الوضع. ما زال أمامي ثلاثة أشهر قبل التخرج. إنْ أوقعت أحداً في ورطة وخاصةً لاعبي كرة القدم، ستسوء الأمور أكثر وحسب".

شرح أبي: "جودي، أفهم أنك لا تريدين أن تكوني واشية ولكن الأمر بالغ الخطورة. لا يمكنك أن تدعي هؤلاء المعتدين يفلتون بفعلتهم لأنك تخشين ردة فعلهم. كيف ستشعرين إنْ تسببوا بالأذى لأحد آخر واستطعت تجنب ذلك؟ صدقيني، إنْ عوقبوا سيفكرون مرتين حول فعل ذلك مرة أخرى".

"كفّ عن الضغط عليّ. ألا ترى ما الذي تفعله؟ إنْ ذهبت إلى المدير وأخبرته بما حصل، ستتخذ الإدارة إجراءات بالتأكيد. هذا عظيم بالنسبة إلى أي مَن سيكون هدفهم التالي. ولكنها مصيبة بالنسبة إليّ. هذا مستحيل يا أبي".

قال بحزم: "جودي، لقد واجهنا المشكلة ذاتها في مورغن هيلز ونسيت الموضوع وقتئذٍ لأنني لم أحتمل رؤيتك أكثر استياءً مما كنتِ عليه. لن أقترف هذا الخطأ مجدداً. إنْ لم تتكلمي مع السيد غيبس، إذاً سنفعل ذلك أنا وأمك".

لم يكن بيدي حيلة. بالإضافة إلى ذلك، لقد كان أبي محقاً. كان من الجنون أن أدع هؤلاء المعتدين يفلتون بفعلتهم. يجب أن يتحملوا مسؤولية أفعالهم وأن يُمنعوا من تكرارها. على الرغم من أنني علمت بأن تقديم شكوى رسمية كان الصواب، إلا أن الفكرة جعلتني أنكمش خوفاً. من جهة أخرى، لا يمكن أن تسوء الأمور أكثر. وكان هناك عامل الخوف أيضاً. مَن قال إنهم لن يحتشدوا ضدي مجدداً؟ لقد منحتهم الحق في السيطرة عليّ وأدركوا ذلك.

وكأن هناك ملاحظة معلقة على لوح البلاغات في المدرسة تقول: *إنْ كنت قلقاً حيال وضعك مع المجموعة الرائعة وتريد أن تظهر لأصدقائك مدى روعتك، أضرب جودي ضرباً مبرحاً وحسب واسخر منها واجعلها تبكي. احرص على القيام بذلك أمام الجميع. بهذه الطريقة، سيتمكن الأولاد ذوو الشعبية من رؤية مدى روعتك.*

لقد كرهت نفسي. كانت قوتي هي التي حملت زملائي على مضايقتي في بادئ الأمر ولكن كان ضعفي هو الذي سمح لقساوتهم بأن تنمو. يا لها من فوضى.

في الصباح التالي، اجتمعتُ ووالدايّ مع المدير غيبس. صُدم عندما أخبرته عما حدث بعيداً عن نافذة مكتبه بخمسين قدماً (خمسة عشر متراً) فقط بعد ذهابه إلى المنزل في اليوم الماضي.

قال: "سيد وسيدة بلانكو، أؤكد لكما أن لا شيء من هذا سيحصل مجدداً طالما أنني مدير هذه المدرسة. يجب أن لا يعاني أي طالب ما عانته ابنتكما".

قلت راجيةً: "سيد غيبس، أرجوك لا تعاقب أحداً. ستسوء الأمور أكثر بالنسبة إليّ إنْ فعلت ذلك".

"جودي، لا يمكنني غضّ النظر عن هذه الحادثة. إنّ تجاهل الأمر تماماً كالتغاضي عنه. لن يكون ذلك غير عادل لك وحسب بل أيضاً سيئاً لسمعة المدرسة. للأسف، أوافق والديك الرأي. لا يمكن أن يكون العنف مسموحاً في نورثويست".

بدا وكأن الجميع يتمتع بالسلطة على حياتي ما عداي.

قال السيد غيبس مشجعاً: "أعلم أن ذلك يبدو لك كنهاية العالم ولكن بعد سنوات ستتذكرين كل ذلك وتضحكين".

أجبت بغضب: "لا أهتم بالسنوات الآتية. أنا قلقة فقط حيال اليوم والأسبوع القادم".

في غضون ساعتين، انتشرت الأخبار في المدرسة بأنني وشيت. تم طرد جيم والفتيان الآخرين الذين هاجموني من فريق كرة القدم وفُصلوا لمدة أسبوع. لم يتمكن الفريق من الفوز في البطولة القائمة ضمن نطاق المدرسة بدون نجومه. فألقت الهيئة الطلابية كلها اللوم عليّ.

كل يوم عندما يرن الجرس في نهاية كل حصة، كنتُ أتجمد من الخوف. أصبح المرور عبر الرواق أمراً مرعباً. ذات صباح، همست آي جاي في أذني خارج حصة الرياضيات: "خير لك أن توظفي حارساً

شخصياً لأننا سنضربك بلا رحمة". ثم ركلتني على قصبة قدمي بكل ما أوتيت من قوة. بعد ذلك، لم أستطع النظر في عيني أحد عند مروري في الرواق بين الحصة والأخرى لأن رؤية غضبهم كان مرعباً للغاية.

كان الإزعاج والتوبيخ الساخر قاسيين؛ وكأنني أتعرض للقصف بقطع صغيرة من الزجاج...

"أنظروا، إنها الواشية. أنشري أعمالك البغيضة في مكان آخر أيتها الساقطة".

"في المرة المقبلة، سيوضع أكثر بكثير من مجرد ثلج في حنجرتك".

"يا أصحاب، إنها المعتوهة البشعة".

"أتريدين الخروج ليلة السبت؟ سمعت أن العجوز غيبس يحتاج إلى مَن تخرج معه".

أستمر في القول لنفسي: "ما زال هناك ثلاثة أشهر حتى التخرج. يمكنني تخطي ذلك".

مع تعاقب أيام الفصل، أصبحت بليدة الهمة. تكبدت عناء الذهاب إلى المدرسة ولكنني لم أفعل أي شيء آخر. أحياناً، بعد إنهاء الواجب المنزلي، كنتُ أتنزه بالقرب من الخليج الصغير باحثةً عن الأحافير. كنت أتظاهر بأن غريغ وأولاد الحي الآخرين ما زالوا أصدقائي وأنهم آتون للقائي. كان حلماً سخيفاً ولكنه أراحني قليلاً من وحدتي حتى ولو لبضع دقائق. بين الحين والحين، كنت أتسلق إلى العرزال عندما لا يكون أحداً هناك. فأجلس وأغمض عينيّ محاولةً أن أعيش مجدداً السعادة التي عرفتها مرة هناك.

ذات مساء قبيل العشاء، رنّ جرس الباب. عندما فتحت الباب، كدت أحبس أنفاسي. كان يقف على الشرفة الأمامية كل أولاد حينا. لم يطلبوا مني الخروج معهم منذ الصيف الماضي. كنتُ متحمسة. إنني أستعيد أصدقائي!

سأل سام مبتسماً: "أتودين أن تلعبي الكرة اللينة؟".

قاطعه ريس: "ابتعت مضرباً جديداً يمكنك تجربته".

جزء مني لم يثق بهم ولكنني أردت بكل جوارحي أن ألقى حظوتهم من جديد. فيما نتجه نحو الملعب سألتهم: "يا أصحاب. لا أفهم الأمر. اعتقدت أنكم تكرهونني. ما سبب التغيير؟".

قال جيم: "شعرنا بالسوء لإيذائك".

شرح ريكي: "نعم، تكلم معنا بول في نهاية الأسبوع الماضي وجعلنا نرى الأمور بشكل مختلف".

أضافت إميلي: "نحن آسفون حقاً على كل شيء".

قال سام بحنان: "أرجوك، اقبلي صداقتنا من جديد".

ارتحت لمعرفة أن بول أقنعهم بمنحي فرصة أخرى. كان معروفاً وكانوا يحترمونه. والأهم من ذلك، عرفت أنه باستطاعتي الوثوق ببول.

أجبت: "يسعدني أن ألعب معكم الكرة اللينة".

قال سام معلناً: "سأقذف الكرة".

قال ريس: "جودي، استعملي المضرب أولاً".

لم يطلبوا مني قط أن أضرب الكرة فشعرت بالفخر. دست على

اللوح، أمسكت المضرب بحزم، أخذت الوضعية الصحيحة واستعديت لرمية سام. بدا الأمر كالأيام الخوالي. شعرت بسعادة لا توصف.

صاح ريكي وغريغ: "هيا يا ضارب الكرة".

شجعني ريس: "هيا جودي يمكنك القيام بذلك!".

ممسكاً الكرة بشدة بيده اليمنى، شدّ سام ذراعه إلى الخلف جاهزاً لقذف كرة سريعة بيد مرتفعة فوق الكتف.

قلت صارخةً: "انتظر لحظة. ليس من المفروض أن ترميها بهذه الطريقة. يجب أن تقذفها من تحت -".

قبل أن أنهي عبارتي، قذف سام الكرة نحوي. فأصابت ساقي فوق الركبة تماماً. جفلتُ. فضحك الجميع ما عدا جايسون. "كان تصرفاً وضيعاً للغاية"، قال بارتباك وقد بدا عليه الخوف مما قد تكون ردة فعل سام والآخرين تجاه استنكاره.

أجاب سام مترثراً: "ليس بنصف الوضاعة التي ستكون عليها إنْ تفوهت بكلمة واحدة للدفاع عن المعتوهة القبيحة". فخرس جايسون على الفور. ثم، ملقياً نظرة خاطفة باتجاه جيم وريكي، أومأ سام برأسه. وكأنهما كانا بانتظار تلميحاً بما يتعين عليهما أن يفعلاه، انحنيا وأنزلا سراويل الجينز وملابسهما الداخلية. "بما أنك تحبين تقبيل مؤخرة السيد غيس، لِمَ لا تحاولين تقبيل مؤخراتنا؟" قالا مستغرقيْن في الضحك. ابتسم سام ابتسامة عريضة وقد شعر بالرضا على أداء شريكيه. مدمرةً، استدرت مبتعدة.

كم كنت حمقاء يائسة ومثيرة للشفقة. أظهر لي "أصدقائي" مرة تلو

الأخرى وجوههم الحقيقية. ومع ذلك، أردت التصديق بأنهم آسفون لتسبيب الأذى لي. بدأت أصبح تماماً مثل شخصية الزوجة المعرضة دائماً للضرب في تلك الأفلام التلفزيونية التافهة حول العنف المنزلي. مهما أسيئت معاملتي وتعرضت للإهانة، كنتُ أعود دائماً للحصول على المزيد مقنعة نفسي بأن الأمور ستتغير وإنْ لم تتغير فيكون ذلك خطأي. ما خطبي؟

تؤلمني ركبتي. لم أشأ أن تعلم أمي كم كنتُ غبية، فذهبت إلى منزل بول وأخبرته عما حصل. فقال غاضباً: "سأقتلهم".

"كلا، بول. أرجوك لا تفعل. ستوقع نفسك في ورطة وحسب ولا يستحقون ذلك".

قال وهو يضع كيساً من الثلج: "ستصابين برضّة قوية. سيساعد الثلج على التخفيف من حدة التورم".

قلت: "بول، قال سام والباقون أنك تكلمت معهم عني".

أجاب: "قلت لهم أن يدعوك وشأنك. هذا كل شيء. لماذا؟".

"أشعر بالغباء. شككت بالأمر أولاً ولكن عندما أخبروني أنك أقنعتهم بنفسك بأن يكونوا أصدقائي مجدداً، صدقتهم".

قال: "جودي، لا عيب في ما فعلته. هم مَن يجب أن يشعروا بالعار".

وأخيراً، إنه يوم التخرج من الصف الثامن. كنتُ فخورة بنفسي لعدم سماحي لزملاء صفي بتحطيمي. ربما ألحقوا بي الأذى ولكنني لم أستسلم. شعرت بأنني حققت إنجازاً كبيراً وأنا أستلم الشهادة بيدي.

بعد حفل التخرج، أقام والداي احتفالاً على شرفي. قام جدي

بتعليق أعلام وبالونات ملونة على كل الأشجار في الباحة الخلفية وزينت جدتي الحديقة بشرائط وأقواس فرحة الألوان. كما حضر الحفلة خالاتي وأنسبائي وأصدقاء العائلة المقربين. على الرغم من محاولتي لأبدو متحمسة إلا أنني في الحقيقة كنتُ متعبة. أردت الاختباء تحت الغطاء ومحو ذكرى السنتين الماضيتين. وكأنني كنتُ رهينة الأحداث ولم أتمكن من التهرب منها إلا قليلاً.

كذلك، كان هناك مسألة الثانوية التي لم يناقشها أحد. لقد نفدتُ من البدايات الجديدة. هناك ثلاثة خيارات وحسب: المدرسة الكاثوليكية للفتيات؛ والمدرسة التحضيرية أي مثل مورغن هيلز ولكن مع مهاجع الطلاب؛ أو ثانوية كالفن ساموبلز، المدرسة العامة المحلية. قررت أن ثانوية ساموبلز كانت أهون الشرّين. قد تكون الثانوية مختلفة. فقد أخبرني بول بأن الطلاب أكثر نضجاً وانفتاحاً من المدرسة المتوسطة. أملت أن يكون محقاً.

لطالما كان أحد أحلام طفولتي أن أزور هوليوود وأرى الأماكن حيث كان يقيم ميكي روني وجودي غارلاند ممثلايّ المفضلان. فوجد والدايّ أن رحلة إلى جنوبي كاليفورنيا ستكون استراحة رائعة لنا جميعاً. لذا، توجهنا إلى الساحل الغربي في منتصف شهر تموز لتمضية أسبوعين هناك. كانت رحلة مدهشة. نزلنا في فندق فخم في بفرلي هيلز. وكان أحد زبائن والدي يعرف شخصاً يعمل في شركة مترو غولدوين مايرز فمُنحنا جولة خاصة لمشاهدة الاستديو.

وكان أجمل ما في الرحلة هو زيارة مسرح غرومان الصيني وهو مكان سحري وغريب حيث خلّف نجوم السينما العمالقة تذكارات ملفتة للنظر، ليس صوراً أو تماثيل أو إمضاءات بل آثار أيدٍ وأقدام على

الإسمنت وقد ذُكر تحتها التاريخ والإمضاء. كانت بعض هذه الطبعات صغيرة جداً حتى إنه من الصعب تخيل نجم بنيته أكبر من بنية مجرد طفل.

واصلت البحث عن طبعة جودي غارلاند. عندما وجدتها أخيراً، جثوت على ركبتيّ ووضعت يدي بلطف على بصمتها الصغيرة آملةً أن أعود يوماً ما إلى هذا المكان كشخص ذي نفوذ. كما أنني تمنيت لو أصبح صديقة ميكي روني فأساعده على تحقيق شيء مهم. سأكون شخصاً مهماً، شخصاً محبوباً ومحترماً من قبل الآخرين، شخصاً تتم دعوته إلى الحفلات الحصرية والأحداث الاجتماعية. فيعتمد الناس على رأيي ويطلبون نصيحتي. في يوم من الأيام، سأصبح تلك الوزّة التي أخبرني عنها والداي وأطبائي. كانت مسألة وقت وحسب. مهما كان سيحدث في ثانوية كالفن ساموليز، ستكون العجائب في انتظاري لاحقاً، وسوف أقدرها أكثر إنْ عانيت للوصول إليها.

عندما عدنا من كاليفورنيا، اتصل أستاذ الدراما السابق في مدرسة نورثويست الأستاذ بالمرتون. كل صيف، رعت لجنة الفنون بالاشتراك مع إدارة جامعة إيلينوي دورة للأداء المسرحي على نطاق الولاية. كان أحد أهم البرامج من نوعه في البلاد. فسألني الأستاذ بالمرتون إنْ كنتُ أرغب في الاشتراك في فئة الأداء المسرحي. كان جميع مَن في المدرسة يعلم أنه لطالما أراد أن يشترك أحد طلابه في المسابقة ولكنه كان ينتظر "الطالب المناسب".

قال الأستاذ بالمرتون بلهجة تشجيعية: "سيتطلب الأمر الكثير من التدريب ولكن أعتقد أنه لدينا فرصة في الفوز. ما رأيك؟".

شعرت بالفخر لاختياري من أجل تمثيل المقاطعة حيث تقع مدرستنا. قلت بتعجب: "سيد بالمرتون، هل تمزح؟ بالطبع أود الاشتراك!".

لقد اخترنا مقتطفات أدبية مختارة من إدغار لي ماستر للدور الذي سألقيه. تروي هذه المجموعة من القصائد قصة أموات يقفون فوق مقابرهم ويتذكرون حياتهم. كان تحدياً مهيباً. كان عليّ حفظ مونولوج وتأديته لخمس دقائق، وكل مونولوج في زيّ شخصية مختلفة. كان بحوزتي وشاح أسود كبير وحسب. تمرنت مع السيد بالمرتون لثلاث ساعات يومياً من الاثنين إلى الجمعة طيلة شهر آب. أحببت التمرين. فقد كان يشعرني بالبهجة وأصبح تنفيساً عن الألم والغضب اللذين يتآكلانني.

في صباح يوم المسابقة، كان منزلي أشبه بالمركز التجاري في يوم سبت. فقد كان يضج بالحيوية. حضر أفراد من العائلة والأصدقاء ليتمنوا لي حظاً موفقاً. كانت الدورة التي أقيمت في جمنازيوم ثانوية ما تبعد مسافة ساعتين من المنزل. استقلينا أنا ووالدايّ وجدّاي في سيارة واحدة وتبعنا كلّ من خالاتي وأعمامي في موكب سيّار. لا بد أن الناس ظنوا أننا كنا في موكب جنازة أو حفل زفاف. عندما توقفنا في موقف السيارات الخاص بالمدرسة ودخلنا إلى الجمنازيوم، ارتبك حارس الأمن لعدد الأشخاص الذين كانوا يرافقونني. احتل أنسبائي صفاً كاملاً من المدرج. وكانت خالات والدي يتلونَ الصلاة. كان أبي وأمي شاحبي اللون. أما السيد بالمرتون فكان يذرع المكان جيئةً وذهاباً. كنتُ الوحيدة التي لا تشعر بالتوتر. تماماً كما كنا نغني أنا وأبي في الاجتماعات العائلية، كنتُ أتشوق للوقوف أمام الميكروفون. أحببت لعب دور هذه الشخصيات وتقمّص حقيقة الآخرين لأن ذلك كان يسمح لي بالتهرب من ذاتي.

كان هناك خمسة حكام، جميعهم أساتذة مسرح في جامعات مهمة. وقد استقروا على طاولة مستطيلة في قاعدة المسرح. وكان من المقرر أن

يقوم خمسة وعشرون متسابقاً بأدائهم. كنتُ الرقم عشرين. زاد قلقي فيما كنتُ أشاهد أداء المتسابقين. كانت موهبتهم ظاهرة. فالجزء الذي اختاروه كان يضم مجموعة مختلفة من الأدوار والأساليب، من التراجيديا اليونانية القديمة إلى الكوميديا الشكسبيرية فالمسرحيات الروسية والدراما الأميركية المعاصرة. إحدى المنافسات وهي فتاة صغيرة الجسم ذات عينين زرقاوين واسعتين وصوت دافئ أدت مشهداً من رواية ترام يُدعى الرغبة لتينيسي وليامز. شعرت بثقتي بنفسي تضعف. كيف يمكنني أن أتفوق عليها؟

عند ذكر اسمي، توجهت إلى المسرح بحذر شديد. أغمضت عينيّ وأخذت نفساً عميقاً وتخيلت بأنني لم أعد جودي بلانكو بل إميليا غاريك، امرأة تحاول جاهدةً لإحراز تقدم في الحياة ولكن دمرتها منافستها. أزلت الوشاح الأسود عن عنقي وطرحته على كتفيّ كفرو القاقُم الثمين، عقدت شعري إلى الخلف ووضعت يديّ على وركيّ بجرأة. ثم، سبرتُ غور داخلي وبحثت عن كلّ ذرة من الغضب الذي شعرت به تجاه زملائي والأطباء الذين أخضعوني للفحوصات والأساتذة الذين لم يساندوني بالإضافة إلى اشمئزازي من نفسي. عندما ظننت أنني سأصرخ من شدة الألم، فتحت عينيّ وبدأت مونولوج إميليا...

نعم، ها أنا أستلقي بالقرب من أجمة ورود معوقة النمو في مكان منسي بجانب السياج حيث تغير شكل أجمات غابات سيفر وتضاءل نموها...

عندما فرغتُ من إلقاء خطاب إميليا الطيفي، أغمضت عينيّ مجدداً ونزعت الوشاح بلطف عن كتفيّ ولففته حولي كالشال ولعبت دور مايل أوزبورن، وهي امرأة وحيدة مهملة ومنبوذة من أحبائها. استحضرت في

ذهني الذكريات الحية عن العزلة والحزن اللذين عشتهما كمنبوذة. تخيلتُ حذائي وهو يطفو في المرحاض في مورغن هيلز وحقيبة كتبي المحشية بالقذارات. مع كلّ ذكرى، أحسستُ بشخصية مايبل تنمو أكثر فأكثر في داخلي. وعندما شرعتُ في الكلام، بدا الأمر كأن الحزن الذي يعتصره قلبي يُترجم في كلماتها.

زهراتك الحمراء وسط الأوراق الخضراء تتدلى يا شجرة الغرنوقي! ولكنك لا تطلبين المياه. لا يمكنك التكلّم! فأنت لا تحتاجين إلى التكلم. يعلم الجميع أنك تموتين من العطش ومع ذلك لا يحضرون الماء!... ■

زادت ثقتي بنفسي أكثر فأكثر مع كلّ شخصية أتحول إليها. مثلتُ دور زانية سُجنت ظلماً لمقتل زوجها ثم دور أم تندب خسارة طفلها غير المولود. كلما دخلتُ إلى أعماق الجروح القديمة، كلما انبثقت الشخصيات بشكل أقوى. عندما أنهيت آخر المونولوجات الأربعة، ثنيت الوشاح، وضعته على مستوى قدميّ ثم انحنيت احتراماً للجمهور. شاهدت في الساعة التالية المتبارين الآخرين فيما قدموا أدوارهم. ستكون مسابقة شديدة. عند الساعة السابعة مساء، ساد الصمت في قاعة الرياضة. توجه الحكام إلى المسرح لإعلان أسماء الفائزين. أعلنوا عن الفائزين في المرتبة الثالثة والثانية. لا شيء. أصبحت صلوات خالاتي مسموعة. إنْ خسرتُ، سأكون فاشلة حتى في ذلك.

ثم، سمعت اسمي. "وفازت في المرتبة الأولى جودي بلانكو التي كانت المتسابقة الوحيدة الحاصلة على أعلى العلامات. تهانينا، جودي!

نرجو منك الحضور إلى المسرح لاستلام جائزتك".

في تلك الليلة، ابتاع والدي زجاجة المشروب المفضّل الفاخر من دوم برينيون. عند وصولنا إلى المنزل، شربت عائلتي نخب فوزي. ستكون الثانوية على ما يرام. أثبتُ اليوم أن هناك مكاناً لي في هذا العالم. أستطيع النجاح في النهاية.

فيما شربنا كؤوس المشروب المفضل، سمعنا دوياً يصمّ الآذان من الباحة الخلفية وكأنه صوت طلق ناري. فهرع والدي وجدي لمعرفة ما حدث. وبينما فتحا الباب الخلفي، سمعا صوت فرقعة غريبة وشاهدا أعمدة من الدخان تتصاعد من رقعة صغيرة محروقة على العشب. صاح نسيبي: "أحدهم رمى قنبلة كرزية على الحديقة. لكان أحدنا فقد بصره لو كنا بالقرب من ذلك الشيء عندما انفجر".

في تلك اللحظة، رأيت باب المرآب في منزل سام مغلقاً وأنوار الطابق العلوي مضاءة. لاحظت أمي ذلك أيضاً. فقالت: "جودي، لا تدعيهم يفسدون عليك يومك المميز. إنهم فقط يغارون من موهبتك". حاولت نسيان تلك الحادثة المحزنة ولكنني لم أستطع إبعاد فكرة أن ذلك كان إنذاراً لحدوث أمور أخرى.



الفصل الثامن

مخاوف
الثانوية

أحاول بجهد أن أركز فيما تشرح الآنسة راين أول اختبار لنا في صف علم الأحياء. وعلى الرغم من محاولة تدوين الملاحظات، إلا أنني لا أستطيع الكفّ عن التحديق بمؤخر رأس تايلر. فشعره السميك بطول كتفيه يدعو إلى ملامسته. إنه يجلس قريباً مني لدرجة أنني أستطيع أن أشتم رائحة الشامبو. فأغمض عينيّ وأتخيل وجهي عند مؤخر عنقه مستنشقةً رائحة بشرته وأثر الدخان الباقي على قميصه القصير الكمّين.

تسأل الآنسة راين وقد انتشلتني من حلمي الرومنطيقي: "ما هي أهم مادة تمدّ بأسباب الحياة جودي؟ أيمكنك أن تقولي لنا؟".

"ماذا؟ أجل... ما كان السؤال؟".

تقول مكررة: "مادة الحياة يا عزيزتي، ما هي؟".

"المياه، لا بد أنها المياه، أليس كذلك؟".

"جيد، وما هو الرمز الكيميائي؟".

أجيب: "هذا سهل. إنه H2O".

على الرغم من أنني أبتسم وأتظاهر بأنني مهتمة، إلا أن ذهني ينحرف مرة أخرى فأفكر هذه المرة بالفيلم المفضل الذي شاهدته في العطلة الصيفية Grease بطولة جون ترافولتا وأوليفيا نيوتون جون. فأروح أحلم

بأنني ساندي، الشخصية التي تلعب دورها أوليفيا نيوتون جون، الفتاة الجديدة في المدرسة والمنبوذة من قبل المجموعة الرائعة التي تظن بأنها ليست سوى وضيعة المنزلة. وما يفطر قلبها أكثر هو أن داني الفتى الطيب الرقيق الذي وقعت في حبه خلال الصيف هو قائد المجموعة ويتجاهلها عندما تبدأ المدرسة لأنه لا يريد أن يعرف أصحابه بأنه يهتم لأمر فتاة منبوذة. في النهاية، لا تفوز ساندي باحترام مجموعة داني ومودتها وحسب بل أيضاً تقوم بعض الفتيات في صفها بتغيير شكلها فتصبح في قمة الروعة. أخيراً، تستعيد داني وتصبح أكثر الفتيات شعبية في صفها.

وفيما أستغرق أكثر فأكثر في حلم اليقظة، تبدو الآنسة راين مثل البالغين في شخصيات الرسوم المتحركة القديمة وكأنها تتكلم مع الجدران. على الرغم من أنني أحاول التركيز على علم الأحياء، ولكن من دون جدوى. فالحلم يشدني بقوة كما أنه يحميني من مواجهة الحقيقة المرّة. انتقل الكثير من الطلاب الذين ارتادوا المدرسة المتوسطة معي إلى ساموليز. اعتقدت بأنني سأتدبر أمري ولكنني كنتُ ساذجة. لقد استخففتُ بالعدو. لم أعتقد أن التغلب على حفنة من طلاب السنة الأولى سيكون بهذه الصعوبة. كما أنني لم أعلم مدى تأثيرهم على الطلاب الجدد.

إنّ حصة علم الأحياء هي الأسوأ خاصة بوجود آي جاي وغريغ وإميلي وآخرين من نورثويست يجلسون على بعد بضعة أمتار مني. بعد ظهر كل يوم، يحتشدون عليّ ويسخرون من ملابسي وتسريحة شعري. يسخرون مني خفية عني ويتشاطرون النكات مع باقي الصف حول رفضي لتشريح الخنزير في حصة السيد بلات أو حول توجهي إلى المدير باكيةً بسبب "شجار تافه". أشعر وكأنني محتجزة داخل ستيريو يشغّل شريطاً معطلاً...

"بلانكو، أنت فاشلة".

"لا تعاملوها بلطف. إنها مقرفة. بغضناها كثيراً في المدرسة المتوسطة".

"للأسف أنك لم تكوني عبئاً كبيراً".

إنْ لم أجد طريقة لإيقافهم عن التقليل من شأني علناً، فسينتقل ازدراؤهم كالعدوى. سوف أحمل وصمة منبوذة الصف مجدداً. في البداية، بذلت جهداً للتكلم معهم بلغة المنطق. "بربكم يا أصحاب. لم نعد في المدرسة المتوسطة. لنفتح صفحة جديدة".

"فرصة ضئيلة"، قالوا مقلّبين أعينهم بتآمر.

أعلم أن القسوة هي كالعملة في الثانوية. يمكنها شراء السلطة والشعبية. يحسّ أصدقائي السابقون بيأسي ويتسلون بالأمر من خلال استغلاله. إنهم بحاجة إليّ. ولكنهم خائفون بقدري حيال التعرف على أصدقاء في ساموليز. عليهم أن يثبتوا للمجموعة الرائعة أنهم يتمتعون بالمتطلبات الضرورية لذلك. وأنا أملهم الأفضل. جلّ ما عليهم فعله هو جعل الجميع يرى أنني المنبوذة. ثم يقولون للمجموعة ذات الشعبية، "لدينا اهتمام مشترك. لا أحد منا يحب جودي". فيؤكد ذلك وضعهم الاجتماعي. لو لم أكن غاضبة حيال ذلك، لكنت ضحكت.

علقت آي جاي ساخرةً: "تايلر، أنا أكيدة من أن جودي لم تعانق أحداً قبلاً. لمَ لا تمنح الآنسة بريسّي (الصعبة الإرضاء) قبلة الرحمة؟".

"أفضّل بالأحرى امتصاص النفايات"، أجاب مفتخراً بجوابه الذكي. فاستدار كلارك مزاح الصف وصديق تايلر العزيز وصافحه.

لا أفهم. نستقل أنا وتايلر الباص نفسه. لم يكن فظاً قط معي.

يتجاهلني بوجود أصدقائه ولكنه يفعل ذلك ليحمي سمعته وحسب. لن يكون رائعاً بالنسبة إليه إنْ شوهد يتحدث مع شخص ليس فرداً في مجموعته. ولكن عندما نكون وحدنا يتصرف بلطافة. أعتقد أنه من الأفضل أن أعتاد الأمر. يتسابق جميع طلاب السنة الأولى للحصول على المنصب الآن. هذا صحيح خاصةً لأشخاص مثل تايلر الذي لم يعرف إلا الشعبية. وبدون هذه الأخيرة تكون فكرة الذهاب إلى الثانوية من أعظم مخاوفهم. لو أنني أتمكن من إبقاء زملائي القدامى من نورثويست في وضع حرج، فسأحظى بفرصة مع الطلاب الجدد.

فتقول الآنسة راين موجهةً نظرة غاضبة: "هذا يكفي تايلر. إنْ رأيت مصافحة أخرى سأضعك في الاحتجاز".

غرقت في مكتبي. فها نحن نبدأ من جديد. من الصعب التصديق بأنني أستطيع فتح صفحة جديدة في ساموبلز. ليس الحب الذي لا تلقاه هو أصعب ما في الأمر عندما يكون المرء منبوذاً ولكنه الحب الذي يتوق إلى تقديمه ولا يريده أحد. وبعد فترة، يعود إلى جسمك كالمياه الراكدة ويصبح ساماً فيسمم روحك. عندما يحصل ذلك، لا يكون أمامك العديد من الخيارات. يمكنك أن تصبح وحيداً وتمضي قدماً في حياتك غاضباً على العالم أجمع؛ يمكنك أن تستشيط غضباً إلى أن يأتي اليوم الذي تقتل فيه زملاءك. أو يمكنك إيجاد مخرجاً لحبك حيث سيُقدّر حبك وتكون محبوباً بالمقابل.

تتمتع مدرسة ساموبلز ببرنامج تربوي خاص معترف به قومياً. ومعظم الطلاب في هذا البرنامج مصابون بمتلازمة داون وغيرها من الاختلال في النمو. غالباً ما يتوقفون للتكلم معي بين الحصة والأخرى

لأرى صورة قد رسموها أو ليغنوا أغنية جديدة قد تعلموها. يشعرون بوحدتي كما يستطيع أعمى أن يسمع أصواتاً بالكاد نستطيع سماعها. إنهم يمتلكون روحاً سامية ومشاعر شفافة لأنهم غير مثقلين بالرغبات التافهة والاهتمامات السطحية.

• كل يوم، يحتمل طلاب البرنامج التربوي الخاص إساءة معاملة الطلاب الآخرين لهم. يتعرضون للمضايقة بلا رحمة ويُطلق عليهم أسماء مثل "المتخلفين عقلياً" و"المصابين بالشلل التشنجي" و"المجانين". هؤلاء الأطفال بريئون لدرجة أنهم غالباً ما لا يفهمون قساوة الشتائم. يبتسمون بالمقابل ويقدمون للشاتمين قطعة علكة آملين أن يتكلم معهم أحد "الأولاد الكبار". ولكن العديد من الأساتذة يتجاهلون الأمر. يذكرني ذلك بمدرسة الارتقاء إلا أن هذا أسوأ بكثير. يدير مدرسة الارتقاء معلمون ومعلمات يمارسون التعاطف. أما في ساmويلز فتسود اللامبالاة. يصل معظم الأساتذة هنا عندما يضطرون لذلك ويغادرون بأقرب وقت ممكن ويقومون بأدنى معدل من الأمور. يبدو أن المعلمين في البرنامج التربوي الخاص يولون اهتماماً أكثر ولكن ذلك لا يجعلهم أكثر شجاعةً. يراقبون طلابهم فيما يتعرضون للمضايقة يوماً بعد يوم ولكن نادراً ما يقاومون. لا أحد في ساmويلز يحب أن يحرز تقدماً. *يا إلهي لِمَ أكون دائماً في البيئة الخاطئة*.

ما زالت الآنسة راين تتكلم عن المياه. أشعر بالذنب قليلاً. إنها تبذل قصارى جهدها محاولةً أن تحفّز طلابها. ولكن بصراحة ليست المياه موضوعاً مثيراً للاهتمام. الصف بأكمله مصاب بالملل. أتمنى لو أنها تغير الموضوع. إنْ شعر زملائي بالضجر، فسيضايقونني كي يقطع الوقت. *هيا، يا آنسة راين اختاري موضوعاً آخر*. ولكنها تواصل الشرح. "هناك الكثير

من المواد الملوثة في مياهنا كما ترون في الصور الموجودة على الصفحة مئة من الكتاب...".

أستمر في إلقاء نظرة على الساعة المعلقة على الجدار. لا يزال هناك خمس دقائق فقط قبل انتهاء اليوم. وأخيراً، رنّ الجرس. فيما أجمع كتبي، أسمع تايلر وكلارك يتجادلان بهزل حول مع أي منهما ستخرج جاكلين، الفتاة الأكثر إثارة في المدرسة. تتمتع جاكلين التي تحاول أن تبدو وتتصرف على نحو أنضج من عمرها بجسم صغير وعينين بنيتين وشعر أسود محمرّ جميل. وترتدي تنانير قصيرة وأحذية عالية الكعب وسراويل جينز ضيقة جداً لدرجة تجعل المرء يتساءل إنْ تستطيع التنفس. لا تتمتع بالشعبية مع الفتيان بسبب شكلها وحسب. إنها معروفة بحبها للمقاعد الخلفية من السيارات.

"أراهنك على عشر دولارات بأنها لن تتمكن من مقاومتي"، قال تايلر مخرجاً مشطاً من جيبه الخلفية وممسداً شعره.

"أقبل الرهان"، يجيب كلارك مربّتاً على ظهر تايلر. أستمع إلى حديثهما متمنيةً لو كانا يتنافسان عليّ.

فيما أتجه نحو الباص، أرى رودجر أحد أصدقائي في البرنامج الخاص بوقف مارك، كابتن فريق كرة القدم. يشكو رودجر من حالة صعبة. فقدرته العقلية توازي عقل طفل في الثامنة من العمر. كما أنه يعاني من اضطراب أفقده شعره حتى إنه ليس لديه حاجبان أو رموش. إنه مصاب كذلك بخلل في الأيض مسبباً له السمنة كما أن عضلاته هشة وناقصة النمو. على الرغم من أنه يستطيع قول عبارات بسيطة بإيجاز إلا أنه يلثغ مما يجعل من الصعب فهم ما يقوله. يحب رودجر الألوان الفاتحة ويُعجب بزيّ

مارك الأزرق والذهبي. جلّ ما يريده هو لمسه. بينما يقترب مارك، يمدّ رودجر يده ويضع إصبعه بحذر على الصقور التي تمثّل شعار سامويلز. يصده مارك ويصيح: "ابتعد عني أيها المختل الغبي". لا يعرف رودجر ما يفعل حيال نوبة غضب مارك. فابتعد مرتبكاً وخائفاً لأنه أغضب أحد "الأولاد الكبار".

ذهبت إلى رودجر وقلت له: "رودجر، لا تشعر بالسوء"، محاولةً أن ألطّف مشاعره المجروحة. نظر رودجر إليّ بعينيه الزرقاوين وابتسم ابتسامة عريضة.

أدرك الآن ما تعنيه دوروثي في المشهد الأخير من الساحر أوز عندما تقول إنه إنْ كان عليك أن تبحث ما وراء بابك الأمامي عن رغبة قلبك، فربما لم تكن موجودة أصلاً لتبدأ بها. هل أريد أن أكون فرداً من المجموعة الرائعة؟ نعم بكل جوارحي. هل أتوق إلى الذهاب في موعد مع تايلر وحضور كل الحفلات الرائعة؟ أكثر مما يمكن أن تصفه الكلمات. ولكن ربما هذه الأمور ليست ذات أهمية. ربما، مثل دوروثي، عليّ تقبّل الحب الذي أراه أمامي وليس البحث عن حلم محيّر لم يكن مهماً أصلاً تماماً.

"رودجر، أتصحبني إلى معلمتك الآنسة أوشيا؟".

"نعم، نعم"، أجاب رودجر ممسكاً بيدي. فيما نتجه نحو صفه، فكرتُ في ما قد قاله لي أبي حيال أن يكون للمرء هدف في الحياة، شيء يجعله يرغب في النهوض في الصباح مهما كلّف الأمر. أسأل السيدة أوشيا إنْ كانت تسمح لي بالتطوع يومياً خلال وقت الغداء.

أقول لها: "أرجوك سيدة أوشيا؟ أعدك بأن ذلك لن يؤثر على علاماتي. أريد فعلاً أن أعمل مع الأولاد في البرنامج التربوي الخاص".

امرأة صغيرة الجسم ذات شعر أحمر اللون وفي مقتبل الأربعينات من العمر، تنظر إليّ الآنسة أوشيا بعين الشك. وتجيب: "هل أنت مستعدة لذلك؟ إنهم أولاد رائعون ولكن يمكنهم أن يخيبوا ظنك".

"نعم. امنحيني فرصة".

"هذه هي المشكلة. يحتاج هؤلاء الأطفال إلى المتابعة باستمرار. استقبلت متطوعين قبلاً. فحضروا لبضعة أسابيع ثم فقدوا اهتمامهم. لا أريد أن يحصل ذلك مجدداً".

"لن يحصل آنسة أوشيا أرجوك؟".

"حسناً، يمكنك الانضمام إلينا خلال فترة الغداء. ولكن تذكري أنه التزام وأعتمد عليك لاحترامه".

مع تقدّم الفصل، أبدأ أستقر في روتين يومي. أمضي الكثير من الوقت مع نورين صديقتي في صف الإلقاء. واصطحبتنا أمي إلى متجر مارشال فيلد لتجميل وجهينا عند منضدة لانكوم. لم أصدق التغيير الذي يمكن أن يحدثه القليل من محمّر الوجنتين وقلم تحديد العيون.

"تبدو مدهشتين!" أصرّح وأنا أمسح شفتيّ بمحرمة. "أتصدقين أننا هاتان الفتاتان؟".

تجيب نورين، غير قادرة على الكفّ عن النظر إلى المرآة: "أعلم، نبدو كأننا مختلفتان. لا أستطيع الانتظار حتى تراني أمي".

"وأنا كذلك".

تلك الليلة، بعدما أوصلت أنا وأمي نورين، أصبحت أكثر كآبة من العادة. تشعر أمي بأني قلقة فتسألني إنْ كان كل شيء على ما يرام.

"جودي، أنت صامتة بشكل رهيب. هل تعرضت للمضايقة مجدداً على متن الباص؟ وجدت بصاقاً على فرشاة شعرك".

"ماذا تفعلين؟ أتعبثين بأغراضي الشخصية؟".

"لقد تركت فرشاتك في الحمام فقررت أن أنظفها. عندئذٍ، رأيت البصاق. عزيزتي، مررنا بهذه الأمور من قبل. إنْ كنتِ تتعرضين للمضايقة مجدداً، نريد أنا ووالدك أن نعرف".

"كلا، لا بأس أمي. حقاً. ليس الأمر سيئاً جداً طالما أنني أبقى كتومة في الباص. كما أن الأمور في ساموبلز أفضل بكثير مما كانت عليه في نورثويست. إنّ نورين صديقتي وأحب العمل مع الأطفال في البرنامج التربوي الخاص. وفريق الإلقاء ممتع للغاية. أعتقد أنني متعبة قليلاً وحسب".

لم تشعر أمي بالاطمئنان ولكنني لا أشعر برغبة في التكلم هذه الليلة. بعد معانقتها، أصعد إلى غرفتي في الطابق الأعلى وأشغّل أسطوانة ستايكس المفضلة لدي. أستلقي على السرير وأغمض عينيّ فيما يتردد صوت المغني دينيس دي يونغ في أرجاء غرفتي. تجتاحني الموسيقى مداعبةً مخيلتي. إنها نسختي الخاصة من والتر ميتي ولكن بدلاً من أن أكون الشخصية الرئيسة في الأوقات التاريخية، أظهر كقائدة لكل مجموعة في المدرسة؛ النجمة في ملصقة من أفلامي القصيرة الخاصة.

من الرياضة إلى الممنوعات، أتسلق سلّم ساموبلز الاجتماعي. هناك أنا مرتدية زي المشجعات الأزرق والذهبي وأقفز عمودياً مع باقي الفتيات في الفريق (جميعنا نرتدي القياس 6) وأشجع فريق كرة القدم. لا يشوب

مكياجي شائبة وتفوح مني رائحة زهر الليلكي. على الرغم من أنني أقفز مثل الكنغر وأقوم بحركات دائرية وركلات مفاجئة، إلا أن بشرتي الناعمة الكريمية لا تتعرق. أنا قائدة المشجعات، سيدة المجموعة الرائعة في سامويلز. ونقود سيارات أهالينا الرياضية ونبتاع الجينزات مستخدمات بطاقات اعتماد أمهاتنا. إننا رائعات، مثيرات ونعيش الحاضر! ولا نتعرق أبداً. *مرحى، مرحى أيها الصقور! قدموا مباراة مدهشة! أروهم أنكم الخصم الأعظم! مرحى أيها الصقور!* وفيما يصفق الجمهور ويصفر، يرسل الظهير الخلفي لي قبلة في الهواء من الملعب. فيرتعش قلبي وأهزّ كرات التشجيع رداً.

لننتقل إلى القسم الآخر. تعبق رائحة الماريجوانا. أدخن مرة أخرى ساحبةً الدخان إلى رئتيّ. فأخمد السعال. كنتُ على وشك السعال. إنّ المدخّن الحقيقي لا يسعل أبداً عند التدخين. هذه قاعدة. إنْ تكتشف الفتيات الأخريات بأنني أسعل خفية، قد تكون نهايتي في سامويلز كشخصية محبوبة. إلا في حال كنتُ قائدة ورياضية. *فوفقاً للمقطع 8، القسم 13 من كتاب القواعد والقوانين الرسمية لمجموعات سامويلز*، "يسمح للرياضية والقائدة بالسعال و/أو الحازوقة خلال تنشق الماريجوانا أو بعده شرط أن تتدرب هذه الرياضية والقائدة المذكورة أعلاه بنشاط على رياضتها الخاصة".

ويستمر فريق الروك ستايكس في الغناء وكلمات الأغاني تسحق أذنيّ...

تضاؤل تدريجي في الصورة في كافيتيريا المدرسة. تتقدم الكاميرا في صورة تقريبية لي وأنا أجلس على طاولة "الأذكياء" فيما يتمشى الطلاب أصحاب العلامات العالية. مرتدية ملابس فاخرة وعاقدة شعري على

شكل كعكة، ها أنا أتبادل أطراف الحديث مع أصدقائي المفكرين حول المعادلات التربيعية. وفيما تخرج الاستنتاجات الذكية من فمي المرسوم بشكل رائع، يتنهد أحد أذكى طلاب الكيمياء في المدرسة والذي يجلس قبالتي مغبشاً عدسات نظارته. نضحك جميعاً لأن تغبيش النظارات في مفهومنا هو إشارة إثارة كما عندما تفرك الرؤوس المخروطية المخاريط في البرنامج المباشر ليلة السبت. سنذهب الليلة جميعاً إلى مختبر العلوم من أجل محاضرة إضافية حول طقوس التزاوج بين الطيور العاجزة عن الطيران في أوستراليا. وفي الغد، سأقود طقساً جماعياً مقدساً حيث نقف جميعاً خارج غرفة المطالعة الشافية ونطرق صدورنا بقوة ونغني مراراً وتكراراً، "نحن أذكياء على عكسكم، نحن ممتازون وأنتم فاشلون".

يُقطع التصوير وننتقل إلى موقف السيارات. هناك مجموعة وحيدة صامتة من المنبوذين المتكئين على حاملة الدراجة. وأنا واقفة إلى جانبهم. إننا متصلون من خلال انفصالنا. رؤوسنا مطأطئة ونحاول قصارى جهدنا لنكون غير مرئيين. أحدهم بصق علينا وهو يتخطانا. لا يهم. هذا قدرنا. نحن المنبوذين، الخرقى، نشبه شخصية يوجين في فيلم Grease وشخصية كاري في رواية ستيفن كينغ والأرواح المتشابهة الطبيعة والاعتقاد للرجل الفيل. أسأل نورين إنْ تلطخت ثيابها بالبصاق فتجيب بلا ولكن أستطيع رؤية قطرة لعاب تسيل على زر ردائها. لم أقل شيئاً. من الأفضل ألا أقول لها.

فيما أستلقي على السرير، وتنجرف أحلامي في مونتاج من الصور الغريبة التي تلمع في ذهني مثل أفلام صامتة، أدرك أنني أبكي. على الرغم من محاولة التظاهر بأن كل هذه الأمور لا معنى لها بالنسبة إليّ، إلا أن الواقع هو أنني أهتم بمسألة التكيف تماماً مثل كل طالب في السنة الأولى في

ساموبلز. على الرغم من أن الجزء الناضج مني يعلم أن المجموعات تافهة وسطحية وأتوق للوقوع في ورطة، إلا أن المراهقة العادية في داخلي تتوق إلى أن يتقبلها الجميع. ولكن أي مجموعة؟ الأذكياء مغرورون ويعتمدون على التفكير كثيراً. و"القادة" و"الرياضيون" يتعاطون الممنوعات. سبق لي أن كنت منبوذة. لا بأس بالمنبوذين ولكنهم دائماً منشغلون في الاختباء من الجميع لدرجة أنهم لا يجدون بعضهم البعض. المجموعة الرائعة هي كلّ ما تبقّى لي. المشجعات وملكات جمال الحفلات المستقبليات. من الغرابة أن يكون خياري الأخير هو الخيار الأول للآخرين جميعاً.

"عزيزتي، أيمكنك تخفيض صوت الموسيقى؟ بالكاد نستطيع أنا ووالدك الاستماع إلى أنفسنا فيما نفكر".

"آسفة أمي، في الحال".

أطفئ الستيريو وأتقدّم إلى السرير. وفيما ألتمس الدفء في الملاءات خافيةً أنفي في الوسادة، أتساءل عما سيحدث لي خلال السنوات الأربع القادمة. تقول أمي إنني أقلق كثيراً وإنه عليّ أن أعيش حياتي يوماً بيوم. أكره عندما تتكلم معي بلهجة مبتذلة. أعلم أنها تقصد خيراً ولكن ذلك يزعجني. إنني متوترة جداً وإنني الآن في الثانوية فقط. إنْ كنتُ أعاني من الإرهاق الآن، فكيف ستكون حياتي عندما أتوظف ويقع على عاتقي مسؤوليات حقيقية؟ أشعر بدوار في رأسي. اللعنة، لن أتمكن من النوم. إنها الساعة الثانية فجراً ويجب أن أستيقظ بعد عدة ساعات. سيكون الغد متعباً. يصعب عليّ تخطي النهار بما يكفي عندما أكون مرتاحة فكيف سيكون الأمر عندما أكون منهكة بسبب قلة النوم. وأخيراً، غلبني النعاس. وآخر شيء أذكره قبل النوم هو وجه دارا من مورغن هيلز. لِمَ قد تخطر على بالي؟

في الصباح التالي، استيقظت سريعة الانفعال مع شعور بأن هناك خطباً ما. بينما أهمّ بالخروج لانتظار باص المدرسة، أخذ يتنامى هذا الشعور النذير بالشؤم. قلت لنفسي: "إنني أتصرف بسخف". هذا ما يحصل عندما لا أحصل على قسط وافر من النوم.

• ما زال ركوب الباص يشكل محنة لي. وما زلت أنتظر عند الزاوية مع باقي أولاد الحيّ. منذ حادثة إصابة ركبتي بطابة البايسبول، أصبحوا أقل اعتداء. لم يعودوا يعاقبوني جسدياً. الآن، يتصرفون بخساسة وحسب. لا أتكلم معهم كثيراً ولكنني ما زلت أحب جايسون. إننا ودودان مع بعضنا البعض. لا ألومه على شيء. فقد تعرض للكثير من المضايقة بحد ذاته لدرجة أنني بالكاد أتوقع منه أن يدافع عن أحد. لا أظن أنه قوي مثلي كما أنني لا أحقد على ريس. على الرغم من كل تصرفاته تجاهي، أعلم أنه ليس فتى سيئاً. لم يؤذني ريس قط من باب الحقد بل اليأس. سيفعل أي شيء ليكون فرداً من المجموعة حتى لو عنى ذلك الاستخفاف بصديق. كذلك، لا بأس بروبي شقيق ريكي الأصغر. ليس قديساً ولكنه أبدى ندمه على بعض الأعمال الوضيعة التي مارسها وأصحابه ضدي. لا أثق به ولكن لن يضرّ أن أكون لطيفة.

إنّ الجولة في الباص هي ذاتها كالعادة. يجلس الرائعون على المقاعد الخلفية، يهمسون لبعضهم البعض ثم يستغرقون في الضحك. اعلم أنهم يتحدثون عني. أعرف ذلك من تعابير وجوههم. كم أكره هذا الصوت. وصلت إلى مرحلة الشعور بالانكماش عندما يدعو والدايّ أشخاصاً إلى منزلنا وأسمعهم يضحكون بسبب حديث على العشاء.

اليوم لديّ اجتماع مهم مع الآنسة أوشيا. لقد اقتربنا من موعد حفلة

الموسم وخمسة عشر من طلابها بمن فيهم رودجر هم في السنة الأخيرة هذا الفصل. وقد أعلنت لجنة تنظيم الحفلات بأن طلاب السنة الأخيرة من البرنامج التربوي الخاص لن يحضروا الحفلة. يعتقدون أن وجود رودجر وأصدقائه سيشكل إزعاجاً لباقي الطلاب. كما أن لديهم مشاكل في "التأمين". من الغرابة ما يمكن أن يدفع بالمرء إلى الجنون. راقبت الآنسة أوشيا طيلة العام وهي تحتمل ما يحدث ونادراً ما كانت تتفوه بأي كلمة عندما يتعرض طلابها للمضايقة والإزعاج. المواجهة ليس أسلوبها ولكن مسألة الحفلة هذه أثارت غضبها. طلبت مني أن أوافقها الرأي في أفكارها حيال هذا الموضوع مع مدير المدرسة آملةً أن يؤثر رأيي على قراره بصفتي متطوعة في البرنامج.

إنّ المكاتب الإدارية مهيبة. هناك أبواب زجاجية كبيرة تقودنا إلى رواق مفروش بالسجاد السميك. وقد عُلّق على طول الجدران صور للمتخرجين المعروفين. حيتنا موظفة الاستقبال على نحو مقتضب.

"سيستقبلك المدير إيفانز بعد لحظات، آنسة أوشيا. تفضلي بالجلوس".

أشعر بالأسى حيال الآنسة أوشيا. فهي تكره الخلافات. وهذه ليست طبيعتها. قلت لها: "كل شيء سيكون على ما يرام. سترين".

تصرّح: "يغضبني كثيراً أن علينا خوض هذه المعركة. يجب أن يُسمح لطلابي بحضور الحفلة. ما يفعلونه أشبه بالتمييز العنصري. لن أدع المدرسة تُفلت من فعلتها. لقد احتملت الكثير من حثالة هذه الإدارة ناهيك عن رابطة شؤون الطلاب. ولكنهم تمادوا كثيراً في هذه المسألة".

في تلك اللحظة، فتح المدير إيفانز باب مكتبه.

قال وهو يرافقنا إلى مكتبه: "أرى أن في جعبتك أمراً ما كونستانس. لنرى ما بوسعنا القيام به".

تشرح الآنسة أوشيا: "دكتور إيفانز، أعرّفك بجودي بلانكو، إنها طالبة في السنة الأولى وقد تطوعت في ساعة الغداء للمساعدة في البرنامج الخاص".

قال الدكتور إيفانز: "يسعدني لقاؤك جودي".

أجبت: "شكراً".

قال الدكتور إيفانز: "كونستانس، علمت من لجنة تنظيم الحفلات أنك تريدين أن يتمكن طلابك من حضور حفلة هذه السنة".

"نعم، يحق لهم أن يشعروا بالقليل من الفرح. يجب أن يبذل هؤلاء الأطفال قصارى جهودهم لتحقيق أبسط الامور. قد لا يكونون بكامل قواهم العقلية ولكنهم ليسوا عمياناً أو صمّاً. الحفلة هي كلّ ما يتكلم عنه الجميع. يعد فريق التزيين الأعلام الصغيرة والمعدات جيئة وذهاباً في قاعة الرياضة في المدرسة. يعي طلابي كل ما يدور من حولهم ولكنهم لا يفهمون سبب استقصائهم".

"كونستانس، أتفهم ما تقولينه. ولكنني أخشى أنه عليّ أن أتفق مع لجنة تنظيم الحفلات على هذه المسألة. من غير الملائم أن يحضر طلابك الحفلة. يكفي أن الكلية ستواجه مشكلة في مراقبة الطلاب الطبيعيين فكيف بالطلاب الذين يتطلبون انتباهاً إضافياً".

"دكتور إيفانز، سأسهر بنفسي على مراقبة طلابي. وأعلم أن باقي الأساتذة من البرنامج التربوي الخاص سيتطوعون كذلك".

"آسف كونستانس، ما بيدي حيلة".

"دكتور إيفانز، إنْ لم يُسمح لطلابي بحضور حفلة السنة الأخيرة في ساموبلز، فلمَ لا نستطيع إقامة حفلتنا الخاصة؟".

فتصيح راجيةً أن يقبل: "أرجوك دكتور إيفانز. سيعني الكثير لنا جميعاً. ما رأيك؟".

يجيب الدكتور إيفانز: "حسناً. أعتقد أنه حلّ جيد طالما أنك ستراجعين التفاصيل كلها مع مكتبي قبل موعد الحفلة. والآن إنْ كان ذلك كل شيء، لديّ اجتماع آخر".

تبتسم الآنسة أوشيا بابتهاج. وعندما نعود إلى غرفتها تعلن الأنباء السارة لطلابها يصفقون وتشرق وجوههم فرحاً. أغادر لحضور حصتي التالية بعدما أعدهم بالعودة بعد بضع ساعات لمناقشة الزينة. أشعر بالذنب فيما أتمشى في الرواق. فعلى الرغم من سروري للقرار الذي اتخذه الدكتور إيفانز وشعوري بالفخر لأن الآنسة أوشيا تريد مساعدتي، إلا أنني قلقة حيال ما إذا كان ذلك سيؤثر على وضعي في المدرسة. فالمرة الأخيرة التي عملت فيها

أمراً مع الطلاب ذوي الحاجات الخاصة والذي تخطى حدود التطوع لمدة ساعة في فترة الغداء أو قاعة الدراسة كانت في مدرسة الارتقاء. ما زالت آثار هذه التجربة تطاردني. ماذا لو حدث ذلك مجدداً؟ إنها مخاطرة سيتوجب عليّ خوضها.

خلال التمرين مع فريق الإلقاء، علقت السيدة آدامز على الحفلة. "جودي، سمعت عن حفلة طلاب البرنامج التربوي الخاص. أظن أنه أمر رائع. المدرسة برمتها تتكلم عنها. أرجو أن تعلميني إنْ احتجتم إلى أي مساعدة".

"شكراً. سأفعل".

أحاول قدر الإمكان أن أركز على تمارين الإلقاء ولكنني لا أستطيع الكف عن الشعور بالقلق حيال هذه الحفلة. أحب هؤلاء الأطفال ولكنني أخشى العواقب المحتملة. أستطيع سماع أفراد المجموعة الرائعة يقولون: "يا أصحاب، أنظروا جميعاً، إنها الملكة الخرقاء والمختلون عقلياً".

"لاحظت السيدة آدامز قائلةً: "جودي، عقلك سارح بعيداً. خير لك أن تولي انتباهاً لما تفعلينه. ستجري الدورة بعد شهرين ويجب أن تكوني مستعدة".

"آسفة سيدة آدامز. أيمكننا البدء من جديد؟".

في اليوم التالي، تقترب مني بالقرب من خزانتي كلّ من ناديا، قائدة المشجعات، وصديقتها الحميمة شيلي. قد طلب منهما بعض لاعبي كرة القدم من فريق المنتخب مرافقتهما لحضور الحفلة. إنْ كنت في السنة الأولى ودُعيت للخروج من قبل طالب في صف أعلى، يعتبر ذلك قمة الروعة. أشعر بالتوتر. فهاتان الفتاتان تتمتعان بشعبية كبيرة. هل ما يزال أمامي فرصة ليتقبلني هؤلاء الطلاب ذوي الشعبية الذين لم يكتشفوا بعد أنني كنت منبوذة في نورثويست؟ مستعيدة رباطة جأشي، استعديت للأسوأ.

"سمعنا أنك تساعدين على إقامة حفلة طلاب البرنامج التربوي الخاص تلك"، تعلّق شيلي ساحبةً ملمّع شفاه بنكهة الفراولة من جيبها وواضعةً بعضاً من هذه المادة اللزجة على شفتيها.

"نعم، ستقام قبل أسبوع من حفلة طلاب السنة الأخيرة"، أجبت متسائلة إنْ كانت تعي كَم يبدو وجهها سخيفاً.

تجيب: "هذا رائع حقاً".

هل ما سمعته صحيحاً؟

"أتعتقدين أنه رائع؟" أسأل مندهشة. "يكره مارك وهؤلاء الفتيان طلاب البرنامج التربوي الخاص. إنهم يضايقونهم دائماً. ظننت أن هذا شعوركم أيضاً".

تقاطع ناديا قائلة: "لم يعنِ مارك شيئاً بذلك. إنهم يخيفونه وحسب لأنهم غريبو الأطوار".

تسأل شيلي: "أود التطوع كمراقبة في الحفلة. أتعتقدين أن الآنسة أوشيا ستسمح لي؟".

أجيب متفاجئة: "بالتأكيد. سأعلمها".

تقول شيلي: "رائع. نراك في الصف".

حمداً لله.

مع اقتراب الليلة الموعودة، أبدأ أستمتع بوقتي في المدرسة. التكلم علناً هو موضوعي المفضل. يظن بعض التلامذة أنني متملقة وذلك لأنني على فريق الإلقاء ولأن المدربة هي المعلمة السيدة آدامز. وفوق ذلك، إن نورين معي في الصف ذاته وهي صديقة وفية. إلا أن حصة اللغة الإنكليزية مملة بعض الشيء. يهم أستاذ المادة السيد جوبس أن يحبه طلابه أكثر من أن يحترموه. نادراً ما يحذر طالباً بسبب سلوكه. إنّ ابنته ليزا، إحدى أبرز نجمات الرياضة، معنا في الصف. كما أنها فرد رفيع المستوى من المجموعة الرائعة، تتمتع بالتباهي بتفوقها على الباقين. لا شيء يمنحها متعة أكثر من اختبار قوة شعبيتها من خلال مهاجمة أحد ما شفهياً ومعرفة عدد الأشخاص الذين يمكنها إقناعهم على الانضمام إليها. لحسن الحظ، لم تقترب مني بعد. بالنسبة إليها، إنني أقل بكثير من مستواها لدرجة أنني لا

أستحق عناء إهدار الوقت عليّ. ولكن لسبب ما، تتصرف بوضاعة مع نورين. كلاهما في حصة الرياضة. تخبرني نورين بأن ليزا تضايقها كثيراً وتحث الفتيات الأخريات على فعل ذلك أيضاً. يطلقنَ على نورين اسم "البدينة" و"صاحبة المؤخرة المنتفخة". وتتظاهر نورين بأن ذلك لا يضايقها ولكنني أعلم الحقيقة. كلّ مرة أرى ليزا تزعج أحداً في حصة اللغة الإنكليزية، أتخيل كيف يبدو الأمر بالنسبة إلى نورين.

حصة علم الأحياء هي أكثر ما يضايقني. لن تتركني آي جاي وجماعتها وشأني. لقد استطعنَ إقناع تايلر وكلارك وجاكلين وأصدقائها بأن يشتركوا في إزعاجهم. تمنحهم حفلة طلاب البرنامج التربوي الخاص كل ما يلزم لممارسة أعمالهم الوضيعة.

تقول آي جاي محذرةً وقد اتسمت كلماتها بالتهديد: "إذاً بلانكو، أنت الخبيرة بالمختلين عقلياً. نأمل أن تكون روحهم رياضية".

"آي جاي، أرجوك هذا يكفي".

"ماذا ستفعلين، أستضربينني؟ أتحداك". وكأنها أعطت إشارة فالتف حولي العديد من أصدقائها. يراقب كلّ من تايلر وكلارك وجاكلين الدراما تتجلى للعيان ويتمتعون بالمشهد. ما من شيء أستطيع فعله. لا يمكنني محاربة كل هؤلاء الأشخاص. أعلم أنه عليّ المحاولة ولكنني خائفة. قبل أن أتمكن من الإجابة، دخلت الآنسة راين.

تهمس آي جاي في أذني: "لن تكوني محظوظة جداً في المرة المقبلة".



في ساموِيلز، يُعتقد أن هناك خطباً ما إنْ لم يكن لدى الشاب صديقة ولدى الفتاة صديق. بالإضافة إلى ذلك، أنت مقصور على مَن تستطيع الخروج معه. إنْ خرجت مع شخص من مجموعة أخرى فيمكن أن يحطّ ذلك أو حتى يدمر وضعك مع أفراد مجموعتك الآخرين. على سبيل المثال، لن تخرج مشجعة بصحبة "قائد" أو حتى "قائد رياضي"؛ نادراً ما يخرج "الذكي" مع رياضية. ثم هناك مَن في الوسط مثل طلاب الفن والدراما. يشق معظمهم طريقه للخروج مع المجموعات السائدة وينتهي بهم الأمر في مواعدة أشخاص ضمن مجموعتهم. أما طلاب الكمبيوتر المعتوهين فينعزلون عن الآخرين.

كما أن ساموِيلز عبارة عن مدرسة تهتم بالنشاطات الرياضية مما يعني أن الطالب يجب أن يشارك في رياضة منظمة، أو يشجع رياضة ما أو يكون مولعاً بالذين يفعلون ذلك. يبدو الأمر كالإقامة في هوليوود. إنْ كنت متورطاً في العمل الاستعراضي أم لا، خير لك أن تعلم أنها اللعبة الوحيدة في البلدة. الأمر سيان في ساموِيلز. صفقوا للرياضي الجبار أو ادفعوا الثمن. وما من مهمات سهلة للرياضيين. فالمدربون يدفعون بهم لتخطي حدود كل ما هو صحي.

نتكلم أنا بول عن الأمر دائماً. يشعر والداه بالسعادة لأنه سيتخرج هذه السنة. في الفصل الماضي، أرغمه مدرب المصارعة على اتباع حمية غذائية خاصة ونظام رياضي أوشكا على إدخاله المستشفى من الإرهاق. أعتقد أن مدربه أعطاه أيضاً أمفيتامينات لمساعدته على تخطي الموسم على الرغم من أن بول لن يعترف بذلك. كذلك، تشك والدته بالأمر. إنني مرتاحة لبول ولكنني أيضاً سأشتاق إليه. لقد حماني لمدة طويلة. ماذا سيحصل عندما يرتاد جامعة تبعد مئات الأميال عني؟



"أمي، أسرعي. سوف نتأخر"، أصرخ من الطابق السفلي ملقية نظرة خاطفة على ساعتي. ستقام الليلة حفلة طلاب البرنامج التربوي الخاص. وقد وافقت أمي أن تكون مراقبة في الحفلة أيضاً.

"حسناً جودي، أنا آتية"، أجابت ملتقطةً حقيبة يدها.

"نصل إلى مكان مفعم بالحيوية. قاعة الرياضة مزدانة بمجموعة رائعة من الألوان. أعلام صغيرة زرقاء وذهبية معلقة على كل عارضة. وأزهار مقطوفة حديثاً وُضعت بترتيب في زهريات مستقرة على كل طاولة. نُصبت حجيرة خاصة بلاعب الأسطوانات خلف المدرجات حيث يعزف كلٌّ من شيلي ووالدها موسيقى لدونا سمَّر. ألوِّح بيدي لشيلي فتلوِّح لي بدورها مبتسمة.

عندما ترى الآنسة أوشيا أمي وأنا تهرع إلينا قائلة: "مرحباً! لا بد أنك جوي والدة جودي".

"نعم، ولا بد أنك الآنسة أوشيا. تتمتع جودي بالتطوع لصفك كثيراً".

قالت الآنسة أوشيا: "في الواقع، نحن مسرورن لوجودها معنا. هناك طعام ومشروبات أرجو أن تتصرفي على راحتك. سيصل الأولاد بعد لحظات".

ما سأراه بعد لحظات لن أنساه طيلة حياتي. يدخل رودجر وسيماً وفخوراً بنفسه مرتدياً بذلة رسمية جديدة. وترافقه صديقته ساندي وهي فتاة لطيفة تجلس بالقرب منه وقت الغداء. تبدو رائعة بردائها الزهري الطويل والحذاء المتناسق معه وشعرها الأجعد. يتوجهان نحو طاولة يداً بيد.

يصل باقي الطلاب من البرنامج الخاص واحداً تلو الآخر. لقد خُصّص قسماً للأهالي الذين كانوا مزودين بالكاميرات ومعدات التصوير وتواقين لتسجيل هذه الأمسية المميزة. يحبس العديد منا دموعنا فيما نراقب هؤلاء الأطفال يتمتعون بتجربة يستخف بها الكثير من المراهقين الآخرين. إنّ رؤية فرحتهم تشعرني بسكون نادر الحصول.

يمسك رودجر بيدي ويجذبني إلى ساحة الرقص. إنها أغنية "سوف أحيا" لغلوريا غاينور.



بعد ظهر اليوم التالي، كل شيء انهار حولي.

إنّ أستاذ العلوم الاجتماعية السيد هورن يعاني من إعاقة جسدية. جسده مشوه كما أنه يتنقل بالكرسي المدولب. على الرغم من أن مظهره مروع للطلاب في البداية، إلا أنه سريعاً ما يسترعي انتباههم بحس الدعابة الغريبة التي يتمتع بها. إنه أستاذ جيد ولكن أعتقد أنه يحاول جاهداً أحياناً أن يتملق لكسب رضا الآخرين.

يحضر معي هذه الحصة كلّ من ناديا ومارك وشيلي والعديد من الآخرين في مجموعتهم. قد حافظت على رباطة جأشي معهم من خلال التدرب على ضبط ذاتي. يستمتع السيد هورن بتشجيع طلابه على المناقشات الحية حول الأحداث الحالية. أبقى صامتة حتى عندما أتوق إلى المشاركة في موضوع ما لأنه يهمني. حتى الآن، الأمر ينجح. لا أحد يدعوني "مدللة الأستاذ" خفيةً عني خلال الحصة. على الأرجح أنني لن أحصل على علامة عالية بقدر العلامة التي قد أحصل عليها إنْ شاركت

في المناقشة ولكن ألا أكون أضحوكة الجميع يستحق عناء المقايضة.

اليوم، بدلاً من إعطائنا محاضرة، يجعلنا السيد هورن نشاهد وثائقياً حول الأنوثة. عند انتهاء الفيلم، يريدني أن أعيد المسلاط إلى المركز السمعي البصري. لم أكن متأكدة من مكانه فأسأله عنه.

• يجيب: "إنه البيت المجاور لغرفة المجانين".

"غرفة ماذا؟"، أسأل معتقدةً أنني سمعته خطأ.

"تعلمين، حيث يوجد المختلون عقلياً"، يجيب راضياً لأنه جعل طلابه يضحكون.

لا أصدق ما أسمعه خاصة من شخص يعاني من إعاقة صعبة.

"من المفترض أن تكون قدوة لطلابك يا سيد هورن"، أجبته وأنا أعلم أنني مع كل كلمة أتفوه بها أدمر التقدم القليل الذي أحرزته في مصادقة طلاب الثانوية. "أنت أكثر العالمين في هذه الغرفة عما يعنيه التعرض للأذى. كيف يمكنك أن تكون متعصباً؟".

يقول مارك: "بلانكو، لمَ لا تخرسين. إنّ السيد هورن محق. ليسوا سوى مجموعة مجانين".

نظرت إلى شيلي. لمَ لم تتفوه بأي كلمة حتى الآن؟

"شيلي، أنت متطوعة أيضاً لمَ لا تقولين شيئاً؟".

في تلك اللحظة، كان الجميع يحدق بي. كيف أتجرأ على إحراج أحد أساتذتهم المفضلين! يقول السيد هورن لي ضاحكاً: "لا عجب أنك فاشلة. كانت مجرد مزحة. أيها الطلاب ما رأيكم؟ ربما يجب أن تأخذ الآنسة بلانكو بعين الاعتبار الذهاب إلى مدرسة أخرى. من الواضح أنك لا

تريدين التأقلم في ساmoيلز".

أنهض عن الكرسي ببطء وأجمع كتبي وأخرج من الباب ثم أغلقه بهدوء خلفي. أتحرك وأنا أستشيط غضباً بخطى بطيئة ومتأنية نحو الهاتف في آخر الرواق. أضع قطعة نقدية واتصلت برقم مكتب والديّ.

"كون شيب ماريتايم"، يجيبني صوت مرح على الطرف الآخر من الخط.

"أمي، هذه أنا. تعالي إلى المدرسة الآن لاصطحابي".

"يا إلهي لا! ماذا حصل؟ كانت الأمور تسير على أكمل وجه".

في اليوم التالي، انتشرت الحادثة التي حصلت في صف العلوم الاجتماعية في جميع أرجاء المدرسة. طلب المدير إيفانز حضوري إلى مكتبه.

"جودي، ماذا حصل البارحة؟".

أُجيب: "لا أريد التكلم عن الموضوع".

يرد: "أريد معرفة الحقيقة".

أسرد عليه التفاصيل بتردد. يعتذر المدير إيفانز باسم المدرسة واعداً بالتكلم مع السيد هورن. وفيما أهمّ بالخروج من قسم المكاتب الإدارية، أصادف مارك ونادیا.

فيسأل مارك بلهجة اتهامية: "ماذا فعلت، هرعت إلى المدير لتقدمي شكوى ضد السيد هورن المسكين؟".

أُجيب: "لمعلوماتك، لم أتفوه بكلمة عن السيد هورن. ولكن جميع مَن في ساموليز يثرثر لدرجة أن الدكتور إيفانز علم عن الحديث الذي دار في الصف".

"يا لك من متملقة. لمَ لا تستطيعين الحفاظ على سكوتك؟"، تهمس ناديا مقتربةً مني ومرغمةً إياي على التراجع.

أجيب: "على الأقل لست خبيثة مثل صديقتكما شيلي. أنتم جميعاً متشابهون. لا أحد منكم يأبه إلا لنفسه. لا تهتمون لأمر السيد هورن. كلّ ما تهتمون لأمره هو الانحياز إليه حتى يمنحكم علامة جيدة".

لم يمر وقتاً طويلاً حتى أواجه عواقب أفعالي. ليس زملائي غاضبين مني وحسب بل أيضاً بعض الأساتذة الذين تحمسوا لفكرة حفلة طلاب البرنامج التربوي الخاص غاضبون أيضاً.

تقول السيدة آدامز مؤنبة: "يجب أن لا تجيبي أستاذاً بهذه الطريقة. لقد صدمتني قلة احترامك".

"إنّ السيد هورن رجل موهوب ومتفانٍ في عمله. ما فعلته كان خطأ"، يقول السيد جويس بكلمات ثقيلة يملأها السخط.

وحدهما الآنسة راين والآنسة أوشيا دافعتا عني. أمضيت ما تبقى من الفصل وحيدة. كل شيء ينقلب ضدي. ينظر إليّ زملائي الجدد الآن بازدراء وحذر. لا يفهمون لمَ قد يثير أحد مشكلة حول تعليق صغير سخيف يقوله أستاذ. هذه قبلة الموت إنْ أردت أن أكون فرداً من المجموعة الرائعة. لا يثقون بأحد لا يفهمونه أو يعجزون عن السيطرة عليه.

خلال الصيف، على الرغم من أنني أمضي الوقت مع خالاتي وأنسبائي وأحاول نسيان المدرسة ولكن بدون جدوى. كلّ ما يمكنني التفكير به هو كَم كنت قريبة من مصادقة الطلاب هذه السنة... ثم أفسدت الأمر.



أدرك أنه فشل اجتماعي محض عندما يكون المرء مختلفاً في سن الرابعة عشرة. لم أختر أن أكون مختلفة مثلما لا يختار أحد أن يكون شاذاً أو طويلاً. لا يمكن انتقاء ما أنت عليه في هذه الحياة ولكن يمكنك أن تقرر ما ستصبح عليه. إنّ الطلاب المحبوبين، مثل آي جاي وناديا، الذين غالباً ما يتصرفون بقسوة، ليسوا أشخاصاً سيئين. إنهم يخشون فقط من الوحدة. أعتقد أنهم أحياناً يحسدون خفيةً الأشخاص المختلفين مثلنا ليس لأنهم يريدون أن يكونوا منبوذين أيضاً، بل لأنهم يتمنون لو أنهم لم يشعروا بأنهم مرغمون على التضحية بقوة شخصيتهم لتقبلهم المجموعة. على الأرجح أن بعض أكثر الطلاب وضاعة في المدرسة هم عطوفون وحساسون في الداخل ولكنهم يعرفون أنهم يجب أن يتصرفوا بخساسة بين الفينة والفينة كي يتم قبولهم في المجموعة. يشبه الأمر ثني عضلاتك عندما تكون رياضياً. تفعل ذلك لتُطمئن نفسك أن الأمر قد يستحق العناء.

على الرغم من أنني أتفهم جيداً ما يحصل ولكن ذلك لا يجعل عملية الاحتمال أكثر سهولة بل أكثر صعوبة. إنها السنة الثانية. إنني محبطة أكثر من ذي قبل لأنني الآن أعرف الأسباب وراء نبذي ولكنني لا أزال غير قادرة على إصلاح الأمور مما يعني أنني فاشلة أكثر مما كنت أظن. أكره ذاتي ولم أعد أريد أن أكون هذه المخلوقة. يستمر والداي في القول إن فردانيتي الرهيبة هذه ستثمر يوماً ما وأنني سأكون شخصاً مهماً وأن مهاراتي الفطرية في القيادة ستمكّنني من القيام بأمور عظيمة. يا لهذه التفاهات. مَن يأبه لهذه الأمور الآن إنْ كنتُ الآن أشمئز مما أراه عندما أنظر إلى المرآة؟ يركز الأهل والأساتذة كثيراً على المستقبل. أريد أن أكون مراهقة عادية الآن وإلا فلن يعني المستقبل شيئاً.

فيما أحضر حصة اللغة الإنكليزية، يقرأ الأستاذ قصة "مسألة حظ" لشيرلي جاكسون. تدور أحداث القصة في بلدة غريبة تجري سحباً سنوياً. على كل مواطن أن يكتب اسمه على قطعة من ورق ويسقطها في صندوق كبير. يُسحب اسم امرأة. تُقاد إلى ساحة البلدة حيث يرجمها الجميع حتى الموت، إنّ الصورة مألوفة بالنسبة إليّ. أنكمش خوفاً تواقة إلى انتهاء هذه الحصة. أحسّ بالراحة عندما يرنّ الجرس أخيراً. فيما أمشي في الرواق باتجاه قاعة الرياضة، توقفني جاكلين والعديد من صديقاتها بالقرب من الخزائن.

تسأل جاكلين راسمةً ابتسامة متكلفة على وجهها: "أتريدين أن تنتشي؟".

أجبت: "ماذا؟".

تقول خانقةً ضحكة: "أعني تدخنين الممنوعات".

"كلا، شكراً"، أجيب متمنية لو أنها ترحل وحسب.

تقاطع آي جاي وهي تنظر بعبث إلى جاكلين: "بريك بلانكو، لا تكوني جبانة".

أجيب: "حسناً، لنقم بذلك. مَن يحمل عود ثقاب؟".

فجأةً، يستغرقن جميعاً بالضحك. "صحيح، وكأن أحداً منا يريد أن تلمس شفتاك القذرتين أي من أغراضنا".

أجيب: "تباً لك".

همست آي جاي: "ماذا قلت؟".

"قلت، تباً لك".

تقول جاكلين ببرود: "من الأفضل أن تنتبهي إلى خطاك. قضي عليك".

غبية، غبية، غبية! لمَ أكلت الطعم؟ منحتهما ما أرادتا تماماً.

أتوجه إلى التدريب على الإلقاء متوترة. فمنذ حادثة السيد هورن في الربيع، يبدو أن حماس السيدة آدامز قد خفّ. لقد أنهت فترة تدريبي لدورة نهاية هذا الأسبوع.

تقول بعد نصف ساعة فقط من التمرين: "جودي، أعتقد أنك جاهزة ليوم السبت. ابذلي ما بوسعك وحسب".

أجيب: "ولكن سيدة آدامز. إنّ مونولوج أنتيغون صعب جداً. ولست واثقة. أرجوك أيمكننا الإعادة مرة أخرى؟".

تقول وهي ترتدي المعطف: "كلا، لديّ موعد. ستدبرين أمرك جيداً".

استيقظت صباح السبت مع شعور بالخوف. كنتُ مستعدة تماماً عندما كان السيد بالمرتون يدربني في دورة التمثيل منذ سنتين. علمت ما أتوقع. لن تحضر حتى السيدة آدامز مسابقة اليوم.

تقول أمي بفرح: "هيا يا ملاكي، حان وقت الرحيل".

"أمي، لا أريد خوض هذه المسابقة. لديّ شعور سيئ حيال ذلك".

"جودي، لقد دخلت رسمياً في المسابقة ولا يمكنك التراجع الآن؟".

"ولمَ لا؟".

"هذا يجعلك انهزامية ولن أدعك تفعلين ذلك. كما أنني أتطلع إلى تشجيعك!".

ركبت السيارة وأنا أعرف أنه لا جدوى من الجدال. "أمي، ليس الأمر مهماً مثل الدورة التي تقام ضمن نطاق الولاية. تضم هذه المسابقة

بضع مدارس فقط. أفضّل الذهاب بنفسي. وإنْ فزت اليوم يمكنك مشاهدتي في مباريات المقاطعة الشهر القادم".

"عزيزتي، هل أنت متأكدة؟".

"نعم أمي أنا متأكدة".

سيكون اجتماع اليوم في مدرسة أندرسون وهي ثانوية تبعد بضعة أميال عن ساموبلز. أتوجّه إلى منضدة التسجيل خارج قاعة الرياضة الأساسية في المدرسة لأسجل اسمي. أسلّم جميع الأوراق الضرورية تامة إلى الحاضر ويعطيني لائحة بأسماء المشتركين المتسابقين في فئة التمثيل المسرحي. أرتجف عندما أقرأ اسم دارا من أكاديمية مورغن هيلز.

عادت الذكريات لتطاردني. دارا تحرق ظهر يدي بسيجارة والعة... هي وكات وستيف وأصدقاؤهم يقذفون بي إلى الوحل ويركلونني فيما يغنّون نشيد حقدهم لي... حذائي المفضل يطفو في المرحاض... سترتي البيضاء الجديدة رطبة ومتّسخة وملقية على الأرض في بركة من الكولا. أبدأ أرتجف مرتعبةً من مواجهة دارا. أهرع إلى الحمام لأستجمع قواي. آخذةً نفساً عميقاً أخرج إلى قاعة الرياضة وأجلس على مقعدي بالقرب من المتبارين الآخرين. تراني دارا. تبتسم ابتسامة بريئة وكأنني صديقة قديمة. أدير رأسي متمنية لو أستطيع الاختباء في سريري والبقاء هناك.

تمرّ الدقائق مثل ساعات فيما أراقب المتبارين الآخرين يقدمون المونولوج الخاص بهم. هناك عشرون مشتركاً. سيتم اختيار خمسة للمنافسة في دورة المقاطعة. وأخيراً، حان دوري. لا تزال دارا تبتسم لي وكأنّ شيئاً لم يحدث بيننا. أؤكد أنها لا تذكر ما فعلته بي هي والآخرون. المتنمرون لا يذكرون والمنبوذون لا ينسون أبداً. بالنسبة إلى مَن مثل دارا،

هذا كله جزء طبيعي من النضج. ولمَ لا يشعرون هكذا خاصة وأن هذا تماماً ما يقوله لهم أهلهم وحتى أساتذتهم؟ الأمر برمته يشعرني برغبة في التقيؤ.

ها أنا أبدأ بتقديم المونولوج. وتراقبني دارا وقد بان على وجهها الملل. *أرجوك يا رب، دعني أصل إلى النهائيات.*

عند انتهاء المونولوج أنحني احتراماً. التصفيق متحفظ. تصعد دارا إلى المسرح. تبدأ بإلقاء المونولوج وهو قطعة من مسرحية الاختبار القاسي لآرثر ميلر. عند انتهائها، يعلو التصفيق حاراً. أشعر بالغضب يتصاعد في داخلي. قلت لنفسي بثقة: "على الأقل سأصل إلى النهائيات".

ولكن عندما أتوجّه إلى اللوح للتحقق من لائحة أسماء الذين وصلوا إلى النهائيات، أجد اسم دارا بالإضافة إلى أربعة أسماء أخرى. ولا أجد اسمي. أستطيع سماع صوت تحطّم الزجاج في رأسي. أغطي أذنيّ بيديّ لأكتم الصوت. أخرج أبحث عن سيارة أمي. يجدر بها أن تكون هنا الآن. أشعر بأنني سوف أنفجر. لم أختبر هذا الشعور بالغضب من قبل. وكأن دارا تُكافأ على قسوتها. جلّ ما أستطيع التفكير به الآن هو قتلها وقتل كل شخص مثلها ضايقني وعذبني في المدرسة. ليس عدلاً أن تفوز الفتاة التي أوشكت على تدميري بقسوتها في الأمر الوحيد الذي أبرع فيه.

أوقفت أمي السيارة فركبت والغضب يجتاحني.

"يا ملاكي، ما الأمر؟".

بهدوء، بهدوء تام تقريباً، أسرد على مسامعها أحداث الصباح. تمسك بيدي وتشدّ عليها. أظلّ صامتة طيلة الوقت. عندما أدخل إلى المنزل، أتوجّه إلى المطبخ وأفتح الدرج حيث نحتفظ بالسكاكين الخاصة

بتقطيع اللحم. فأسحب أكبر سكين. وأرفعها أمام النافذة متأملة بالنور الذي ينعكس على شفرتها.

تصرخ أمي بصوت مصبوغ بالخوف: "جودي، ماذا تفعلين؟".

أجيب مرتجفةً: "سوف أقطع قلب دارا وقلوب كلّ مَن أذاني. أريد أن أقتلهم كما يقتلونني".

"يا ملاكي، أعطني السكين".

"كلا، سيدفعون الثمن".

"جودي، كفى. لن يحلّ ذلك أي شيء".

"حسناً، لنحلّ الموضوع على طريقتك".

أشدّ قبضتي على السكين وأبدأ أشق وجهي. أصيح "أمي، ضعي حداً لهذه كله".

فجأة، أحسّ بيدين قويتين تمسك بذراعي. يصرخ جدي قائلاً: "ماذا تفعلين بحق الجحيم؟" تقع السكين على الأرض فتلتقطها أمي وتضعها في المغسلة وتغلق درج السكاكين.

يقول جدي لأمي: "من الأفضل أن نأخذ الطفلة إلى الطبيب".

يرافقاني ببطء إلى السيارة. نذهب إلى غرفة الطوارئ. أذرف دموع الغضب والملح الناتج عن دموعي يحرق الجروح على خديّ. أرتعد من اليأس الذي أشعر به. طيلة حياتي، عائلتي وأساتذتي وأطبائي يخبرونني بأنني سأسخر يوماً ما من الألم الذي عانيته. كانوا يقولون: "يوماً ما ستكونين في القمة وكلّ مَن عاملك بقسوة سيكون مجرد نكرة. سوف يحسدونك يوماً ما. وستحققين نجاحاً لا يحلمون به". وقد قال لي أبي مراراً

وتكراراً: "إنما يضحك أكثر مَن يضحك في النهاية".

هذه أكاذيب وحسب. الأمر الوحيد الذي كانوا ليقولونه لي هو أن اسمي يجب أن يكون على لائحة الواصلين إلى النهائيات وليس اسم دارا. لقد كذبوا عليّ. جميعهم كذبوا.

فيما تقفز الصور القاتلة في ذهني، قام طبيب الطوارئ بحقني بمهدئ. بعد ذلك مباشرة، أجد نفسي في سريري والغطاء فوقي وكلب العائلة شوشو متكوّر تحت قدميّ. هل كنت أحلم؟ أو أن الأمور التي أعتقد أنني أذكرها تحدث فعلاً؟ أشعر برعشة عندما ألامس وجهي بأصابعي وأتحسس الضمادات على خديّ. خائفة وغاضبة، أفعل ما أفعله دائماً لمواساة نفسي. ألتقط دفتر ملاحظاتي وقلمي وأؤلف قصيدة.

أسباب

أنتم أجمل مني. جميعكم أجمل مني

أنتم أموات!

أنتم أذكى مني. جميعكم أذكى مني

أنتم أموات!

أنتم أفضل مني. جميعكم أفضل مني

أنتم أموات!

والآن أنا الأجمل. الآن أنا الأذكى

الآن أنا الأفضل

الآن أنا الأكثر شعوراً بالوحدة...

بعد حادثة السكين، أعاني من إحباط شديد. أتوقف عن تناول الطعام. ليس الأمر أنني أريد تجويع نفسي ولكن الطعام لا ينزل إلى معدتي بكل بساطة. يتوقف عند حنجرتي وحسب مما يجعلني أتقيأ. يبلغ طول قامتي 168 سنتيمتراً وهبط وزني إلى أقل من 45 كيلوغراماً. بصراحة، يسعدني ذلك. لماذا؟ لأن مشكلة صدري تزداد سوءاً. فقد نما ثدي أربع مرات أكثر من الثدي الآخر ولا عضلات فيهما. إنهما يتدليان بترهّل من صدري كما أن الحلمتين ضخمتان ومقلوبتان. أبدو كمهرج في سيرك. اصطحبني أمي وأبي إلى أخصائيين في الغدد الصمّ وغيرهم من الأخصائيين، ولكنهم جميعاً يقولون الشيء نفسه. لا يمكن إجراء الجراحة التصحيحية حتى أبلغ السابعة عشرة أي لا يزال هناك سنتان. قد لاحظن الفتيات في حصة الرياضة الأمر قبل ذلك بكثير. كوني هزيلة يجعل تشوهي أقل وضوحاً بكثير. يتحول الأمر إلى حلّ مضاد لرغباتي.

أمي وأبي محتدمان غيظاً وقلقاً. يستمران في أخذي إلى الأطباء وأخصائيين في التغذية. يقول أحدهم أنني أعاني من فقدان الشهية ولكن ذلك غير صحيح. لم أنظر إلى نفسي قط على أنني بدينة. لن يستقر الطعام في معدتي وانتهى الموضوع. ويقول لنا طبيب آخر إنني أعاني من ورم ولهذا السبب أصبح سلوكي غريباً جداً. ولكن بعد الأخذ برأي آخر وإجراء صور أشعة إضافية، لم تعد نظرية الورم واردة. حتى إن والديّ لجأا إلى منوم مغنطيسي ليحاول إقناعي على تناول الطعام ولكن من دون جدوى.

مع حلول نهاية السنة الثانية، لم أعد أشعر برغبة في الخروج من المنزل. قضيت الصيف بأكمله مستلقية على كرسي المفضلة في الغرفة

العائلية أشاهد الأوبرا الصابونية والعروض الثانية لبرنامج المسحور وأحلم بمجاني. لا أرغب حتى بالاستحمام. لا أريد التكلم مع أحد على الهاتف. ولا أريد رؤية أحد. قد جاء بول عدة مرات من الجامعة ليحاول إخراجي من حزني. ولكن الأوان قد فات. ليس الأمر أنني أريد أن أموت، لستُ انتحارية. لو كنتُ كذلك، لكنتُ قطعت شرايين معصمي أو تناولت جرعة زائدة من الحبوب منذ وقت طويل. جلّ ما أريده هو أن أكون هادئة ووحيدة. هذا كل شيء. ليس بالأمر المهم. ربما أكون محظوظة. ربما أستغرق في النوم ولا أستيقظ مجدداً.



الفصل التاسع

اكتشاف

أطلنتس

إنه مساء الجمعة. تمرّ نهاية الأسبوع ببطء شديد. أغمض عينيّ وأحاول إبعاد شبح الوحدة عني. أشعر وكأنني أفقد صوابي. صوت التلفاز مدوّ. أستمع إلى مذيع الأحوال الجوية يتكلم بحماقة عن إنذار حدوث إعصار. فيعلّق عن الأعاصير التي يعتبر حدوثها غريباً في شيكاغو في فصل الخريف. ويستمر في القول: "ربما يتجه نحو البحيرة ويصبح ينبوعاً من المياه". أصغي إلى صوته المرح متخيلةً وجود أحد ما فوقه يشدّ الخيوط ليتحرك.

أتخيل وجود دمية تذيع نشرة الأحوال الجوية في برنامج شارع سمسم. ربما يكون مذيع الأحوال الجوية هذا، هو الدمية. يجب أن أتذكر أن أسأل كيرمت الضفدع عن الأمر. كيرمت رائع جداً. إنه يذكرني بكيربي، قزم العيد المفضل لديّ. يكره كيربي كونه قزماً ويحلم بأن يكون طبيب أسنان. ينفيه الأقزام الآخرون وسانتا لأنه مختلف فيوضب حقائبه ويغادر القطب الشمالي. خلال أسفاره، يكتشف أرض الألعاب المختلفة حيث يلتقي برودولف الرنّة ذي الأنف الأحمر ورجل الثلج البغيض وبطة مطاطية لا يمكنها أن تطفو ودمية عابسة بدلاً من أن تكون مبتسمة بالإضافة إلى عفريت العلبة ولكن بدون نابض. إنهم منبوذون تماماً مثل كيربي. ولكن الأمور تتحسن بالنسبة إلى كيربي وأصدقائه الجدد. رودولف ينقذهم

جميعاً. يستعيد كيربي حب سانتا واحترام إخوانه الأقزام ويؤسس عيادة ناجحة لطب الأسنان في القطب الشمالي. وتجد الألعاب المختلفة ورجل الثلج البغيض الحب والقبول ويعيش الجميع بسعادة إلى الأبد.

تقول أمي مقاطعةً أفكاري: "جودي، لمَ لا تستحمين وترتدين ملابسك. أنتِ بحاجة إلى الخروج من المنزل. البسي بنطلون جينز وسنذهب إلى المركز التجاري".

أُجيب بغضب: "متى وصلت إلى المنزل؟ لم أسمعك تدخلين".

"عدت للتو من متجر البقالة. عزيزتي يجب أن تخرجي من حالة الذعر هذه".

"ليس ذعراً أمي. لم أعد أهتم بأي شيء وحسب. ولا تفكري حتى باصطحابي إلى طبيب نفسي آخر لأنني لن أذهب".

تغادر أمي محبطة لأنها تحبني كثيراً ولا يسعها المساعدة. أشعر حقاً بها. ولكن شيئاً ما بداخلي قد تغير. إنني أصبح خسيسة وفظة. لم أطلب من أحد أن أكون هنا. هي مَن أنجبتني إلى هذا العالم. والآن أريد الموت وتباً لأي شخص يريدني أن أبقى. قد سمعت أن بعض مرضى السرطان تمكنوا من معالجة أنفسهم عبر التخيّل بأن خلاياهم السليمة تلتهم الخلايا السرطانية. أتساءل إنْ كان العكس صحيح. هناك دائماً ثمة أمل.

تصيح أمي من المطبخ: "جودي، والدك على الهاتف".

"لا أريد التكلم مع أحد".

"جودي، ليس أي أحد، إنه والدك وهو يتصل من أثينا. فانهضي عن الكرسي أيتها الشابة وتعالي إلى هنا وتكلمي معه".

أحلّ ساقيّ المتشابكين ببطء وأطلق تنهيدة غاضبة وأتوجّه نحو الهاتف. تعطيني أمي السماعة.

"مرحباً أبي".

سأل: "مرحباً يا ملاكي. تذكرين حبّك الدائم للآثار؟".

"نعم، لماذا؟".

"أتحبين زيارة مدينة أطلنتس الضائعة؟".

أجبته: "ماذا؟".

"يوجد هناك جزيرة بركانية تدعى سانتوريني. يعتقد جاك كوستو أنها قد تكون أطلنتس الأسطورية. أتذكرين إيرني صديق والدك القديم؟ إنه يملك منزلاً في سانتوريني وقد دعانا لقضاء أسبوعين معه. لقد رأيت هذا المكان وأظن انك وأمك ستحبانه. ابتعت تذاكر السفر. سوف تغادران غداً وستتوجه إلى سانتوريني من هنا".

"وماذا عن المدرسة؟ بالكاد بدأ الفصل الأول وسبق أن فوتّ عدة أيام. كنت أنوي العودة يوم الاثنين".

"تكلمت ووالدتك مع المدير. إنه على علم بحالتك. وقد تكلم مع أساتذتك فوافقوا على مساعدتك للتعويض عما فوتّه من دروس عند عودتك إنْ كتبت موضوعاً من عشر صفحات عن الرحلة".

أعلم أنني كنت أتصرف بوضاعة مؤخراً. قد يساعدنا الذهاب إلى هذه الجزيرة جميعاً. "حسناً أبي، يبدو الأمر ممتعاً".

تعانقني أمي بقوة. نعبّر سويّة عن حبنا لأبي وأقفلنا الخط. تقول أمي مبتسمةً: "من الأفضل أن تبدأي بتوضيب حقائبك". على الرغم من أنني

لم أزر أوروبا قط وأشعر بالحماس حيال رؤية مكان مميز، إلا أن جزءاً مني يقاوم أي حركة. الذهاب إلى المطار سيعني الخروج من المنزل. آمل أن أستطيع القيام بذلك.

أستيقظ في الصباح التالي على صوت أمي. "هيا يا ملاكي، حان وقت النهوض".

"أمي، لا أعتقد أنني أريد الذهاب إلى اليونان".

"جودي، لطالما كان أحد أحلامك زيارة اليونان القديمة. كنت تتكلمين عنها منذ صغرك. لا تدعي هؤلاء الأولاد في المدرسة يسلبونك هذا الحلم. سيخيب ظن والدك إنْ لك نذهب. جلّ ما يريده هو سعادتك. أرجوك عزيزتي نحتاج إلى تمضية هذا الوقت معاً".

نستعد للانطلاق في غضون ساعتين. فيما نتوجه في سيارة الأجرة إلى مطار أوهير، أطلب من أمي أن تقرأ لي الكراسة عن سانتوريني. أصبحتُ مستغرقةَ في وصفها للمكان المقصود. للمرة الأولى منذ أشهر، تشجعت بوعود الغد.

سانتوريني هي لؤلؤة بحر إيجه. يُعتقد أنها مدينة أطلنتس الضائعة التي كتب عنها أفلاطون. وهناك عجائب في هذه الجزيرة على عكس باقي الجزر في أوروبا. منذ أربعة آلاف سنة تقريباً، ثار بركان ضخم فقسم هذه الجزيرة إلى خمسة أجزاء. ثيرا هي الجزء الأكبر وقد حملت اسم الملك ثيراس ويبلغ طولها سبعة عشر ميلاً وعرضها ثلاثة أميال وتأخذ شكل الهلال.

سانتوريني الوعرة والبسيطة التي ما تزال غير متطورة تجارياً تتميز بوسائل الترف الخاصة بها والمشاهد التي تحبس الأنفاس بالإضافة إلى كرم ضيافة ورحابة صدر أهلها الذين يعيشون فيها.

ارجعوا في الزمن إلى أرض الأجداد، المكان السحري حيث تتوحد الحقيقة والأساطير. سانتوريني، مغامرة الروح وذكرى العمر. ■

بعد مرور عدة ساعات، تحط طائرتنا في أثينا حيث يستقبلنا أبي. المطار يضج بالحيوية. يذكرني بسوق البرغوث بعد ظهر أيام السبت ولكن بدلاً من صيادي الصفقات، تجد حشوداً من المسافرين المنهكين الذين يبحثون عن أمتعتهم أو يهرعون لملاقاة أحبائهم المنتظرين.

لا نملك أنا وأمي أي لحظة إضافية. تنطلق رحلتنا إلى سانتوريني بعد خمس وأربعين دقيقة. نلتقط حقائبنا ونسرع وسط الحشود إلى آخر البوابة. وفيما نقترب من المدخل، يتقدم أبي نحونا.

"خشيت ألا تستطيعان الوصول في الوقت المناسب"، يقول أبي ملتقطاً حقائبنا ومغدقاً على كلينا بالقبل.

وبينما ننتظر عند البوابة، أنظر خارج النافذة إلى المدرجة.

أسأل مرتبكة: "أبي، أين طائرتنا؟ أرى فقط الطائرة الحربية القديمة هذه". عندئذٍ، أدركت أننا الأشخاص الوحيدون الذين ينتظرون الرحلة إلى سانتوريني. "أين باقي الركاب؟".

يقول أبي مبتسماً: "ما من ركاب آخرين. سنكون فقط نحن الثلاثة بالإضافة إلى ربان الطائرة".

تقول أمي: "طوني، لا بد أنك تمزح".

يقترح أبي بفرح: "فكري بالأمر على أنه مغامرة عائلية".

"جودي، لا تسمحي أبداً بالقول إن أمك لا تتمتع بروح رياضية!" تعلق أمي وهي تحني رأسها فيما نستقل مِتن الطائرة الصغيرة التي تصدر مراوحها هديراً مدوياً.

بعد ثلاثين دقيقة من التحليق، يعلمنا الربان الذي يبدو قبطان مركب للصيد بسمرته الداكنة وقبعته الزرقاء الباهتة بأننا مباشرة فوق سانتوريني. أرفع رأسي مقابل النافذة الصغيرة. يبدو هذا الجمال الطبيعي الوحشي أمامي اصطناعياً وكأنني أحدق ببطاقة بريدية. هناك أجزاء مثلمة ضخمة تبدو وكأنّ البرق قد نحتها فتتأت من المياه الصافية. أستطيع رؤية فوهة البركان الخامد السوداء. وتنطلق أمواج مزبدة على أطرافه وكأنها تحاول إيقاظه من سباته. وفي الداخل، ترعى قطعان من الماعز والخراف في حقول خضراء شاسعة تقع بين الآثار القديمة وجبال باللون النحاسي والبني. نبضت الحياة من تحت الرماد الخصب حيث احترقت الحمم الذائبة في يوم من الأيام. وتمتد بساتين الفاكهة وكروم العنب لأميال. قد تضاربت قوى الطبيعة وروح الإنسان والتحمت لآلاف السنين هنا مما جعل المكان رائعاً.

إن الهبوط لطيف بالنسبة إلى طائرة صغيرة. "كالوس إيرثاتي"، يقول الربان وهو يفتح الباب الأمامي الصغير من الطائرة لإخراجنا.

"ماذا يعني؟"، أسأل تواقة إلى تعلّم ما استطعت من اللغة اليونانية في أسبوعين.

يُجيب: "هذا يعني أهلاً بك".

إنّ المطار عبارة عن مبنى صغير رمادي اللون. وخلفه يوجد برج يذكرني ببرج رابونزل أكثر من مركز مراقبة حركة الطيران. أسأل أبي عن أمتعتنا تواقة إلى جمع الحقائب واستكشاف الجزيرة. فيبتسم ويشير إلى عربة حمراء ضخمة في وسط المدرج وتحتوي على أقسام من البريد والصناديق. يقول وهو يرافقنا باتجاهها: "حقائبنا هناك. تذكرا، هذه مغامرة!".

نبدأ بحذر مهمة التصنيف بين العشرات من الرزم. عندما نجد حقائبنا ونخرجها من العربة، نتقدم إلى قاعة الوصول التي تتألف من غرفة تضم بعض الكراسي المعدنية ومكتباً ومنضدة صغيرة لبيع القهوة وفطائر الجبنة المنزلية الصنع.

أحدهم يصيح من الخارج "أنطونيو، أنطونيو!". أستدير لأرى رجلاً ثقيل الحركة ذا شارب غليظ داكن اللون يلوح بيده إلى أبي. فيخبرنا أبي أن هذا الشخص النابض بالحياة والدافئ هو ليفتيرايس، صديق إيرني القديم، وسيقودنا إلى المنزل. ثم، يساعد أبي على وضع أمتعتنا في السيارة وننطلق.

نقود على طول جروف وعرة ما وراء كهوف قبتاريخية وصخور كلسية تشبه الطبيعة من وصف جول فيرن في كتابه رحلة إلى وسط الأرض. المحيط يحيط بنا. وأشعر بأن أذنيّ ستصمّان بسبب ارتفاعنا نحو الجبال ثم هبوطنا عبر الوادي فإلى داخل قرية فيرا الصاخبة. فيما نمرّ بالقرب من صفوف من واجهات المتاجر المبيّضة، أسمع صوت الموسيقى يصدح من كل نافذة بالإضافة إلى صراخ رجال الأعمال المحليين وضحكاتهم بأصواتهم القوية العميقة التي تخرق ساحة البلدة الصغيرة. أترك أحاسيسي تتشرّب كل شيء: روائح الخراف التي تدور حول

اللعاب، والخبز الذي يوضع في أفران حجرية مفتوحة، الأسماك التي تم اصطيادها حديثاً وتُعرض للبيع عند الزاوية، والأزهار البرية التي تنبت من بين صدوع الصخور.

نواصل التقدم إلى ما بعد الساحة الرئيسة باتجاه فيروستيفاني وهي قرية صغيرة رائعة ترتفع ميلاً عن سطح البحر وقد بُنيت على طول حافة جرف. نتوقف أمام دير. هناك طريق حجري يمتد من قاعدة الدير نزولاً إلى جانب جرف شديد الانحدار. من بعيد، أستطيع سماع أصوات حوافر الحمير على الحصى ورنين الأجراس المعلقة بالطوق فيما تتوجه نحو المرفأ القديم.

يعلمنا أبي قائلاً: "سنمشي سيراً على الأقدام من هنا". بازدراد وحذر، نتبع أنا وأمي أبي وليفتيرايس. أسمع صوت الأمواج تتكسر على الصخور تحتنا وصوت حذائي الرياضي على الحصى الزلق. إنه الغسق تقريباً ويبدأ الهواء يصبح بارداً. تهب الرياح من الشمال جاعلةً سترتي المصنوعة من النايلون ترفرف. نصل إلى صفٍّ من الأدراج الإسمنتية وبوابة. يقول أبي مشيراً: "هذا هو". ننزل مجموعة من الأدراج الشديدة الانحدار لنصل إلى بيت مريح مبني داخل كهف.

إننا نقف على سطيحة تطل على مشهد بانورامي لسانتوريني كلها. تلقي أنوار فيرا المشرقة لوناً زهرياً على مئات المنازل البيضاء الصغيرة والكنائس الدائرية مع قبب زرقاء زاهية ملونة أرض الجزيرة الصخرية. تجد ما وراء أعالي المباني شواطئ ذات رمال سوداء ومساحات شاسعة من كروم العنب. ويقع أمامنا مباشرة البركان الخامد في المياه النقية. يحيط به أسطول صغير من المراكب يتردد صدى نفيرها في الأفق محذرةً مراكب

الصيد الصغيرة من وجودها. يتصاعد ضباب من البحر عند قاعدة الكالديرا. إنْ كان هناك مكان تتراقص فيه أرواح الأجداد وسط الأحياء، فهذا هو بالتأكيد.

يقول أبي: "هذا منزل تقليدي من سانتوريني. عام 1956، دمر زلزال قوي الجزيرة. بعد ذلك بعقد، رمّم مهندس هذه المنازل وأعاد إليها جمالها الأصلي. هيا، أنا متحمس لأريكما ما في الداخل".

هناك غرفة جلوس تضم أريكة حجرية مبنية داخل الجدار. وفي الخلف توجد غرفة النوم حيث بُني السرير أيضاً داخل الجدار. إلى اليمين، هناك فجوة صغيرة تحتوي على ثلاجة صغيرة وموقد كهربائي.

تسأل أمي بقلق: "أين الحمام؟".

يجاوب أبي: "هذا هو الجزء الأفضل". يعيدنا إلى السطيحة ويقولُ لنا أن نفتح الباب الواقع على يميننا. يوجد في داخله مغسلة وحوض استحمام ومرحاض ونافذة تطل على البحر. يقول أبي: "أعلم أنه بدائي ولكن في أي مكان آخر من العالم تستطيعان الاستمتاع بمشهد رائع كهذا فيما تغسلان شعركما بالشامبو؟" أبي متحمس جداً لمشاطرتنا الرحلة إلى سانتوريني. لمرة واحدة، لا يجمعنا الحزن أو الألم بل فرحة الاكتشاف.

فيما نتنزه إلى القرية لتناول العشاء، نراقب غروب الشمس. إنه لمشهد مدهش. بينما تغيب الشمس، تشع السماء بألوان ناعمة من الفوشيا والبرتقالي والأرجواني. ومجموعة من الأصوات تزيد من جمال تلك اللحظة، أصوات الحوافر ورنين أجراس الكنائس وصوت قصير خافت يكافح ليصعد إلى التلة.

هناك ثلاثة مطاعم فقط في الجزيرة كلها: هذا المكان بسيط وغير

فاسد. ما من مراكز تجارية أو صالات لعرض الأفلام ولا حتى متجر للبقالة. إنْ أردت شراء الفاكهة، فاذهب إلى المانافي، أي الشخص الذي يبيع المحصول في ساحة القرية. يتوفر اللحم لدى اللحام فقط. أما الجبنة فتباع في متجر لبيع الألبان والأجبان. إنْ كنت ترغب في تناول السمك، يمكنك امتطاء بغل حتى المرفأ القديم حيث ستلتقي بالصيادين المحليين الذين سوف يقدمون لك دلواً ويرشدونك لتختار سمكتك مباشرة من الشبكة.

هذه الجزيرة السحرية تحررني نوعاً ما. أشعر بالحرية والفرح. تبدو المدرسة بعيدة عني في عالم آخر. تستمر أمي في تذكيري بأننا سنعود إلى الواقع بعد عشرة أيام. ولكن الآن، سانتوريني هي واقعي. لمَ يربط الناس دائماً الواقع بالحزن وكأن من المفروض أن يكون الجميع تعساء. وإنْ لم يكونوا كذلك، ألا يمكن أن تكون الحياة حقيقية؟

كم أنا خائفة من السنة الأولى. إنه عام الجنس فجميع الفتيات الرائعات يفقدنَ عذريتهنّ في هذا العام. على الأقل، يختبرنَ المعانقة والتقبيل. ماذا سأفعل؟ صدري مشوه كثيراً لدرجة أنه في حال رآه فتى فسيشعر بالنفور. وإنْ عانقت أحداً، سيعتقد بأنني محتشمة في حال لم أدعه ينتقل إلى المرحلة التالية. وفي كلتا الحالتين، سأواجه الرفض.

هنا في سانتوريني، لن تكون مشكلة أبداً. إنه مكان محافظ. لا تخرج "الفتيات الصالحات" بصحبة الفتيان إلا إنْ كان يرافقهم أحد الوالدين أو وصيّ. لن يفكر الفتيان أبداً بتحسس صديقاتهم على الأقل حتى إعلان الخطوبة. أعتقد أن سانتوريني عالم مختلف وأفضل.

يسأل أبي: "عزيزتي، أيعجبك المكان؟".

"ماذا؟ آسفة أبي. كنتُ مستغرقة في حلم اليقظة. ماذا كنتَ تقول؟".

"سألتك إنْ كنتِ تحبين تناول العشاء هنا؟".

إننا نقف أمام مطعم جميل صغير يطل على البحر. وهناك إشارة بيضاء كُتب عليها حروف يونانية باللون الأزرق معلقة من الظُّلة. داخله يبعث الراحة والدفء ويضم فقط أربع طاولات. وفي الخارج على السطيحة هناك ست طاولات. وقد غُطيت هذه الأخيرة بسماط مختلف الألوان ووضع على كلّ منها شمعة. يقول أبي أن هذا نموذجي. يخرج يورغوس روسو مالك المطعم وهو رجل مسنّ ذو ابتسامة عريضة وشعر رمادي كثيراً لدرجة أنه يبدو كالأزرق تقريباً لي ليستقبلنا برفقة ابنه فانجيلي، وهو فتى وسيم في أوائل سنوات المراهقة. قال يورغوس بلهجة إنكليزية ثقيلة: "لا بد أنك طوني صديق إيرني. أهلاً بك في سانتوريني".

يجيب أبي: "شكراً". بعد المقدمات الحارة، أجلس ووالدايّ على طاولة على السطيحة. يطلب والدي زجاجة مشروب مفضل محلي الصنع له ولأمي وطلب مشروباً غازياً لي. عندما عاد فانجيلي حاملاً المشروبات، طلبت منه أن يحضر قائمة الطعام. فابتسم وقال إن المطاعم في سانتوريني لا تقدم قوائم بالطعام. بل يذهب الزبون إلى المطبخ ليرى ما يُطبخ هذا المساء.
"إنّ المطاعم الكبيرة تستخدم علب... ما هي الكلمة؟" يسأل فانجيلي.

أجيب: "العرض. أعتقد أنك تقصد علب العرض".

"نعم هذه هي الكلمة المناسبة. تضع المطاعم الكبرى أطباقها في علب عرض. هذا مكان عائلي صغير. يأتي الزبون إلى المطبخ وتريه أمي ما طبخت الليلة".

تبعنا أنا ووالدايّ فانجيلي إلى فجوة صغيرة خلف المطعم. إنه صغير جداً لدرجة أننا ندخل واحدة تلو الأخرى. رحّبت السيدة روسو بنا بحرارة. إنها لا تتكلم اللغة الإنكليزية، لذا استخدمت الكلمات اليونانية التي تعلمتها اليوم لأقول "مرحباً، يسعدني لقاؤك".

يقترح أبي قائلاً: "فانجيلي، لمَ لا تختار أطباقنا لهذه الأمسية؟ نريد عشاء من تقاليد سانتوريني".

يُجيب فانجيلي بفخر: "يسعدني ذلك".

في غضون دقائق، يعود حاملاً الأطباق الأولى من الأطايب. قال: "هذا طبق دوماتا كفتيديس"، مشيراً إلى الفطائر المقلية الذهبية اللون ذات الرائحة الطيبة. تفوح رائحة التوابل والبصل على الطاولة. يقول: "في الإنكليزية، تُسمى كرات الطماطم وتُصنع فقط في سانتوريني". يراقب والدايّ، وقد بدت الراحة على محياهما، فيما ألتهم ثلاث فطائر. بعد ذلك، أحضر فانجيلي طاساً يحتوي على شيء يشبه زبدة الفستق وفوقها قطع منثورة من الثوم وتم تقديمها مع قطع من الخبز الذي أخرجته السيدة روسو للتو من الفرن.

"ما هذا؟"، أسأل غير متأكدة من شعوري حيال تجربته. لا يفتح الشهية بقدر الفطائر المقلية.

يقول فانجيلي: "يجب أن تتذوقي هذا الطبق. إنه يُدعى فافا. أعتقد أنكم تطلقون عليه اسم بازلا الدجاج".

يقول أبي: "إنه الحمص".

يواصل كلامه: "إننا نزرعه هنا. وهي أصغر بكثير من الحمص الذي

تتناولونه ولذيذ المذاق. نطحنه ونمزجه مع توابل خاصة. ضعوا منه على الخبز وتذوقوه".

في غضون دقائق، تناولت أربع قطع خبز مع الفافا. على الرغم من أن شكله لا يبدو شهياً إلا أنه لذيذ بالتأكيد. استمر فانجيلي في تقديم طبق تلو الآخر إلى أن امتلأنا. إنها المرة الأولى منذ وقت طويل التي أشعر فيها بأنني ممتلئة من الطعام بدلاً من الحزن.

"إليكم بالطبق الأخير لتذوقه"، يقول فانجيلي وهو يقدم إلى كلّ منا صحناً صغيراً من اللبن والعسل. "إنه اللبن اليونان المميز. يأتي العسل من مزارعنا الخاصة". أغمس ملعقتي في المادة الكريمية البيضاء وأدخلها في فمي. إنّه غني وحلو المذاق. أغمض عينايّ وأحلم بأنني الإلهة أفروديت تتناول تحليتها. بعد دفع أبي الحساب وشكر أفراد عائلة روسو على لطفهم، تقترح أمي أن نتنزه في أرجاء فيرا قليلاً قبل العودة إلى المنزل.

فيما نتجه نحو ساحة البلدة، يمكنني أن أسمع موسيقى الروك أند رول الخفاقة. في آخر الشارع إلى اليمين، أرى لافتة كُتب عليها بالإنكليزية "حانة رقص نبتون".

يقول أبي: "لنلقِ نظرة". نمشي عبر ساحة طويلة مزينة بالأزهار والخزف وندخل إلى كهف طبيعي كبير. تتدلى الهوابط من فوقنا مثل دموع الماموث المتحجرة. كست شباك صيد كبيرة السقف ورُسم باليد مشاهد من البحر على الجدران. هناك بار حجري إلى يسارنا حيث يدير لاعب الأسطوانات هذه الأخيرة على نظام ستيريو قديم. وفي الطرف الآخر من النادي، هناك رجلان وسيمان يعدان المشروبات المفضلة. وخلفهما يوجد

رفوفٌ صُنعت داخل الجدران وامتلأت بزجاجات المشروبات المفضلة. أمامنا عشرات من الطاولات والمقاعد الصخرية المنحوتة يدوياً. وكلّ طاولة مزينة بالشموع المشتعلة بصورة متقطعة. وفي الجهة الخلفية من الكهف يوجد ساحة الرقص المصنوعة من الرخام الصلب.

نجلس على إحدى الأريكات . يأتي إلينا الساقي. إنه يبدو أكثر وسامة عن قرب. لم أقوَ على التكلم تقريباً عندما سألني عما أحب أن أشرب. لقد سمح لي أبي بتذوق الكولا فطلبت كأساً مثل أبي وأمي. قال : "أدعى يان وأملك هذه الحانة".

"تشرفت بمعرفتك"، أجبته وقلبي يخفق بسرعة. يتحدث مع عائلتي للحظة قبل العودة إلى البار. فيما أنظر حولي، أرى أن هناك حوالى عشرين زبوناً جميعهم فتيان مثيرون من عمري. بعد وقت قصير، اقترب أحدهم وجلس بالقرب منا. فنظر والدايّ إليّ وابتسما. رحت أنا وأمي نتكلم معه. لا يتكلم تقريباً الإنكليزية ولكننا تدبرنا أمرنا في التواصل. قال إن اسمه يورغوس ويبلغ السابعة عشرة من العمر ويمتهن صيد السمك ويحب أن يلتقي بي هنا في موعد عاطفي مساء الغد. استخدم أبي كل براعته في التخاطب وشرح ليورغوس بأنه سيأتي بي هو أمي إلى هنا عند الساعة الثامنة من مساء غد ويعودان لاصطحابي عند الحادية عشرة. كم أنا متحمسة!

في اليوم التالي، ابتعت كتاباً يعلّم عبارات مترجمة من الإنكليزية إلى اليونانية. من تلك الليلة فصاعداً، أصبحت ألتقي بيورغوس وأصدقائه كل مساء في الحانة. فنرقص على أنغام الديسكو والروك أن رول حتى الساعة العاشرة من كل ليلة ثم نرقص لمدة ساعة رقصة البوزوكي اليونانية التقليدية. وخلال النهار، نتنزه على الشاطئ أو نزور الآثار. لقد تزايدت

مفرداتي باللغة اليونانية من عشرين إلى ثلاثين كلمة في اليوم. على الرغم من أنه لم يمضِ وقتاً طويلاً على وجودي في هذه الجزيرة، إلا أنني أشعر بأنني جزء من هذا المكان أكثر من الولايات المتحدة. هنا، يقدرني أصدقائي ويتقبلونني. لطالما علمت أن هناك عالماً أكبر من ثانوية الغرب الأوسط التي أرتادها ولكن حتى الآن، لم أتأكد إنْ كان عالماً لِمَن هم أمثالي.

بالإضافة إلى يورغوس وجماعته، تعرفت إلى شخص علمت بأنه سيكون صديقاً إلى الأبد. يدعى نيكو. إنه قوي ووسيم ويتمتع بعينين داكنتين وهواية خلاّقة ويشكل لغزاً في هذه الجزيرة الصغيرة حيث جميع مَن فيها تقريباً هم من السكان الأصليين في سانتوريني. لقد ولد وترعرع في مدينة سالونيك في شمال اليونان ويتمتع بأسلوب جديد لا يفهمه معظم السكان هنا. قد انتقل إلى هذا المكان ليفتح ملهى ليلياً في فيرا سيطلق عليه اسم كازابلانكا. أنا ونيكو متشابهان. إنه لا يتبع أيضاً أي مجموعة. أعتقد أنه لهذا السبب سيؤسس ملهى مستوحى من بطل الفيلم. أظن أن شخصيته تشبه شخصية بوغارت.

نمضي أنا ونيكو الكثير من الوقت معاً في الحديث عما يبدو الأمر عليه عندما يكون المرء مختلفاً. إنه الشخص الأول الذي ألتقي به فيتعاطف مع الألم الذي اختبرته. بعد ظهر ذات يوم، جلسنا في البار في ملهاه الفارغ ورحنا نتشاطر التجارب المرة من طفولتنا. يسألني: "لِمَ فتاة بجمالك وحيدة لهذه الدرجة؟" أقرر أن أقوم بقفزة نوعية وأخبره عن تشوهي. في أعماقي، أشعر بالخوف ولكنني أعلم بأننا في حال أصبحنا صديقين حقيقيين كما أتوقع، فلا بد أن أكون صادقة معه هنا والآن. أسأم من إخفاء جسدي عن الآخرين. أقول بتردد: "نيكو، أحضرني

والداي إلى سانتوريني ليبعدا عني شبح الرغبة في الموت. يكرهني الأولاد في وطني لأنني مختلفة عنهم. بالإضافة إلى ذلك، أعاني من عيب في جسدي. لا ينمو صدري بشكل طبيعي. ويقول الأطباء بأنني سأحتاج إلى الخضوع لعملية جراحية بعد سنتين".

ينظر مباشرة في عيني ويقول: "حبيبتي، يجب أن لا تشعري أبداً بالعار من نفسك" ثم يسألني بلطف: "أيمكنني أن ألقي نظرة على الجمال الذي تظنين بأنه قبح؟" مع أن الخوف يخدرني، إلا أن شيئاً ما بداخلي يثق به وأعلم أن عليّ أن أقول له نعم. أفكّ أزرار بلوزتي بأصابع مرتجفة. أخجل بصديريتي التي تبدو أداة غريبة الشكل أكثر مما تبدو قطعة من الملابس بأحزمتها وإبزيماتها وشرائطها الكثيرة. لاحظ ارتباكي حيال خلعها فراح يطمئنني قائلاً: "لا تخافي، لا شيء ستريني إياه سوف يمنعني من أن أكون صديقك". وأخيراً، سقطت الصديرية على خصري وها أنا واقفة أمامه عارية الصدر. يبتسم، ثم يقول: "أين المشكلة؟".

أصيح: "هل أنت أعمى؟ أنظر إليّ!".

يُجيب: "إنني أنظر إليك وأعتقد أنك جميلة وفي يوم ما سيجدك زوجك جميلة أيضاً".

عندما أنظر إلى نيكو، أعلم أنني طالما سأحظى بصداقته وبعجائب هذه الجزيرة، فإنني سأستطيع تجاوز كل المصاعب. في الولايات المتحدة، يراني الجميع بأنني سيئة التأقلم. في سانتوريني، أنا جميلة الحفلة. أشعر وكأنني سندريلا. تمثل الثانوية الدور التحتي في منزل زوجة الأب الشريرة وسانتوريني هي قصر الأمير الفخم حيث كل شيء محتمل. على بعد عشر آلاف ميل في أرض أجنبية وغريبة، أتمتع بكوني مراهقة أميركية طبيعية

وسعيدة. متى تتعقد الأمور في ساmويلز، سوف أغمض عيني وأتخيل بأنني أعود إلى هنا وأشرب القهوة اليونانية مع نيكو أو أرقص في حانة نيبتون.

***

غيرت هذه الرحلة حياة عائلتي. لقد زال التوتر والقلق، ونستطيع أن نضحك مجدداً. لم يعد هناك أي حديث عني حول كوني فاشلة اجتماعياً. وما من جدال حول مَن المسؤول عن ذلك. وكأن الذكريات التعيسة تبخرت.

عندما أعود إلى الولايات المتحدة، أصمم على تعلّم اللغة اليونانية. تأخذني أمي إلى كنيسة إغريقية بالقرب من منزلنا. أطلب من الأب بايرون وهو شخص محبب في أواخر الخمسينات من العمر أن ينصحني بمعلمة لتعليم اللغة اليونانية فلم يأخذ كلامي على محمل الجدّ "لأن ما من أحد يستطيع تعلم اللغة إلا إذا كان من جذور يونانية".

أجيب: "أبتي، إنني الحالة الاستثنائية الوحيدة".

يعرّفني إلى أكثر المعلمات صرامةً بين اللواتي التقيت بهن. هيليني وهي امرأة جميلة في أواسط الثلاثينات من العمر جدية كثيراً حول التعليم. لم تقبل قط أي طالب غير يوناني قبلاً. قالت محذرةً: "جودي، سأعلمك فقط إنْ بقيت متفانية. في حال لم تقومي بواجباتك المنزلية أو لم تكوني مستعدة لأكثر من مرتين على التوالي، فسأوقف دروسك".

"أعدك هيليني. لن أخذلك. هذا يعني لي الكثير".

راضية بصدقي، تبدأ تعلمني لمدة تسعين دقيقة مرتين أسبوعياً. عندما تبدأ بتوجيه الحديث إليّ بشكل غير رسمي، أعلم بأنني تجاوزت الامتحان.

الفصل العاشر

عرض

استثنائي

مضى شهر وحسب على عودتي من سانتوريني وها هي حالتي تبدأ من جديد. على الرغم من محاولتي لأبقى إيجابية وأتمسك بذكرياتي في اليونان والأوقات التي أمضيتها مع أصدقائي هناك، إلا أنني أستيقظ كل صباح مع شعور بالقلق الشديد. لا أعرف أبداً ما قد يحدث ما إنْ أغادر المنزل. عندما يرن جرس الساعة، أختبئ تحت الملاءات وأثني يديّ وأدعو ربي أن أصاب بمرض في حنجرتي أو أي مرضٍ معدٍ يمنعني من الذهاب إلى المدرسة.

لقد استعدت كل الوزن الذي خسرته. شعر والدايّ بالارتياح ولكنني يائسة. تزيد الكيلوغرامات الإضافية من عدم تناسق ثدييّ. فالثدي الأيمن ضخم ومشوّه ويشبه بالون محتقن من المياه. أما الثدي الأيسر فحالته أسوأ. إنه يبلغ خُمس حجم الثدي الآخر كما أن لا لحم أو عضل فيه. يبدو كبرجمة ناتئة من تحت بشرتي. أشعر بالعار فيما أحدق في المرآة محاولة اتخاذ قرار أي بلوزة تؤمن التمويه الأفضل. في الماضي، عندما كان الأولاد يدعونني معتوهة، كنت أقنع نفسي بأنهم مخطئون. والآن، فيما أكافح لربط الصديرية التي صممت خصيصاً لتناسب حالتي، لست أكيدة من ذلك. فالصديرية محشوة من جانب واحد ويبدو شكلها غريباً. إنها غير متقنة الصنع ومليئة برباطات وإبزيمات غريبة للتعويض عن الوزن الذي يحمله أحد الجانبين.

أذكر عندما ذهبت وأمي لشرائها. راحت تلك المرأة العجوز بيديها الكبيرتين الحرشفيتين تنخسني بمازورة صفراء. شعرت وكأنني شيء وليس فتاة.

أستمر في طرح السؤال على نفسي، "لمَ حصل ذلك لجسدي؟" يملك زملائي سبباً آخر يبرر إيذاؤهم لي. أخشى التجول في أروقة سامويلز واضطراري لاحتمال الأخطار والتعذيب. أعلم أن والداي سيسمحان لي بأن أغير المدرسة ولكن سيسمى ذلك هروباً.

لقد صمدت أمام الألم والوحدة منذ الصف الخامس. ما زال أمامي سنتان وحسب في الثانوية. إنْ انتقلت إلى مدرسة أخرى الآن، سيكون ذلك استسلاماً ضمنياً. لا يمكنني السماح لزملائي بهزمي بهذه الطريقة. أستطيع التعايش مع ذلك. لو كان قد أخبرني أحد عما سأعانيه، لكنت التقطت إحدى شفرات جدي الأثرية واستخدمتها لوضع حدّ لهذا العذاب إلى الأبد.

فيما أستلقي على السرير وأشعر بدوار، تدخل أمي إلى الغرفة مفعمة بالفرح المبالغ فيه. أحبها عندما تحاول إشراكي في تفاؤلها ولكن ذلك يصيبني بالجنون في فترات الصباح مثل صباح هذا اليوم. أقول: "أمي أنتِ مفرطة في التفاؤل. تعتقدين أن كل شيء سيكون مختلفاً فقط لأنني استعدت وزني الطبيعي؟ ماذا عن صدري القبيح؟ أتمنى لو أستطيع شقّ هذين الثديين بالسكين". أمي حسنة النية ولكن ما من شيء تقوله سيرفع من معنوياتي.

تُجيب مفعمة بالأمل: "نستطيع أنا ووالدك تسجيلك في مدرسة أخرى. كنتِ سعيدة جداً في رحلتنا إلى سانتوريني ولا أريدك أن تعودي إلى سابق عهدك".

"أمي، لا تفهمين الأمر. لا يهم أي مدرسة سأرتاد. لقد حاولنا ذلك من قبل وكان الأمر سيان. سوف أحتمل المصاعب".

"تذكّري يا ملاكي، يمكنك أن تتفوقي على كل هذا. لا تمنحي هؤلاء الأولاد المتعة في معرفة أنهم ألحقوا الأذى بك. تجاهليهم وحسب وابتعدي".

نعم، صحيح.

وأخيراً، أختار سترة بيضاء وبنطلون الجينز المفضل لديّ وحذاء رعاة البقر. تخفي هذه السترة بشكل خاص مشكلتي. عليّ فقط أن أحرص على ألا تتبلل. في إلينوي، إنّ الرياضة حصة ضرورية إلا إذا أحضر الطالب ملاحظة من الطبيب. يعتقد والداي أنه من الأفضل أن يكتب طبيبي سبباً طبياً آخر عندما يطلب إعفائي من حصة الرياضة. إنهما قلقان من أنني قد أشعر بالحرج والخجل إنْ يعلم أساتذتي الحقيقة. لذا، كتب الدكتور كايلن يقول إنني أعاني من مشكلة في ظهري يمكنها أن تتفاقم بسبب الحركات الشاقة. سيثبت كذبي على أساتذتي بأنه خطأ فادح.

عندما سلمت ملاحظة الدكتور كايلن إلى معلمة الرياضة السيدة نيكولز، راحت تهزأ بي. إنها امرأة صلبة وجدية تبدو كضابط مدرب أكثر مما تبدو مدربة كرة السلة للفتيات، وتعتقد أنه من السخافة أن أُعفى من حصة التربية البدنية بسبب ألم في الظهر.

علّقت وهي تثني الورقة وتضعها في جيبها: "هذه مشكلة الأهل والأطباء اليوم. إنهم مفرطون في حماية أولادهم. لا يمكن أن يكون المرء رقيقاً جداً مع الأولاد وإلا فسنعيش في مجتمع مليء بالنيقين".

"آنسة نيكولز، يمكنك التكلم مع الدكتور كايلن. صدقيني، ليس من الممتع أن أكون الوحيدة خارج الفريق. أفضّل أن أنضم إلى الفريق مثل الجميع ولكنني لا أستطيع".

قالت مذعنةً: "حسناً، أحضري كتبك لتستفيدي من الساعة".

"شكراً سيدة نيكولز".

يحدث الأمر ذاته كل فترة بعد ظهر لأسابيع وأسابيع. أذهب إلى قاعة الرياضة وفيما تتمرن باقي الفتيات على كرة المضرب، أجلس على الأرض ناشرةً الكتب أمامي. أتظاهر بأنني أدرس فأبدأ بنظم قصيدة تلو الأخرى وأصب كل إحباطي وحزني على صفحات دفتر ملاحظات كبير.

مررت بمرحلة أصبحت فيها مستغرقة في الكتابة لدرجة أنني أستطيع اعتراض سبيل سخرية زملائي. ولكن ما زالوا عديمي الشفقة.

"أنت مقرفة أيتها النيقة".

"لا عجب أنك تحبين الخروج مع المختلين عقلياً أيتها المعاقة".

"لمَ لا تأخذين حصة الرياضة، هل فيك قمل أو ما شابه؟".

بعد مرور عدة أسابيع، طلبت من الآنسة نيكولز إنْ كان باستطاعتها منحي إذناً بالذهاب إلى المكتبة. شرحت لها أن الجلوس على المدرجات مزعج فيما يشترك الجميع في حصة الرياضة. "جودي، ليست الحياة مريحة دائماً. حان الوقت ليكف الجميع عن معاملتك كطفلة. آسفة ولكن الجواب هو كلا. صدقيني، ستشكرينني على ذلك يوماً ما". لو كانت الآنسة نيكولز وغيرها من الأساتذة مدركين لما كان يجري حقاً، أي أنني مشوهة وأنتظر الموافقة على الخضوع لعملية إعادة بناء جذرية، لتفهموا الوضع بشكل

أفضل. ولكن بدلاً من ذلك، ازدراؤهم يمهد الطريق للطلاب.

يجتمع بعض الأولاد في مجموعات بين الحصص فيما أمشي في الرواق. فينحنون بشكل شنيع ويشوهون وجوههم ويتظاهرون بالجنون. ثم يطاردونني إلى أن يسأموا وهو ينخرون ويلوحون بأذرعهم إلى أن يستغرقوا في الضحك وعندئذٍ يبتعدون. لقد سئمت حقاً من التعرض للمضايقة. أراقب اثنين هنا وهناك يتبادلان القبل في ساحة المدرسة أو في الأروقة والمشجعات المرتديات بتنانيرهن القصيرة وستراتهن الضيقة يتسمنَ ويضحكنَ ويتشاطرنَ الأسرار ويتبادلنَ أدوات المكياج. أقدم أي شيء مقابل يوم كهذا...

أتخيل بأنني أعقد صفقة مع الطلاب المحبوبين في المدرسة. يعاملونني وكأنني فتاتهم المفضلة ليوم واحد فقط. فيكون الظهير الخلفي في فريق كرة القدم صديقي ويرافقني إلى الصف يداً بيد. وتمتثل بي المشجعات ويتجادلنَ في ما بينهن حول مَن ستكون صديقتي الحميمة. ويتسابق كل الأشخاص الرائعين لمشاطرتي أسرارهم وأكون أول مَن يتم دعوته إلى الحفلة الكبيرة ليلة السبت. بالمقابل، بعد مرور أربع وعشرين ساعة، أدعهم يفعلون أي شيء. يمكنهم أن يضربوني ويبصقوا عليّ ويشتموني أو حتى يروا تشوهي. أدفع أي ثمن مقابل اختبار نشوة أن أكون محبوبة ليوم واحد فقط.

كم أتمنى لو أنني أستطيع انتزاع أنفي مثل سامنثا في مسلسل المسحورة وأنقل نفسي إلى سانتوريني. كل أسبوع، أتلقى رسائل من أصدقائي في الجزيرة. من الممتع ترجمتها مع هيليني. فهذه الرسائل تجعل حياتي محتملة أكثر ولكنها أيضاً تجعلني أشتاق أكثر إلى أصدقائي هناك.

أصبح الوضع في حصة الرياضة لا يطاق. انتشر خبر بأن هناك خطباً

ما بي ويسخر بي زملائي بلا توقف. كما أنني بدأت أشعر بألم جسدي. فحالة صدري تسبّب ألماً حاداً بسبب الوزن غير الطبيعي على جهة واحدة. ينمو النسيج أسرع من العضل مما يضغط على الأعصاب في منطقة الصدر. أحياناً أشعر وكأن سلكاً ساخناً ينخس صدري. في هذا اليوم بشكل خاص، الألم حاد جداً لدرجة أنني أشعر بأنني سأتقيأ. أذهب إلى مكتب الممرضات للاستلقاء إلى أن أتخطى الأسوأ. وفيما أهمّ بالخروج، يبتسم لي كلّ من جاكلين وآي جاي اللتين تأخذان معي حصة الرياضة وراحتا تتحدثان معي. تعبث جاكلين بقطعة كبيرة من العلكة لدرجة أن ما تقوله غير مفهوم. يجب أن أشك بالأمر ولكنني ما زلت أشعر بالألم ولا أقوى على التفكير جيداً. تجري الأمور بسرعة فائقة حتى إنني لا أملك الوقت للإجابة.

فجأةً، تمسك آي جاي بمعصمي وتثبته بقوة بحيث لا أستطيع الحراك. أما جاكلين، مشدّدةً على كل حركة تضع أصابعها داخل فمها وتُخرج قطعة العلكة الزهرية التي تبلغ حجم كرة الغولف تمطّها. بعد ذلك، تثبتني آي جاي فيما تلصق جاكلين جيداً العلكة في شعري وتشبكها بقوة بحيث اضطرت الممرضة أن تزيل المادة اللاصقة بواسطة المقص.

ما بقي من الشعر يفوق شعوري بالحرج. هناك خصل ناقصة بالقرب من عنقي وباتجاه أعلى فروة رأسي. أفكر بارتداء شعر مستعار ولكن تبدو الفكرة غريبة جداً. عندما أعود إلى المنزل وترى أمي مظهر شعري، تحاول مجدداً إقناعي بالانتقال إلى مدرسة أخرى.

"إنسي الموضوع أمي، الجواب هو لا. لن أهرب".

تُجيب: "حسناً يا ملاكي. أحترم قرارك".

تصطحبني وخالتي إيفي إلى صالون تجميل حيث قُصّ شعري وأُعيد تصفيفه. عليّ الاعتراف بأنه يبدو أفضل ولكن ما من شيء يفلت من نظرات المراهقين القاسية. في اليوم التالي، يصبح شعري مركزاً لسخريتهم. لا يتفوهون حقاً بأي كلمة ولكنهم يتبعونني إلى الحمام أو في الرواق ويحلقون بشعري ثم يستغرقون في الضحك. أرغب في الاختباء في حفرة. أشعر بأنني قبيحة وقذرة وكأن صدري والآن شعري عبارة عن سخام أحتاج إلى إزالته بالماء والصابون.

عند وصولي إلى المنزل بعد المدرسة، تشاجرت مع أمي. أشعر بإحباط وتعب شديدين من سماع عبارة "تفوقي على كل شيء". ما أريد فعله حقاً هو إلحاق الأذى بأحدهم. تصرّ أمي: "أريهم مدى قوتك من خلال تجاهلهم".

لمَ تستمر أمي في ممارسة منطق الناضجين عليّ؟ لا يفكر الأولاد بهذه الطريقة بكل بساطة. يرى البالغون عملية التجاهل علامة قوة. ولكن المراهقين يرونها نقطة ضعف كبيرة. كلما أتظاهر باللامبالاة، كلما يحاول زملائي إثارة غضبي بقدر استطاعتهم. لا تفهم أمي الموضوع وحسب: المراهقون يختلفون عن البالغين. أهتم لرأي أمي بي مما يسبب معضلة. فبدلاً من المقاومة في المدرسة وهذا ما يجب أن أفعله، أحاول أن أتصرف بنضج والابتعاد لأنني لا أريد أن يخيب ظن أمي بي. ولكن ماذا عن تقديري لذاتي؟ أمي قلقة جداً على كرامتي لدرجة أنها لا تكف عن أخذها بعين الاعتبار.

أقول بسخط: "أمي، لن تفهمي أبداً ما أعانيه. تتكلمين وكأنني أعيش في فقاعة بلاستيكية حيث يتصرف الجميع بنضج. لمَ لا أنتقل

للعيش في سانتوريني وحسب؟ أكره وجودي هنا". تغرورق عينا أمي بالدموع.

أجيب وأنا أعانقها: "أمي، أنا آسفة".

تُجيب وهي تحضنني بقوة: "أنا آسفة أيضاً يا ملاكي. على الأقل أننا نتكلم. من الأفضل أن تبوحي بما في داخلك". بكينا ثم تناولنا المعكرونة بالجبن التي أعدتها جدتي. فيما نلتهم طعامنا المفضل، أقلق من أن تكون أمي لا تزال غير قادرة على فهم فظاعة ما أواجهه في المدرسة: إنّ تجاهل هؤلاء الأولاد سيزيدهم عزماً على مضايقتي. قد تعتقدون أنها وأبي يختلفان في وجهات النظر حول الأمور في ظل ما جرى في السنة الأولى، ولكنهما لا يزالان يتمسكان بفكرة أن تجاهل المتنمرين هو الحلّ الوحيد في التعامل معهم.

في الصباح التالي، اتخذت قراراً مهماً. أخبرت والديّ بأنني سأبدأ بالمشاركة في حصة الرياضة. تقول أمي: "عزيزتي، إنْ أخذت حصة الرياضة، سيتوجب عليك الاستحمام مع باقي الفتيات. كيف ستمنعينهن من رؤية مشكلتك؟".

"سأخلع ملابسي بسرعة وأدخل الحمام ثم أخرجه قبل أن يراني أي أحد".

يجب أن أقوم بأي شيء ويبدو أن هذا هو الحلّ الوحيد. في باص المدرسة، أصلي قائلةً أرجوك ربي لا تدع أحد يرى ما أبدو عليه.

طيلة النهار، أستمر في تذكير نفسي بأن أتحلى بالشجاعة. في وقت لاحق من ذلك الصباح، ألتقي بنورين في الرواق. تبتسم ابتسامة ضعيفة

وتحيّيني ولكن الحزن يلفّ وجهها. كل تلك السنوات من المضايقة والإزعاج خلفت أثراً كبيراً. ما زال حس الكفاح ينبض في داخلي فيما انكمشت هي في قوقعة. والآن عندما يرى أحدنا الآخر، لا يكون اللقاء حاراً وودياً بل متكلفاً ومتسماً بعدم الراحة. الألم رباط ضعيف. مثل الكثير من المنبوذين، لم تكن علاقتنا مبنية على أساس المميزات الإيجابية المشتركة بل على المعاناة الرهيبة التي كنا نتشاطرها. أصبحنا كسجناء الحرب. ويكمن الفرق الوحيد بين وجهات نظرنا في أنني ما زلت آمل بأننا سوف نتحرر.

إنها فترة بعد الظهر، وها أنا أتوجه عبر الباب إلى غرفة خزائن الفتيات. أشعر وكأن قدميّ مثقلتان. أحضرت معي علبة فوط صحية. فيما الفتيات من حولي تخلعنَ ملابسهن من أجل حصة الرياضة، أقوم بحركة واضحة عبر سحب فوطة صحية من حقيبتي وأحرص على أن تراها الفتيات الواقفات إلى جانبي. ثم، ألتقط زيي وأهرع إلى الحمام خلف الخزائن وأغيّر ملابسي في إحدى الحجيرات. لم يعلّق أحد على أي شيء بما أنه من الطبيعي أن ترغب الفتاة ببعض الخصوصية خلال الدورة الشهرية. كما أن خدعة الفوط الصحية هذه، تبعدني عن مشكلة الاستحمام لأن قانون الصحة يمنع الاستحمام في فترة الدورة الشهرية.

تنجح خدعتي خلال الأسابيع القليلة الأولى إلى أن تقترب مني شارون بجانب المغسلة. تسأل: "لمَ لا تغيّرين ملابسك هنا معنا؟ هل أنتِ مصابة بداء؟" ما قصة شارون وأنا والحمامات؟ أذكر عندما كنا في حمام الفتيات في السنة الأولى عندما تملّصت من دعوتها لي كي أدخن معها فقلت لها إنني مصابة بالزكام ولا أريد أن أنقل إليها العدوى. نجحت

الخدعة وقتئذٍ ولكن يبدو أنني لن أكون محظوظة هذه المرة.

"دعيني وشأني"، أجبتها وعيناي تبحثان عن أقرب مهرب. كان بإمكاني دفعها بعنف ولكن سيمنحها ذلك عذراً لضربي. وإنْ هربت سأكون جبانة بالنسبة إليهنّ. إنّ التوتر في صوتي يزيد من متعتها.

تقول شارون محدقة بنظرة تهديد: "عمّ تبحثين؟ أتعتقدين أن أحداً سيساعدك؟ الكلّ يكرهك". أبدأ أعي شعور التعرض للهجوم. لا يهم ما فعلته أو لم تفعله. كلّ ما يهم هو ما يقال عنك.

فجأةً، تدخل الآنسة نيكولز غرفة الخزائن. الحمد لله. "شارون، لمَ لم تغيّري ملابسك بعد؟ هل من مشكلة؟".

تجيب شارون ببراءة: "كلا سيدة نيكولز. كنت فقط أسأل جودي إنْ كان بحوزتها فوطة صحية إضافية".

تقول الآنسة نيكولز وهي تخرج: "حسناً، أسرعي".

تقول شارون: "يا لك من غريبة الأطوار. يريد الكثيرون أن يبرحوك ضرباً. لو كنتُ مكانك، لحذرتُ من مكان توجهي". تستدير وتبتعد راضية من نجاحها في إخافتي.

إنْ رأى زملائي صدري، سأكون أضحوكة الجميع. هناك حلّ وحيد: السرعة. لديّ حصة الرياضيات قبيل حصة الرياضة. كلّ يوم أراقب الساعة وأصغي إلى الجرس. ما إنْ يرنّ، أقفز عن مكتبي راكضةً. في الحرم مبنيان طويلان. يقع صف الرياضيات عند طرف وقاعة الرياضة عند الطرف الآخر. أمامي أقل من خمس دقائق للوصول إلى غرفة الخزائن وتغيير ملابسي قبل وصول أي أحد. وعند انتهاء الحصة، أهرع إلى الحمام

وأنتهي في أسرع وقت ممكن. وأكون مرتدية ثيابي بدون أن يلاحظ أحد فيما تقوم الأخريات بغسل شعرهن وتنعيمه.

ولكن ذات صباح، لم أكن سريعة بما يكفي. لمحت شارون شكل صدري قبل أن يتسنى لي الوقت في تغطيته. فراحت تضحك ونعتتني بالمعاقة. قالت إن لا أحد سيرغب في الوقوع في حبي أو الزواج بي وسوف أموت عذراء وحيدة.

قاطع كلّ من جاكلين وآي جاي حديثها. قالت آي جاي: "خير لك أن تهرعي إلى المنزل وترتمي بين أحضان أمك. إنْ وجدناك وحدك، سنضربك ضرباً مبرحاً". تضحك الفتيات مستمتعين بشعوري بالخوف وعدم الراحة. تهرع شارون إلى خزانتي وترفع صديريتي بحذر عن العلاّقة وتجعلها تتدلى في الهواء. فتضحك جميع الفتيات عندما يريْنَ شكل صديريتي. ترمتها شارون إلى الجهة الأخرى من الغرفة باتجاه جاكلين التي تلتقطها بدورها وتقذف بها إلى آي جاي. في غضون وقت قصير، ينضم الجميع إلى اللعبة ويرحنَ يرمين الصديرية في أرجاء غرفة الخزائن مثل كرة. بعدما نالت كل واحدة حصتها من المتعة، يرمينَها في المرحاض بالإضافة إلى بلوزتي الحريرية ثم يخرجنَ من الباب مقهقهات.

أشعر بالإذلال. عليّ الذهاب إلى الصف لأريهنّ بأنهن لم يهزمنّني. بما أن ليس لديّ أي شيء آخر لارتدائه، ألبس القميص الرياضي. ولأن الصديرية الخاصة ليست بحوزتي، من السهل رؤية صدري اللامتناسق عبر حدود قميصي القطني الرخيص. فألتقط حقيبة كتبي وأثبّتها إلى صدري آملةً ألا يلاحظ أحد.

عند خروجي من غرفة الخزائن، أرى فتياناً من فريق كرة القدم وبعض المصارعين والعديد من الفتيات من حصة الرياضة يقفون خارجاً في انتظاري. أرتعب. أقول في ذهني: "لمَ الله يعاقبني هكذا؟" الحقد واضح في عيونهم.

لا أستطيع الهروب لأنهم يحيطون بي. إنْ أصرخ ألفت انتباه أستاذ ما، فأوقعهم في ورطة. يجب أن أتخذ قراراً. إما أن أدعهم يحطّون من قدري الآن وأكمل طريقي وإما ألتمس المساعدة من أستاذ وأتعرض لاحقاً للتعذيب لأنني وشيت بهم. أقول راجية:

"أرجوكم يا أصحاب دعوني أذهب إلى الصف". للحظة، أرى الشعور بالذنب يعلو وجوه البعض منهم ولكنني أعلم أن لا أحد سيجازف في معارضة أفراد المجموعة. يحيطون بي ويغنون...

"أنتِ قبيحة".

"يا أصحاب، مَن يريد أن يصحبها إلى حفلة التخرج؟".

"كلبي أجمل منك.

الهجوم الشفهي لا يرحم. أحاول أن أغطي أذنيّ ولكن لا شيء يمكن أن يحجب أصواتهم. ثم، أرى تايلر من طرف عيني يتجه نحو المجموعة. على الرغم من أنه كان سافلاً معي إلا أنني لا أزال مفتونة به. أقول لنفسي آملةً: "قد يدافع عني".

يقول: "بلانكو، هل داعبت أحداً في حياتك؟ صحيح وكأن أحداً يرغب في لمس شيء مثلك". تنطلق ضحكات ممزقة السكون في الرواق. بعد

ذلك، يتوجه الجميع بفرح إلى صفوفهم التالية.

أشعر وكأنني أسقط عبر نفق وكلّ ما أسمعه هو صدى صوتي يردد أرجوكم كفوا عن الضحك. أحس بخدر يسري في عروقي فأجلس على الأرض وأغمض عينيّ. أحضن نفسي بكل ما أوتيت من قوة وأبدأ أهز ببطء إلى الأمام والخلف متخيلة بأنني في سانتوريني ونيكو يعانقني.

أقف ببطء وأجمع كتبي وأذهب لحضور حصتي التالية. عند عودتي إلى المنزل، يسألني والدايّ إنْ كان كل شيء على ما يرام. لم أشأ أن أجعلهما يقلقان عليّ مجدداً. فكذبت وأخبرتهما بأن كل شيء جيد.

* * *

تتحول الطبيعة الخريفية المزدانة باللونين الذهبي والخمري إلى رمادي شتوي. هذه السنة، يبدو أن التغير في المواسم يعكس ما يحدث لي: تتملكني الكآبة. ولا تساعدني فكرة أن الأعياد قريبة. فيما أمشي في أروقة المدرسة، كل ما أسمعه هو مقتطفات من أحاديث حول حفلات الميلاد والخطط الرومنطيقية لليلة رأس السنة. يركز زملائي على الهدايا التي سيشترونها والقبل التي سيتلقونها.

منذ الحادثة التي وقعت بعد حصة الرياضة، قرر زملائي عدم السماح لـ"معاقة" مثلي بتناول الطعام في غرفة الغداء. عندما يرونني بالقرب من آلة الصودا، يهددون بضربي. لقد نجحوا في إخافتي لدرجة أنني رحت أحشو حقيبة كتبي بالوجبات الخفيفة الغنية بالبروتين وألواح الفطور كل صباح قبل بدء الدوام الدراسي. ثم، في وقت الغداء، أتسلل إلى حمام الفتيات وأجلس على المغسلة وألتهمها. ليس هناك مكان آخر

أقصده. لا يسمح للطلاب بمغادرة أرض المدرسة لتناول الغداء كما أن الطعام غير مسموح في الصف.

بعد ظهر ذات يوم، تجدني الآنسة لنستروم وهي أمينة المكتبة في المدرسة وامرأة لطيفة مسنّة، عند المغسلة. فتحيطني بذراعيها وتمنحني إذناً لبقية الفصل بتناول الغذاء في المكتبة معها. أبوح للآنسة لنستروم بالعذاب الذي أعانيه. فتخبرني بأن زملائي يقسون عليّ ليس لأنهم يكرهونني بل لأنهم لا يفهمونني. تقول مطمئنةً: "سوف تتغير حياتك يوماً ما ويصبح لديك الكثير من الأصدقاء... أشخاص تجمع أمور مشتركة بينكم".

أحب تمضية الوقت في المكتبة مع الآنسة لنستروم. أشعر بالأمان. لا أحد يمكنه إلحاق الأذى بي هناك. أقرأ السيرة الذاتية للكثير من المشاهير الأحياء وآخذ عهداً على نفسي بأنني سأكون جزءاً من حياتهم. كما أن الآنسة لنستروم تشجعني على الكتابة وأدخلتني في منافسة شعرية. إنْ فزت، سأمنح منحة لتمضية أسبوعين في الصيف ضمن حلقة دراسية للكتابة والتمثيل في جامعة إلينوي الشرقية. أتأمل خيراً.

أتدبر أمري جيداً في الحفاظ على معنوياتي المرتفعة من خلال التركيز على سانتوريني. يرسل يورغوس وأصدقاؤه رسائل كل أسبوع وغالباً ما أتكلم مع نيكو على الهاتف. إنني فخورة بنفسي لأنني أتعلم لغة صعبة جداً. كما أن والدي فخور بي وقد وعدني بأنه سيدعني أستخدم إحدى سيارات شركته إنْ استمريت في الحصول على علامات عالية وفي التقدم في لغتي الثانية.

في غضون ذلك، لا أزال أستقل الباص من وإلى المدرسة. إنّ سخرية الأولاد من إعاقتي عديمة الرحمة ولا يزال الموضوع حديث الساعة. يعتبر

كل يوم مغامرة في التعرض للإهانة. إنه الروتين نفسه تقريباً كل يوم بعد الظهر. أخرج من الباص، فينقضّ أحدهم عليّ ويلتقط كتبي ويرمي بها إلى وسط الشارع. أراقب فيما تدهس السيارات كتبي وأوراقي. عندما يتوقف السير قليلاً، أهرع لجمع البقايا المتناثرة بسرعة. في يوم من الأيام، أفقد أعصابي. فيما يروح اثنان يدفعانني، أصيح "تباً لكما!" بأعلى صوت. يضحكان وحسب. بعد ذلك، يمسكان بكتفيّ ويتظاهران بأنهما سيدفعاني باتجاه الشارع. إنهما أقوى مما يعتقدان. يدفعاني باتجاه السير فاقتربت سيارتان منطلقتان بسرعة على بعد أمتار فقط. لم أعد أستقل الباص منذ ذلك الحين. راح جدي الذي رأى ما حدث من النافذة يوصلني إلى المدرسة كل صباح ويعيدني إلى المنزل بعد الظهر. على الرغم من أن الظروف التي ترغمنا على الاجتماع معاً غير مؤاتية، إلا أن الوقت الذي أمضيه معه ثمين.

مع مرور كل يوم، أشعر بأنني أفقد رباطة جأشي. أغرقني عيد رأس السنة بحالة من اليأس. تشعر أمي بأمر ما ولكنها لم تدفعني للإفضاء لها. أعتقد أنها تعرف بأنني سأتكلم عندما أكون مستعدة. بدلاً من ذلك، تشغل نفسها بالتحضير لعيد رأس السنة. يحب والدايّ الأعياد. يشبه منزلنا في الداخل واجهة العرض لدى متجر مارشال فيلد. كلّ فرد من العائلة لديه مهمة في عملية التزيين. أمي وأبي مسؤولان عن تزيين الشجرة؛ تقوم جدتي بلفّ زينة الأضواء حول أطر الصور والمرايا والدرابزون في المنزل. أما أنا وجدي فنهتم بالأقزام، وهو جزئي المفضل.

منذ سنوات، أعلنت الشركة التي تصنع سائل جوي لغسل الأطباق عن عرض خاص خلال الأعياد. مقابل شراء كل زجاجة، تحصل على قزم ميلاد مصنوع من اللباد. أحبت أمي تلك التماثيل الصغيرة المبتسمة

وجمعت ما يقارب الخمسين منها. أمضيت وجدي ساعات في إيجاد الأماكن المناسبة لوضعها. كانت بمثابة اكتشاف كنز. وضعناهم على المصابيح وزرعناهم بين أوراق النباتات الداخلية التي تهتم بها أمي. حتى إننا وضعناهم خارج خزائن الأدوية في الحمامات.

على الرغم من كل الزينة المفرطة، إلا أن وقع عيد رأس السنة خفيف. تناولنا أنا ووالدايّ وجدايّ وخالاتي العشاء التقليدي وتبادلنا الهدايا. مع أنني أستعرض أمام عائلتي عملية تمزيق أوراق الهدايا والغوص في العلب، إلا أن ذهني في مكان آخر. أتخيل جاكلين وصديقها يتعانقان بالقرب من الموقد؛ تايلر وصديقته يشربان الكولا برفقة أصدقائهم. أمنع نفسي من البكاء.

يقول أبي مقترحاً: "جودي، لمَ لا تغني لنا ترتيلة عيد رأس السنة؟".

آخر ما أفكر فيه هو الغناء. ولكنني أحب والدي وأريد أن أسعده. فرحت أغني بقوة: "أيتها الليلة المقدسة". صفّق الجميع فيما أبتسم وأجلس مكاني. وتقفز كلبتنا شوشو بين أحضاني ملوحة بذنبها بقوة مما أحدث نسمة. فيما أداعب أذنيها السوداوين الزغبين، أحاول تخيل كيف سيكون عيد رأس السنة بالنسبة إليّ بعد عشر سنوات. هل سيكون لديّ مهنة؟ هل سأكون متزوجة؟ هل ستكون عائلتي بخير؟ أتمنى لو يتقدم الزمن بسرعة فتصبح السنوات أشهراً والأيام ساعات. أدرك أن هذه على الأرجح خطيئة ولكن أريد أن تنتهي سنوات مراهقتي. إنْ لم تنتهِ قريباً، أخشى من أنها قد تقضي عليّ.

فرغت من أي نوع من التفاؤل بحلول وقت العودة إلى المدرسة بعد عطلة رأس السنة. لم تعد الوحدة تطاق. ليس والدايّ بغبيين. لقد لاحظا تدهور حالتي. أخيراً، أقرر إخبارهما عما كان يجري في الأشهر القليلة الأخيرة.

يسأل أبي: "هل أنت متأكدة من أنك لن تفكري بالانتقال إلى ثانوية أخرى؟ على الأقل فكري بالموضوع من أجل السنة القادمة".

"حسناً أبي سأفعل".

تمر الأسابيع القليلة التالية ببطء شديد. تزداد المضايقة في المدرسة كثيراً لدرجة أنني أصبحت أشعر بالإرهاق في مع نهاية كل يوم. لا يزال أمامي سنة قبل الخضوع لعملية تجميل صدري. يستمر الأطباء في قول الأمر ذاته: "ليس قبل بلوغها السابعة عشرة على الأقل". يؤلمني صدري كثيراً حتى إنني لا أستطيع النوم على معدتي. وصف لي الطبيب مسكنات ولكنني لا أريد تناولها. فالمرة الأخيرة التي أعطاني فيها أخصائي حبوباً مسكنة، أصبح مظهري كالحية الميتة. أفضّل الألم على أن أكون مخدّرة.

تبقى أمي مشجّعة. على الرغم من أنني عادةً أجد تفاؤلها مزعجاً، إلا أنه نافعٌ اليوم. ففيما كنت أخرج من قاعة الرياضة، توقفني إحدى الفتيات من حصة اللغة الإنكليزية في الردهة. طويلة القامة وذات شعر أحمر قصير ومظهر خارجي غلامي، تعتبر آني منعزلة. ولأنها ترتدي دائماً بنطلون جينز ضيق وسترة جلدية سوداء، لا أحد يعبث معها أبداً. حتى شارون ومجموعتها يشعرنَ بالخجل من صلابة آني. لا أستطيع تخيل عما تريد التكلم معي.

تقول آني: "مرحباً جودي، سيحضر بعض أصدقائي إلى منزلي ليلة الجمعة وكنت أتساءل إنْ كنت تريدين الانضمام إلينا".

أسأل مصدومةً: "هل أنت جادة؟".

تُجيب: "نعم، لمَ قد لا أكون جادة؟".

أجيب: "في المرات القليلة التي دُعيت فيها، كان يتحول الأمر إلى مزحة فظة".

"أعتقد أنه من الروعة أن تحافظي على رباطة جأشك على الرغم من إساءة معاملتك من قبل الجميع. أنت شجاعة حقاً. يجب أن تنسي أمر هؤلاء السافلين في ساموِيلز وتتعرفي إلى أصدقائي. سوف يحبونك".

أجيب: "حسناً، بالطبع سأحضر". تبادلنا أرقام الهاتف والعناوين. إنه يوم الجمعة بعد المدرسة، لا أستطيع إخفاء حماسي. أسأل: "أمي، ماذا يجب أن أرتدي الليلة؟".

تنصحني أمي: "عزيزتي، ارتدي أي شيء يجعلك تبدين الأجمل".

أختار بلوزة حريرية بيضاء والجينز بلون الخزامى من ماركة غلوريا فاندربيلت وأضع القليل من عطر زهر الليلك على معصميّ. تقول أمي: "لقد تأخرنا". أجيب: "آتية". في غضون دقائق، ننطلق في طريقنا إلى منزل آني. عرض عليّ أهلها أن أقضي الليلة في منزلها. فيما نركن السيارة أمام منزلها، تخرج آني وأمها لاستقبالنا.

تقول آني: "سررت بالتعرف إليك سيدة بلانكو. هذه أمي فيرجينيا". من الصعب تصديق أن هذه الفتاة الرقيقة اللطيفة التي تعامل أمي باحترام هي الفتاة نفسها التي يخشاها نصف طلاب ساموِيلز.

تجيب أمي: "يسعدني لقاؤكما. كانت جودي تتطلع لزيارتك الليلة".

تقول فيرجينيا: "وآني أيضاً. لو نستطيع أن نعيش هذه السن مجدداً".

يتحدثان لبضع دقائق ثم تغادر أمي.

تعلق آني فيما ندخل إلى المنزل: "أمك رائعة حقاً".

أجيب: "شكراً".

تقول آني: "سننزل إلى الطابق السفلي. سيصل أصدقائي في أي لحظة".

أتبع آني فيما ننزل بضع أدراج لنصل إلى غرفة واسعة. في نهاية الطرف يوجد طاولة مستديرة تضم أطباقاً من الطعام الساخن والبارد ومبرداً يحتوي على علب من الصودا فوق الثلج.

تسأل مشغلةً جهاز الستيريو: "إلى مَن تريدين الاستماع؟ لديّ أسطوانات لراش وجورني وليد زابلن...".

أجيب: "جورني". إنّ صوت المغني الرئيسي ستيفن بيري يملأ الغرفة.

تعلق آني: "أحب هذه الأغنية".

أوافق: "وأنا أيضاً. أيمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟".

"طبعاً، تفضلي".

"تتظاهرين بالقوة في المدرسة ولكنني لست كذلك على الإطلاق. فلمَ الادعاء؟".

تقول آني: "لا تخدعنّك المظاهر. لستُ ملاكاً. يعجبني أن الفتيات "المحبوبات" يهبنّني. كنتُ يوماً موضع سخرية تماماً مثلك. ثم استخدمتُ ذكائي. اكتشفتُ أنهم سيدعونني وشأني إنْ ادعيتُ القوة. كنت محقة. لا أظن أن المرء يجب أن يكون خسيساً ليخشاه الجميع. عندما ترى الفتيات في المدرسة السلسلة المتدلية من إبزيمة حزامي والأوشام، يخشينَ حتى الموت إلا أنني لم أزعج أحداً قط في ساموبلز. ولن أفعل ذلك لأنني أعلم هذا الشعور وهو أسوأ شعور في العالم".

وفيما نتحدث، يصل شابان بدا أنهما في التاسعة عشرة أو العشرين

من العمر. تعرفنا آني على بعضنا البعض. "جودي، أعرفك إلى بيل ودينو. يا شباب، هذه جودي".

بيل طويل القامة ويشبه أعضاء العصابات وشعره الأشقر قصير جداً. مرتدياً جينز باهت اللون وممزقاً وقميصاً قصير الكمّين وحذاء أسود، إنه يذكرني بشخصية من أفلام الستينات من القرن العشرين. لا يمكنه أن يبقى ساكناً فيتحرك باستمرار من مكان إلى آخر.

دينو ثقيل الحركة ويتمتع بابتسامة جميلة وشعر أسود أجعد، وهو يشبه ويني الدب في ملابس هارلي دايفيدسون. إنّ سلوكه الهادئ مخالف تماماً لحيوية بيل.

يقولان معاً: "مرحباً".

"أتريدين سيجارة؟"، يسأل بيل وهو يسحب علبة سجائر مارلبورو من جيبه ويقدم لي واحدة.

أجيب: "كلا، شكراً".

"لا تدخنين. هذا رائع. أتمنى لو أستطيع الإقلاع عن التدخين"، يقول مستديراً ومتجهاً نحو المائدة.

أقول معلقة: "يبدو فتى طيباً".

تقول آني: "أحياناً يتورط في المشاكل ولكنه شخص طيب. يكون دائماً إلى جانبي عندما أحتاج إليه".

"هل يعيش في المنزل؟".

يقول دينو: "كلا، هذه هي المشكلة. والداه صارمان جداً. كما أن كونه ابناً بالتبني غير نافع. لقد سئم من محاولتهما في السيطرة عليه

باستمرار لدرجة أنه وضب حقائبه ورحل".

"يا إلهي، هذا فظيع".

يوافق دينو قائلاً: "نعم، أشعر بالسوء تجاهه. إنه يعيش في تلك الشقة الصغيرة ويكافح دائماً لتأمين ثمن الإيجار".

"ماذا يعمل؟".

"أي شيء يستطيع فعله. أعمال غريبة. يبيع القليل من المرجوانة هنا وهناك. لا تقولي شيئاً لأمي. إنها تحب بيل ولكنها تقلق من أنه قد "يؤثر سلباً" عليّ. قد تغضب إنْ علمت عن طريقة كسبه للرزق.

يصيح بيل: "أنظروا جميعاً مَن أتى".

"ألم يخبرك أحد بعدم التكلم عندما يكون فمك مليئاً؟"، يقول الشاب الوسيم الذي ينزل السلالم.

أسأل: "مَن هذا؟".

تجيب آني وهي تراقبني كيف ألاحقه بنظراتي: "شقيقي دايفيد".

تقول: "يا إلهي، أتنبح من أعلى الشجرة الخاطئة؟".

أسأل: "ماذا تقصدين؟".

يُجيب دايفيد: "ما تعنيه هو أنني شاذ جنسياً".

"لا بد أنك تمزح!".

يقول متجهاً نحونا: "كلا، ولكن لو كان ميلي الجنسي مستقيماً لكنت تعقبت أثرك".

أجيب مبتسمةً: "شكراً".

نمضي بقية الأمسية نتحدث جميعنا. نناقش في كل الأمور من المواعدة والجنس إلى الأفلام والموسيقى. نتشاطر روايات حول الماضي والنبذ الذي عانينا منه. أبدأ ألاحظ أن المجموعة الرائعة في ساموبلز يمارسنَ ألعابهن بشكل محدود. أما أصدقاء آني فيعملون على نطاق أوسع. لقد خرجنَ إلى العالم بطريقة لم يفعلها معظم أولاد الثانوية. شيء ما حول كيفية مواصلة حياتهم وطريقة كلامهم يجعلني أفكر بأبطال التراجيديا في الأدب الإغريقي القديم. إنهم يتمتعون بالحرية والتحركية. يقومون بأمور على طريقتهم حتى لو كانت أموراً غير مسموح بها اجتماعياً. إنهم يمثلون النسخة المناضلة من الأشخاص الذين يحدثون فرقاً في العالم مثل الفنانين والموسيقيين والممثلين. أكتشف أنني أشاطرهم رقة الشعور.

يمنحني هؤلاء الأشخاص السينو التأقلم الأكبر سناً حلقة اجتماعية. يقولون لي إن الأولاد "الرائعين" هم مجرد أشخاص تقليديين يقومون بأمور سخيفة. لا يزال عليّ مجادلتهم لأنهم في المدرسة، ولكن هؤلاء الأصدقاء الجدد الأكبر سناً يقنعونني بأنني لم أعد أحتاج إلى القلق حيال مضاهاة زملائي المحبوبين. إنهم يبعثون الراحة في نفسي لأنهم يغفرون لي كوني مجرد إضافة في عقابي الخاص.

أصبحنا أصدقاء مقربين لبقية الفصل. يساعدونني على التخلص من احتقاري لنفسي وأساعدهم على استعادة حياتهم الطبيعية. يتمتع الكثير من أمثالهم بالجرأة لأنهم يعتقدون أن لا أحد يهتم لأمرهم. أريتهم أن أحداً يهتم. يساعد والدي بيل على إيجاد وظيفة ثابتة ويسمح جدي لدينو بالنوم في منزلنا عندما يصبح الوضع مشحوناً في منزله. يستقبلونهما والداي برحابة صدر ويدعونهما للذهاب معنا في رحلات

العطل الأسبوعية ويشركونهما في الاجتماعات العائلية. لدهشتي أولاً وسروري ثانياً، تجد عائلتي بيل ودينو مثيرين للاهتمام ومسليين كما أجدهما.

***

يجب أن أسلّم بذلك لأمي. لطالما تخبرني بأن الله عندما يغلق باباً فإنه يفتح آخر. فيما أجلس متكورة على الكرسي المريح في الغرفة العائلية وأتكلم مع آني على الهاتف، أدرك أنها محقة.

"آني، انتظري لحظة، أحدهم يتصل على الخط الآخر. آلو؟".

"جودي، أنا الآنسة لنستروم".

"مرحباً!".

"أحمل إليك أنباء سارة. تلقيت للتو رسالة من جامعة إلينوي الشرقية. لقد تأثر الحكام كثيراً بشعرك. فزت بمنحة للانضمام إلى الحلقة الدراسية الخاصة بالكتابة خلال الصيف".

"آنسة لنستروم، أنا متحمسة جداً!".

"مرّي إلى مكتبي يوم الاثنين ولنملأ الأوراق الضرورية".

"شكراً، أراك لاحقاً. إلى اللقاء آنسة لنستروم".

ثم حولت الخط إلى الاتصال الآخر.

"آني، لن يخطر ببالك ما حصل للتو!".

الفصل الحادي عشر

ملاذ

غير متوقع

لقد أُغدق عليّ بالنعمة. على الرغم من محاولة إيذائي عدة مرات إلا أن الله يسخّر لي أشخاصاً في الوقت المناسب فيمنحونني الشجاعة والقوة كي لا أستسلم. غالباً ما لا يكون الخصم مقاتلاً آخر ولكن شكي بنفسي. وعلى الرغم من أنني أشعر أحياناً بأنني وحيدة، إلا أنني أعرف الآن أنه مجرد وهم. ففي فيلم روكي من بطولة سيلفستر ستالون، مهما يتعرض روكي للأذى، لديه دائماً ميك (لعب دوره بورغس ميريديث) الذي يؤمن به. لديّ الكثير من أمثال ميك في حياتي مثل والدايّ وعائلتي وآني وجماعتها وأصدقائي في سانتوريني والبالغين المهتمين لأمري مثل الآنسة لينستروم وهيليني.

أفكر بمنبوذين آخرين، مثل نورين، الذين لا ينعمون بهذا النوع من الدعم. أتمنى لو أنني أستطيع مساعدتهم. فتتمحور حياتهم حول الثانوية وحسب ولكنهم يجب أن يدركوا أننا سنتخرج قريباً والجراح التي سببها لنا زملاؤنا ستُشفى في النهاية وتصبح ندبات.

عندما سألت الدكتور كايلن عن عملية شفاء الجسم البشري، أخبرني بأن نسيج الندبة أقوى بكثير من البشرة العادية. أعتقد أن الأمر سيان في ما يتعلق بالروح البشرية. كان بعض أنجح الأشخاص في البلاد من موسيقيين ومغول إلى كتّاب وممثلين سيئي الاندماج اجتماعياً في سن

المراهقـة أيضـاً. إنّ الآلام الـتي احتملوهـا في المدرسـة حـددت شخصـيتهم وصقلت عزمهم. ربما لو لم يكن وقع ذلك صعباً على نفوسهم لما أصبحوا ما هم عليه الآن.

عندما يكون المرء ضحية أي نوع من التعسـف، يمكنه أن يفعل أحد أمرين. يمكنه تعلّم كيفية تحويل الألم إلى غاية وإحداث فرق في العالم أو يمكنه السماح له بإخماد النور في داخله. إنْ اختار الأمر الأخير، يكون قد ضحّى بأكثر من طفولته لآلهة الشعبية القساة.

اليوم، أحتفل بواقع أنني تخطيت السنة الأولى. إنها العطلة الصيفية وتبدأ الحلقة الدراسية للكتابة والإلقاء لمدة أسبوعين في الغد. سنذهب أنا وأمي وأبي إلى جامعة إلينوي الشرقية بعد ظهر اليوم.

يقول أبي من المطبخ صائحاً: "جودي، لننطلق. أمامنا رحلة لمدة ثلاث ساعات".

"إنني قادمة"، أجيب وأنا أمسك بحقيبة الظهر وأنزل نحو طابق أسفل.

أعانني حبّ والدايّ على مر السنين. أحياناً، أستلقي على السرير في الليل وأفكر ملياً بالإرهاق الذي سببته لهما. وعلى الرغم من أنهما لا يتكلمان عن الموضوع، إلا أنني أعلم أنهما يلومان نفسيهما لأنني منبوذة. وأكثر مَن يشعر بالذنب هو أبي. أظن أنه يقول إنه لو لم يبتعد كثيراً عن المنزل عندما كنت أنضج ربما لكانت الأمور مختلفة. ما لا يعرفه أبي وأمي هو أنني سيدة نفسي ولطالما كنت كذلك. لما استطاعا تغيير ما أنا عليه حتى لو أرادا ذلك. إلا أنهما حققا أمراً مهماً. لقد علّماني احترام الذات والتعاطف مع الآخرين من خلال كونهما قدوة. لم أشكك مرة في حياتي في حبهما لي. مرّت لحظات شعرتُ فيها بأنني لا أستحق حبهما. ولكن لم

أقلق قط حيال توقفهما عن حبي. أتمنى لو أقدر أن أفعل أكثر لهم.

تسأل أمي فيما نحمّل السيارة بالأغراض: "بمَ تحلمين؟".

"ماذا؟ لا شيء. كنت أفكر فقط بمدى حبي لكما أنتِ وأبي".

يقول أبي: "نحن نحبك أيضاً يا ملاكي".

الرحلة إلى الجامعة ممتعة. نتكلم طيلة الوقت عن المستقبل. سوف أبدأ سنتي الأخيرة في الثانوية في الخريف ويتوق والداي لمعرفة أي جامعة سأختار. لقد قدمت طلبات إلى عدة جامعات، لذا سنرى ما سيحدث. وقد حصلت على نتائج الاختبارات: لم تكن علاماتي مرتفعة في الرياضيات والعلوم فحصلت على 80 من النسبة المئوية لصالح مقاطعة ساموبلز ولكن علاماتي في اللغة الإنكليزية كانت من بين العلامات الأولى في الولاية.

"هل أنتِ متوترة حيال هذه الحلقة الدراسية؟"، تسألني أمي فيما نتجه إلى الطريق 294 وزحمة السير تحاصرنا من كل جانب.

فأجيب: "كلا، أنا متحمسة. أعتقد أنه سيكون هناك الكثير من الأمور المشتركة بيني وبين الآخرين".

يقول أبي: "تذكري يا عزيزتي، إنْ أردتِ العودة إلى المنزل، ارفعي سماعة الهاتف وحسب واتصلي بنا".

"أعلم يا أبي، سأفعل. ولكنني سأبقى لأسبوعين فقط. أنا متأكدة من أن كل شيء سيكون على ما يرام".

تبدأ الشمس تغرب مع وصولنا إلى الجامعة. حرم الجامعة مفتوح وطلق الهواء. إنّ العشب الأخضر الممتد والحدائق المخضوضرة تحيط بسلسلة من المباني العصرية الجميلة ذات النوافذ الزجاجية الكبيرة. كل

شيء هنا يبدو مشرقاً وجديداً. أقول: "هذا المكان رائع. إنه مبهج ومشرق".

"أعتقد أنها ستكون تجربة رائعة لك"، يقول أبي وهو يوقف السيارة في الموقف حيث وُضعت لافتة تقول "موقف مخصص لمهاجع الطلبة الداخليين فقط".

تقول أمي مشيرةً إلى المبنى الأبيض إلى يسارنا: "هذه مهاجع الطلاب. لنساعدك على الاستقرار في مهجعك".

فندخل إلى مكان يضج بالنشاط. كان هناك عدة طاولات طويلة موضوعة في الردهة الأساسية للمهجع. وكانت مجموعة من الطلاب المتخرجين الحاملين شارات "مراقبة المهجع" تتحقق من المشاركين في الحلقة الدراسية. أتوجه إلى الطاولة ذات اللائحة "الأسماء التي تبدأ بالأحرف أ- و" لملء الأوراق الضرورية. وبينما أستلم مغلفاً يحمل رقم غرفتي، تقترب مني فتاة يبلغ طولها 183 سنتيمتراً وترتدي بنطلون جينز ضيقاً وقميصاً قصير الكمّين من ماركة بيتر فرامبتون. تقول: "مرحباً، أنا ديانا. هل أنتِ جودي؟ لقد سمعت اسمك صدفة عندما كنت تسجلين اسمك. أعتقد أننا نتشارك الغرفة ذاتها".

"نعم، أنا جودي. مرحباً!".

تسأل ديانا: "تحققي من رقم غرفتك. ألستِ في الغرفة 303؟".

"انتظري لحظة. دعيني أتأكد"، أجيب وأنا أفتح المغلف الذي استلمته للتو. "أجل، 303! أمي، أبي تعالا. أريدكما أن تتعرفا إلى شريكتي في الغرفة. هذه ديانا".

تقول أمي: "يسعدني لقاؤك".

تجيب ديانا: "يسعدني لقاؤك أيضاً".

يسأل أبي: "من أين أنت؟".

فتقول: "من الجزء الجنوبي من الولاية بالقرب من شامباين. لقد فزت بالمنحة لتأليف قصيدة وإلقائها في مباراة الإلقاء في المدرسة. وهذه المرة الأولى التي أكون فيها بعيدة عن منزلي بدون والداي. لقد رحلا منذ نصف ساعة تقريباً".

أقول: "في الحقيقة، إنها المرة الأولى لي أيضاً".

يقول أبي مبتسماً: "ستكونان على ما يرام. تمتعا بوقتكما".

أعانق والداي مودعةً. وفيما أراقبهما وهما يخرجان إلى السيارة، أفكر بأنني أنضج وقريباً سيكون أندادي بالغين. وأخيراً يبدأ الماضي يتلاشى ويصبح خلفي تقريباً الآن. في المرة المقبلة التي سأنتقل فيها إلى مهاجع الطلاب، لن تكون لمدة أسبوعين وحسب بل لأربع سنوات في الجامعة. جلّ ما عليّ فعله الآن هو تحمّل سنة أخرى من الثانوية.

أحببت الأجواء هنا في الجامعة. أيامنا مليئة ومثيرة للاهتمام. هناك عشرون مشتركاً في البرنامج. علينا أن نحضر حصص التمثيل المسرحي والإنشاء كل صباح ونتمرن على مواضيعنا خلال فترات بعد الظهر. أما في الأمسيات، فنخرج ونتبادل أطراف الحديث ونستمع إلى الموسيقى.

حتى إنني التقيت بشاب يشعرني بالنشوة ويُدعى تيم. ليس بالغ الوسامة في المعنى التقليدي ولكن شخصيته مثيرة للإعجاب. إنه واثق من نفسه وقوي ويجعلني أشعر بأنني جميلة في كل مرة ينظر إليّ. الفتيات هنا مفتونات به. ومع ذلك إنه مفتون بي. آمل أن يقبّلني. بقدر ما يعنيني الأمر،

لم أحصل قط على قبلة أولى بطريقة ملائمة. ففي الصف السادس، عندما طبع بيتر وستيف تلك القبلات الرطبة التافهة على فمي خلال لعبة دوران القنينة الرهيبة في حفلة كالي، تحول الأمر إلى كارثة. كما أن ما من شيء رومنطيقي حيال التحدي. وفي سانتوريني، قبلني يورغوس ولكنها كانت قبلة أخوية أكثر منها شغوفة.

أصبحت أنا وديانا صديقتين عزيزتين. في البداية، أحاول إخفاء مشكلة صدري عنها عبر الدخول إلى الحمام وإغلاق الباب خلفي كلما أريد أن أغير ملابسي. ولكن الليلة، وفيما كنا نراجع الملاحظات التي قمنا بتدوينها في الصف، تبدأ تخبرني بأنها لطالما كانت منبوذة أيضاً. فقد كانت تتعرض للمضايقة والإزعاج منذ الصف السابع بسبب طول قامتها. وتعترف لي قائلةً: "وصلت إلى درجة رفض النهوض من السرير. وانتهى بوالدايّ الأمر إلى اصطحابي لرؤية طبيب نفسي ليقنعني على العودة إلى المدرسة. لم أشعر قط بأنني أتكيف مع باقي أولاد جيلي. لو لم يكن من أجل كتاباتي، لا أعرف ما أفعل".

"أتفهم كل ذلك جيداً"، أجيبها مخرجةً صديريتي المميزة من القسم السري من حقيبتي وأسلمها إياها. تفحصها بحذر. ثم تفتح الدرج الأعلى من خزانتنا وتطويها بلطف وتضعها في الداخل.

تقول: "لا مزيد من خلع الملابس خفية لأنك محرجة من شكل صدرك، حسناً؟ عندما كنت في مدرسة الأحداث، كان مظهري رهيباً لدرجة أن طبيبي تخوّف من احتمال أن أصبح محدودبة الظهر. حتى إنه طلب صور أشعة للعمود الفقري للتأكد من عدم إصابتي بداء عظمي. مشيت بترهل لأنني اعتقدت أن ذلك سيجعلني أقصر قامةً. لا أزال أفعل

ذلك أحياناً ولكنني الآن أمشي جالسةً وأشدّ كتفي. إنْ استطعت التعلم ألا أشعر بالعار بسبب طول قامتي، تستطيعين تعلّم أن تتقبلي جسدك أيضاً".

أكتشف بعد فترة وجيزة أن ديانا ليست الوحيدة في هذه الحلقة الدراسية التي تعلم معنى أن يكون المرء مختلفاً. كل شخص هنا تقريباً مراهق سيئ التكيف. من إحدى مهماتنا كتابة "يوميات" كل يوم. يفترض بنا أن نسجل الأحداث المهمة في ماضينا والتي تستمر في التدخل في حاضرنا. والغاية من هذا التمرين أن نتعلم كيف ننطلق من تجربتنا الشخصية لنصبح روائيين أفضل.

في الصباح التالي، يجلس البعض منا خارجاً في الحديقة ونقرأ لبعضنا البعض من يومياتنا. أشعر بالراحة والحزن معاً فيما أستمع إلى أصدقائي وهم يصفون كيف تُساء معاملتهم ويتعرضون للمضايقة. من الممكن أن الاثنين اللذين أثرا بي كانا يتكلمان تقريباً عن قصتي.

بيري، الذي يتمتع بأجمل شعر أشقر وأجمل عينين زرقاوين يبذل قصارى جهده كي لا ينهار فيما يقرأ نصاً يترك أثراً مؤلماً في النفس.

وتلاه كارول، سمراء تبدو كغجرية رومانية ذات جمال غريب فتروح تقرأ:

لا أدري لمَ علينا حفظ دفتر يوميات حول أمور سنكون على الأرجح بحال أفضل إنْ نسيناها...

فهزّ العديد من الأشخاص رؤوسهم إيجاباً.

لا أعلم عما أكتب. لطالما كرهت المدرسة. ففيما يحلم زملاء صفي بنجوم الروك والمواعدة، أقرأ عن الحيوات السابقة والمنازل المسكونة. لطالما أحببت فكرة الأشباح واحتمال التواصل معها. عندما كنت صغيرة، كانت تزورني أرواح في أحلامي وتطلعني على أمور قبل حدوثها. وكان ذلك يرعب والديّ. عندما تحطمت تلك الطائرة منذ عدة سنوات، أخبرت أمي في اليوم السابق بأن طائرة نفاثة ضخمة سوف تنفجر في السماء. كانت جدتي وسيطاً روحياً. وولدت وترعرعت في الريف فكان يقصدها الناس من كل الأماكن لتكشف لهم مستقبلهم. فقالت إنني أتمتع بموهبة الرؤية الثانية أيضاً. حاولت أن أكون طالبة عادية في الثانوية ولكن الأمر لم ينجح قط. أعتقد أن المراهقين حادو الملاحظة بشكل استثنائي. فيعلمون عندما يحاول المرء ألا يكون نفسه. ذهبت إلى حفلة هذه السنة مع صديق شقيقي. لم يرغب في مرافقتي إلا أن شقيقي أرغمه على ذلك. تمنيت لو لم يفعل. عندما وصلنا إلى الحفلة، راحت مجموعة من الفتيات في صفي تصرخنَ لصديقي: "أنت وسيم. لمَ تصاحب الساحرة؟ هل سحرتك؟" لقد جرحنَ مشاعري. أحسست وكأنني كاري في رواية ستيفن كينغ. أتعلمون كيف حصلت على هذه المنحة؟ نظمت قصيدة حول كيفية أن أي تغيير كبير لن يكون مميتاً لأنني كنتُ نصف ميتة أصلاً في داخلي. كانت رسالة انتحار. بعدما أسرع والديّ في نقلي إلى المستشفى لغسل معدتي، قدّما القصيدة التي وجداها بالقرب من سريري إلى معلمتي. فسلمتها بدورها إلى لجنة تقديم المنح ولهذا السبب أنا هنا.

في بادئ الأمر، لم أشأ القدوم. ولكن الآن أحب التواجد هنا. كون المرء مختلفاً في دياره يمكن أن يؤذيه إلا أن الناس هنا يحبونه لذلك. أتمنى لو أننا لا نعود مجدداً إلى ديارنا. ■

يؤثر فينا إلقاء كارول. تيم الجالس بقربها يمدّ يده ممسكاً بيدها. ثم يروح يقرأ:

أشعر بغرابة شديدة لوجودي هنا في هذه الحلقة الدراسية. فجميع مَن التقيت به هنا تقريباً هم أشخاص كنتُ وأصدقائي لسخرنا بهم كثيراً إنْ ارتادوا مدرستنا.

فجأة، يغلق تيم دفتر يومياته ويتوقف عن القراءة.

أسأله: "ما الأمر، لمَ توقفت؟".

يجيب: "لأنني أخجل مما كتبته ولا أريد أن أقرأه أمامكم".

تسأل ديانا: "لا أفهم. لماذا؟"

تقول كارول: "نعم تيم، كن صادقاً معنا. لن نحكم عليك. أليس كذلك، جميعاً؟".

"لا أريد أن أقرأ لكم ما كتبته لأنه لم يعد يعكس ما أشعر به. كنت دائماً ذا شعبية كبيرة في المدرسة. ولم أرد حضور هذه الحلقة الدراسية. لقد أرغمني على ذلك أستاذ اللغة الإنكليزية الذي قال لي إنْ لم أحضرها فلن أمنح درجة الشرف في السنة القادمة. عندما وصلت إلى هنا في البداية، ظننت أنه ليس عادلاً لشخص رائع مثلي أن يصادق المعتوهين والمنبوذين. هذا ما نحن عليه أنا وأصدقائي. إنْ لم تكن في مجموعتنا فأنت نكرة. وبعدما

رحت أتعرف أكثر فأكثر على كل واحد منكم، أدركت كم كنت سافلاً. في المدرسة، يُمارس عليّ ضغطاً كبيراً لأكون رائعاً طيلة الوقت. أما هنا فأستطيع أن أتصرف على طبيعتي ولا أحد يحاسبني على ذلك. على كل حال، لهذا السبب لا أريد أن أتلو على مسامعكم ما كتبته. لم يعد صحيحاً. يسعدني أنني هنا".

تقول ديانا: "شكراً تيم".

تعلق كارول قائلةً: "أنظروا إلى الوقت. خير لنا أن نسرع وإلا فسنتأخر".

"جودي، انتظري"، يقول تيم ممسكاً بيدي. "هل أستطيع مرافقتك إلى الصف؟".

كنت على وشك الإغماء من شدة السعادة. أجيب: "طبعاً".

بعد تناولنا العشاء بعدة ساعات، يسألني تيم إنْ كنت أرغب في التنزه معه في حدائق حرم الجامعة. نتحدث عن حياتنا فيما نمشي يداً بيد مستنشقين رائحة أزهار الصيف العطرة. أتشاطر معه بعض ما عانيته في السنوات الماضية القليلة. في مرحلة من المراحل، أشعر برغبة في البكاء فيما أتذكر الحادثة في غرفة الخزائن. يعانقني ويقول لي إنني أكثر الفتيات جاذبية على الإطلاق. بعدئذٍ، يميل نحوي ويقبلني بلطف في البداية ثم بشدة فبشغف أكثر. يدخل لسانه إلى فمي فأشعر بقشعريرة تسري في عروقي. لا يمكن أن تكون هذه اللحظة أكثر روعة. بينما نتوجه أنا وتيم إلى المهاجع، أعلم أن مهما سيحدث في السنة الأخيرة فسأكون مستعدة له الآن. هنا في الجامعة، وجدت بعض الأرواح المتآلفة ملاذاً غير متوقع بعيداً عن جحيمها. لن أنسى أبداً هذين الأسبوعين.



الفصل الثاني عشر

طبيب

إعادة البنية

شعرت بحسّ التجديد في نفسي منذ عودتي من الحلقة الدراسية. لست ساذجة. أعلم أن هناك تحديات أمامي ولكن على الأقل أستطيع الآن مواجهتها بدون أن أتمنى لو كنت ميتة. لا أريد أن أشعر هكذا حيال نفسي من جديد.

فيما كنت في الجامعة، اتصل الأطباء من عيادة مايو بوالديّ وأخبروهما بأنهم يستطيعون تحديد موعد العملية الجراحية في تموز. فاجأني كلّ من أبي وأمي بالأنباء السارة خلال عودتنا إلى المنزل من الجامعة. الآن، ها نحن في السيارة مجدداً متجهين إلى مينسوتا حيث تقع عيادة مايو. إنني خائفة، فلم يسبق لي أن أمضيت ليلة في المستشفى ناهيك عن الخضوع لعملية جراحية. أعلم أنه عليّ القيام بذلك لأنني لا أستطيع متابعة حياتي وشكل صدري هكذا. ولكن فكرة أنهم سيشقون صدري ويعيدون بناءه ثم يغلقون الجرح بالقطب تثير أعصابي.

تقول أمي مطمئنةً: "عزيزتي، ستنتهي العملية بسرعة. ستكونين شخصاً آخر بعدئذٍ".

أجيب: "أعرف أنك على الأرجح محقة ولكنني لا أزال خائفة".

يقول أبي: "من الطبيعي أن تخافي ولكننا لن نرغمك على فعل شيء. إنه قرارك".

"أبي، ليس هناك أي بديل. إنني أتألم. أنا مشوهة".

تقول أمي ملاطفةً: "سيكون كل شيء على ما يرام".

يعلن أبي وهو يدخل موقف السيارات الخاص بفندق الماريوت: "إننا في روتشستر، لا يزال أمامنا بضع ساعات قبل موعدنا مع الطبيب أرنولد. لنسجل أسماءنا ونتجول قليلاً".

لست في مزاج يسمح لي بالاستكشاف ولكن ربما من الأفضل أن أشغل نفسي الآن. تقول أمي إن الأطباء في عيادة مايو أولوا اهتماماً خاصاً بحالتي لأنها استثنائية. أعتقد أن الأمر جيد ولكنني أتوق إلى اليوم الذي سأكون فيه طبيعية.

إنّ عيادة مايو مدينة بحد ذاتها. تعتبر إحدى أبرز المباني الطبية في العالم. فهي تبدو كأنها في فيلم تقدّمي. إنها تشمل تقريباً كل بلدة روتشستر، مينيسوتا. تتصل مباني العيادة عبر أميال من الأنفاق تحت الأرض مما يجعلك تشعر وكأنك في مركز تجاري بعد ظهر نهار مشمس ودافئ. هناك العشرات من المتاجر والمطاعم المزدانة كلها بفن راقٍ على الجدران والموظفين المبتسمين اللطفاء الذين يتوقون لجعلك تشعر بالراحة بقدر الإمكان.

فيما نتخطى متجراً للملابس النسائية، يراني أبي أحدق بملابس داخلية معروضة على الواجهة. فيقول مشيراً إلى الملابس التحتية التخريمية: "عزيزتي، ستتمكنين من ارتداء ملابس كهذه في غضون بضعة أسابيع. لا مزيد من الشرائط والإبزيمات التافهة".

عليّ الكفّ عن التفكير بالعملية والتركيز على ما سأبدو عليه بعدئذٍ.

تخيل ألا أكون خائفة من أن يلمسني شاب تحت قميصي لأنني قلقة من أنه سينفر مني. لن يتوجب عليّ خلع ملابسي خفيةً أو الاختباء في حجرات الحمام بعد الآن. كم أتوق لرؤية نفسي عارية في مرآة وأتمكن من القول بأنني لم أعد قبيحة.

.تقول أمي ملقية نظرة على ساعتها: "إنها الساعة الثانية تقريباً. سيكون الدكتور أرنولد في الانتظار".

بينما نتجه نحو مكتبه، أركز على التحلي بالشجاعة في خوض هذه العملية. لحظة دخولنا إلى غرفة الانتظار، تحيينا ليا مساعدة الدكتور أرنولد وهي ممرضة لطيفة وُلدت وترعرعت في الفيليبين.

تقول بدفء: "مرحباً، لا بد أنك جودي. يتوق الدكتور أرنولد إلى رؤيتك".

"شكراً ولكنني متوترة جداً".

تعلق ليا قائلةً: "لا تتوتري. ما من شيء تقلقين بشأنه. أنتِ في أيدٍ أمينة. إنّ الدكتور أرنولد جراحٌ بارعٌ. لما كنتِ ستجدين طبيباً أكثر تفانياً منه في العمل".

"هذا يجعلني أشعر بتحسن".

"جيد. سيد وسيدة بلانكو أرجوكما رافقاني أنتما وجودي".

تقودنا ليا مروراً برواق طويل إلى مكتب وُضع على بابه لافتة تقول "الدكتور أرنولد، رئيس الجراحات التجميلية وعمليات إعادة البنية".

فأقول معلقةً: "لم أعلم أنه رئيس جرّاح".

يجيب أبي مبتسماً: "انتقيتُ الأفضل لابنتي".

عندما يدخل الدكتور أرنولد الغرفة وأراه أشعر بالرضا. إنه ضخم الجسم وقوي البنية وعريض المنكبين ويتمتع بعينين زرقاوين أخاذتين، ولذا جعلني أشعر بالراحة على الفور.

يقول رافعاً ذقني براحة يده: "إذاً أنت جودي، سنجعلك تبدين جميلة في الخارج بقدر ما أنت جميلة في الداخل".

"يسعدني لقاؤك"، أجيب وقد تأثرت باهتمامه.

يقول: "ولا بد أنكما والدا جودي. أعرف أن لديكما أسئلة. دعوني ألقي نظرة على جودي في غرفة المعاينة ثم يمكننا الجلوس فأشرح لكما العملية بالتفصيل".

تجيب أمي: "هذا جيد أيها الدكتور".

يقول الدكتور أرنولد: "هيا جودي، سيستغرق ذلك بضع دقائق. أعدك بأنه ليس مؤلماً".

يقودني إلى غرفة معاينة صغيرة مضاءة بأنوار ساطعة. هناك رسوم بيانية طبية معلقة على الجدران كلها. أخلع قميصي وصدريتي وأضعهما إلى جانبي. يبدأ يضغط بإبهامه وسبابته على البشرة حول ثديّ ثم حول الحلمتين. بعدئذٍ، يخرج قلماً من جيبه.

يقول: "قد تشعرين بوخز".

أسأل: "ماذا ستفعل؟".

يجيب: "إنني أحدد الأماكن حيث سأجري الشقوق حتى أريك وأري والديك ما سأقوم به تماماً".

أقول له: "أنت محق، أشعر بوخز".

يقول الدكتور أرنولد: "أرجو أن تلبسي هذا الرداء وسأعود على الفور مع والديك".

في الساعة التالية، يجيب الدكتور أرنولد بصبر على أسئلتنا. يقول إن لدي ما أسماه بـ "الثديين الأنبوبيين اللامتناسقين". هناك نسبة ضئيلة من الشابات اللواتي ينمونَ بشكل غير طبيعي ولكن خطورة حالتي نادرة. ما من سبب معروف. تشير البحوث إلى أنه تشوه خلقي عند الولادة يبقى مخفياً حتى سن البلوغ. يكرر القول بأنه لن ينمو مع تقدمي في السن وأن عملية إعادة البنية هي الحل الوحيد. يشرح أن الخطوة الأولى ستكون جلسة لالتقاط الصور. سيلتقط مصور فوتوغرافي طبي صوراً لحالتي "قبل" العملية. ستؤخذ أيضاً صوراً ساكنة للعملية الحالية وبعدها صور لما "بعد" العملية. يقول الدكتور أرنولد أنه من المهم الاحتفاظ بسجل نظري مفصل لكل مريض.

عندما يسأل أبي الدكتور أرنولد عن المدة المتوقعة للعملية، يصيبني الجواب بقشعريرة تسري في عظامي: من ستة إلى ثمانية ساعات. أستطيع الشعور بتدهور شجاعتي. يا له من خيار. إما أن أتابع حياتي مثل مهرج في سيرك وإما أُجرّ إلى الظلمة وأخضع لعملية. رأى الدكتور أرنولد ملامح وجهي فعانقني بلطف محاولاً طمأنتي.

يقول: "جودي، إن مخيلتك تجعل الأمر يبدو أكثر رهبة مما هو عليه. ستخضعين للعملية وتخرجين من المستشفى في غضون ثلاثة أيام وتعودين إلى المنزل لمشاهدة التلفزيون بسرعة فائقة".

أطلب منه أن يشرح لي ولوالديّ العملية بحد ذاتها. فيفتح بلطف أعلى الرداء الذي ألبسه ويشير إلى العلامات التي رسمها بالقلم على

صدري. يشرح لنا بأنه سيقوم بعملية تصغير للثدي الأيمن ويجري عملية زرع في الثدي الأيسر حتى يصبحا متطابقي الحجم. كما أن الحلمتين يجب أن تخضعا لإعادة بناء. يُرينا الشقوق الخمس التي سيجريها على الثدي الأيمن والشقوق الثلاث التي سيجريها على الثدي الأيسر وهو يعيد تخطيط العلامات. أسأله إنْ كانت العملية ستخلّف ندبات. فيرد عليّ بالإيجاب. سوف يترك ذلك ندبات بارزة. يقول لي إنه من المستحيل تجنب هذا الأمر. ثم ينزل علينا الخبر الصاعق. يخبرنا بأن عملية واحدة لن تصحح تماماً مشكلتي. على الرغم من أن شكلي سوف يتحسن بشكل جذري، إلا أن حالتي ستتطلب على الأرجح عملية أخرى عندما أبلغ أواخر العشرينات أو مقتبل الثلاثينات لأن جسدي سينضج ويتغير.

أصيح: "إنْ كنت سأخضع لعملية أخرى بعد عشر سنوات فلمَ لا أنتظر وحسب؟".

يجيب الدكتور أرنولد: "يمكنك الانتظار، ولكن أتريدين فعلاً الاستمرار بالشعور بعدم الراحة حيال مظهرك عندما يكون ذلك غير ضروري؟".

يقول أبي: "عزيزتي، الطبيب على حق. لا يمكنك الاستمرار بهذا الشكل لعقد آخر".

تقول معلقةً: "حسناً، سأخضع للعملية".

يقول الدكتور أرنولد: "ستقوم ليا بكل الترتيبات. أود تحديد موعد العملية بعد يوم غد".

بعد أقل من ست وثلاثين ساعة، وُضعت في غرفة التخدير مستلقية

على ما يشبه كرسياً في مكتب طبيب أسنان. هناك تقنيون يرتدون لباس المختبر يلتفون حولي. وضع أحدهم قناعاً على وجهي وأخبرني بأن أتنفس بعمق. فيما أستنشق الهواء النقي، أبدأ أشعر بالدوار وتصبح الرؤية غير واضحة. يربط أحدهم مرقأة مطاطية حول ذراعي الأيمن. فجأةً، أشعر بانزعاج. أحاول التكلم ولكنني لم أستطع بسبب القناع. أُصيب بالذعر. فتمسك ممرضة بيدي وتضغط عليها قائلةً إن كل شيء سيكون على ما يرام. سأستيقظ قريباً وسيبدو كل شيء كحلم. ثم، أفقد الوعي...

بعد ذلك، أجد نفسي في غرفة كبيرة. الأنوار تعمي العيون. هناك صفوف من المرضى المستلقين على أسرّة مثلي. إنني أسمع طنين أجهزة المراقبة وأشتم رائحة المطهرات. والممرضات في زي أبيض أجعد تحوم حولي. لقد تم وضع نوع من السائل الشفاف عبر إبرة أدخلت عن طريق الأوردة في معصمي. أشعر بحريق في صدري. أضع بحذر يدي اليسرى على ثديي. فأشعر بأنهما صلبان ولينان فأدركت بأنهما مضمّدان. أستجمع قواي وأرفع رأسي وأنظر إلى صدري مسترقةً النظر تحت رداء العملية. لقد تسربت بعض بقع الدم عبر الشاش. أصرخ ولكنه يكون مجرد أنين. أصيح: "أين أمي؟ أريد أمي". فتهرع إليّ إحدى الممرضات.

تقول بصوت هادئ ودافئ: "سترين أمك بعد بضع دقائق. أحسنت صنيعاً خلال الجراحة. يود الدكتور أرنولد فحصك ثم سآخذك لرؤية أمك".

أسأل مترنحةً: "هل انتهى الأمر؟".

تقول مربّتةً على يدي: "نعم، يا عزيزتي".

مع مرور أيام الأسبوع، لم يكن الألم ما يزعجني بل الرغبة في

الحكاك. كل ما أستطيع التفكير به هو حكّ الخيوط. إنه يصيبني بالجنون. صباح يوم الجمعة، عندما يأتي الدكتور أرنولد لإزالة الضمادات، أحلم بالتقاط فرشاة الشعر وتمسيد الشقوق بها.

يقف والداي بالقرب من سريري. يبدأ الدكتور أرنولد وليا بإزالة الضمادات ثم الشاش.

فالعملية تقتلع القطب مما يريحني من الحكاك.

يقول الدكتور أرنولد: "أغمضي عينيك جودي ولا تفتحيهما إلى أن أقول لك".

فتقول أمي لاهثةً: "يا إلهي، طوني".

أسأل بغصة: "ماذا؟".

"حسناً"، يقول الدكتور أرنولد واضعاً مرآة بين يدي. "افتحي عينيك".

ما من كلمات تصف شعوري فيما أنظر إلى شكلي. جزء مني يشعر بالاشمئزاز بسبب الجروح الجديدة. تشكل صفوف من القطب السوداء الممزوجة بالدماء الجافة دائرة حول كل حلمة وتحدد قاعدة الثديين. وهناك رضوض بارزة من أسفل الجهة الجانبية من صدري حتى منطقة ما تحت الذراع. على الرغم من أن رؤية نفسي بهذه الحالة مثيرة للاستياء، إلا أنني مبتهجة بالمعجزة التي أراها أمامي. وأخيراً، ثدياي متطابقا الحجم!

إنهما ممتلئان ومستديران وجميلان.

"لم أعد قبيحة! لقد غيرت حياتي دكتور أرنولد. أبي، شكراً جزيلاً على ما فعلته". في تلك اللحظة، تغرورق عيوننا بالدموع. حتى الدكتور أرنولد عيونه دامعة.

في غضون بضع ساعات، كنا انا وأبي وأمي في طريقنا إلى المنزل. عند وصولنا، كان بيل، دينو، آني وشقيقها دايفيد ينتظرون عودتي في المنزل. لقد علقوا يافطة كُتب عليها: "أهلاً بعودتك يا جميلة!".

أقضي بقية العطلة الصيفية أتعافى. يتناوب كلّ من إيفي وخالاتي الأخريات في مساعدة أمي وجدتي على الاعتناء بي. ذات أمسية بعد إزالة القطب، يسألني أبي إنْ كنت أود الذهاب إلى المركز التجاري.

أجيب: "بالطبع، لمَ نتسوق؟".

يقول: "إنها مفاجأة".

نتوجه مباشرة إلى مارشال فيلدز. يمسك بيدي ويقودني إلى السلم المتحرك ونتخطى قسم الملابس النسائية إلى أن نصل إلى قسم الملابس الداخلية.

يقول أبي: "عزيزتي، ما عدت بحاجة إلى ارتداء هذه الصديريات التافهة بعد الآن". يقول للبائعة: "أيتها الآنسة، ابنتي تحتاج إلى بعض المساعدة. سأكون جالساً هناك إنْ احتجتما إليّ".

أمضت امرأة أكبر سناً الساعتين التاليتين في تزويدي بصديريات وملابس داخلية جميلة.

وفي طريق العودة إلى المنزل، عانقت حقيبة مشترياتي. "أبي، شكراً جزيلاً! أشعر وكأنها المرة الأولى التي أرى فيها النور حقاً".

"على الرحب والسعة يا ملاكي"، يجيب بصوت يملأه الحنان.

أتوق إلى بدء سنتي الأخيرة بجسمي الجديد!

الفصل الثالث عشر

نقطة التحول

مرّ الصيف بلمح البصر. إنه اليوم الأول من سنتي الأخيرة في الثانوية. أشعر وكأنني كنت سجينة وقد اقترب موعد إطلاق سراحي. أتساءل إنْ أحداً سيلاحظ التغير في جسدي. على الأرجح سيظن معظم زملائي أنني كنت أمارس التمارين الرياضية. لن تكون حصة الرياضة مشكلة هذه السنة. كتب الدكتور أرنولد والقسم القانوني في عيادة مايو خطاباً صارماً لإدارة المدرسة مطالبين السيدة نيكولز بإعفائي من التربية البدنية وإلا فستتحمل المسؤولية إنْ عانيت من أي جروح. لا مزيد من الجلوس على المدرجات أيضاً. لقد مُنحت إذناً بدخول المكتبة عوضاً عن ذلك.

مهما يحصل هذه السنة، أعلم أنني سأستطيع تدبر الأمر. هناك قوس قزح يلوح في الأفق وهو التخرج. إنْ ساءت الأمور بين الآن وبعدئذٍ، سأركز على المستقبل. سيصطحبني والدايّ إلى نيويورك في عطلة رأس السنة لزيارة بعض الجامعات على الساحل الشرقي وأتطلع لزيارة سانتوريني في الصيف المقبل. كما أن آني وأصدقاءها يساندونني. يجب أن لا أضعف مثلما فعلت السنة الماضية. يجب أن أستمر في تذكير نفسي بأن لا شيء سيهمني عندما أكون بالغة. سيكون كل شيء مجرد ظلال.

تصيح أمي من المطبخ: "عزيزتي، من الأفضل أن تسرعي، إنها الثامنة تقريباً".

أجيب: "سأحضر في الحال". عندما أنزل السلالم أشم رائحة اللحم المقدد الحار في المقلاة والقهوة الطازجة.

"ما رأيك بتناول الفطور؟".

أجيب: "رائع".

تسأل: "هل تشعرين بالتوتر حيال اليوم؟".

"قليلاً على ما أظن. ولكن على الأقل سأقود بنفسي إلى المدرسة".

لا ينكث أبي بوعوده أبداً. عندما أخبرته هيليني بأنني أتقدم سريعاً في دروس اللغة الإغريقية، أعطاني أبي إحدى سيارات شركته وهي شيفروليه زرقاء اللون. أتمتع بالاستقلالية التي تمنحني إياها قيادة السيارة. كما أنها تعطيني إحساساً بالأمان لأنني أعرف بأنها وسيلة للهروب السريع في حال حاول أحدهم إلحاق الأذى بي في المدرسة.

تقول أمي وهي تقدم لي سندويشاً من البيض واللحم المقدد: "وتذكري أنك ستكونين في مكان جديد بعد سنة. أنظري إلى التجربة الرائعة التي اختبرتها في شرقي شيكاغو. ستكون الجامعة أفضل".

أطمأنها قائلةً: "سأكون بخير. للمرة الأولى منذ سنوات، لا أشعر بالخجل من شكلي. وهذا يحدث فرقاً كبيراً".

أفكر بالمستقبل فيما أقود إلى المدرسة. مع أنني أدرك أن أمي محقة بأن عالمي كله سيتغير بعد اثني عشر شهراً ولكنني لا أزال غير قادرة على إخفاء الشعور بالخوف حيال السنة الأخيرة. إنّ تغير شكل صدري لا يعني أن معاملة زملائي لي سوف تتغير. أوقف السيارة في موقف ساموبلز. أطفئ المحرك وأجلس في السيارة لعدة دقائق قبل أن أفتح الباب أخيراً وأخرج.

عندما أدخل إلى المبنى الأساسي، ألاحظ وجود يافطة كرة القدم الزرقاء والذهبية المألوفة معلقة على الجدار الخلفي. هذا غريب. إنّ كلمتيْ "جحيم ساموبلز" مدروزة على الشعار. لم يمضِ على وصولي عشر دقائق وها ذهني يقوم بخداعي. عندما أنظر مرة أخرى، أدرك أنه مكتوب "صقور ساموبلز".

يسألني صوت لطيف: "جودي، هل أنقصتِ الوزن؟". استدرت لأرى ناديا مرتدية زي المشجعات وهي تقفز باتجاهي مثل طابة مطاطية.

"من الواضح أنك لم تنقصي شيئاً من وزنك"، أجيب محدقة مباشرة إلى فخذيها محاولة أن أثير غضبها.

تقول: "تباً لك بلانكو، كنت أحاول أن أكون لطيفة وحسب".

"لطيفة؟ ماذا حدث، هل نمت جينة اللطافة فجأة خلال الصيف؟".

تسأل: "عمّ تتكلمين؟".

أسألها: "ألا تذكرين ما فعلت ومارك ومجموعة من الأغبياء الآخرين بي ذلك اليوم بعد حصة الرياضة في الفصل الماضي؟".

تتذكر ناديا قائلةً: "ماذا، أتعنين عندما ضايقناك حول موضوع عذريتك؟ انتظري لحظة، هذا ما تغير فيك. لقد خضعت لعملية تجميل للصدر!".

أجيب: "كلا، لم أفعل! كنت أرفع الأثقال وحسب".

تقول بإصرار: "أنت تكذبين. لقد أجريت تغييراً ما. لا بأس إنْ فعلت. فالكثيرون يجمّلون الأعضاء التي لا تعجبهم في أجسامهم. كذلك، ألم يكن ثدياك غريبي الشكل وغير متناسقين؟".

"لا أفهم الأمر، ناديا. لمَ تتكلمين معي الآن وتحاولين أن تكوني لطيفة بعد كل ما جرى من قبل؟ لمَ التغيير المفاجئ؟".

"جودي، أنتِ تأخذين الأمور على محمل الجدّ. نعم، لقد ضايقناك. وماذا في الأمر؟ لستِ أول مَن يتعرض للسخرية في هذه المدرسة. فمَن مثلك لا يدافع عن نفسه أبداً. لمَ تقبلين بذلك على أي حال؟ لستِ بدينة وغبية مثل نورين. كان بإمكانك الدفاع عن نفسك. لمَ لم تفعلي ذلك وتقولي لنا بأن نذهب إلى الجحيم أو شيئاً من هذا القبيل؟".

"ناديا، ما فعلتموه لا يسمى مضايقة بل كان غاية في القسوة".

تعلق ناديا: "إذاً؟ جميع مَن في المدرسة يعلمون أنهم في حال أزعجوك فستتقبلين الأمر. إنه خطأك".

أجيب: "لا تعرفين معنى التعرض للأذى طيلة الوقت. لطالما كنت محبوبة. من السهل أن تقولي لي بأن أدافع عن نفسي فيما لم تكوني في وضع مماثل".

تقول مغادرةً: "كلا، ولكن إنْ مررت في وضع كهذا فلن أكون جبانة وأدع الناس يزعجونني بالتأكيد".

الحقيقة تجرح. لا أطيق ناديا كما أنها لا تحبني. ولكن ذلك لا يغير واقع أنها محقة. في المرة المقبلة التي يقرر فيها أحد بالعبث معي، سألقنه درساً لن ينساه.

مرت الأسابيع القليلة الأولى من السنة الأخيرة بسرعة. إنها لمفاجأة أن ما من أحد يضايقني. يجب أن أكون سعيدة ومرتاحة ولكن بدلاً من ذلك، أشك في الأمر. ثمة فكرة قديمة تقول: "إنْ بدا الأمر صعب التصديق

فهو على الأرجح كذلك". هذا ما أشعر به تماماً. إنه يشبه اللحظة قبل أن يوجه القاتل ضربته القاضية في فيلم رعب. على الأقل كنت أعلم ما يجب أن أتوقع عندما كنت أتعرض للأذى والمضايقة.

هل سأبقى على هذه الحال طيلة حياتي، أنتظر دائماً حصول أمر سيئ؟ ألن أتمكن أبداً من الوثوق بأحد؟ أقلق من أنني عندما أتقدم في السن، سأخاف من أن يبغضني الناس لدرجة أنني لن أصدق ذلك عندما يحبونني في الواقع. ماذا لو تقبلني الطلاب في الجامعة؟ هل سأفسد الأمر لأنني غير قادرة على التصديق بأن مجموعة الرائعين تحبني؟ فكرياً، أدرك أنني أتصرف بسخافة ولكن داخلياً، الأمر منطقي. ها أنا متوترة وخائفة لأنني لا أتعرض لإساءة المعاملة. إنّ ردة فعلي عنيفة.

تسأل آني وهي تقترب مني بجانب الخزائن: "جودي، بِمَ تحلمين في وضح النهار؟".

أخبرها: "ستظنين أن الأمر جنوني".

تجيب: "جربيني".

"أشعر بعدم الراحة لأن ما من أحد تصرف بوضاعة معي مؤخراً".

تقول آني: "لا أفهم الأمر. اعتقدت أن هذا ما أردته".

أجيب: "هذا صحيح".

تسأل: "إذاً، أين المشكلة؟".

أجيب: "لا أدري، أشعر بأن هناك خطب ما".

"أنتِ مصابة بجنون الارتياب".

أجيب: "أنتِ محقة. ربما جاكلين وآي جاي والباقون سئموا من مضايقتي. دعينا ننسى الموضوع".

تقول آني: "موافقة. من الأفضل أن ننطلق. بالمناسبة، أيمكنك الحضور إلى منزلي الليلة، لنقل عند حوالى الساعة الخامسة؟ هناك أحد ما أود أن تتعرفي إليه".

"مَن؟ لا يمكنك إخباري أمراً كهذا ثم تذهبين. سأموت من الفضول طيلة النهار!".

تجيب مبتسمةً: "يدعى أندريه. هذا كل ما سأقوله إلى أن تلتقي به!".

لم أختبر قط موعداً مدبراً. في الواقع، لم يكن لي أي صديق غير تيم ويورغوس. أجد من المستحيل التركيز على بقية فترة بعد الظهر. كل ما يمكنني التفكير به هو الليلة.

عندما أصل إلى منزل آني ذلك المساء، تفتح الباب الأمامي على مصراعيه قبل أن أخرج حتى من السيارة. تقول: "هيا، سيأتي في أي لحظة. أريد أن أرى كيف تبدين".

"هل سأجتاز فحص التدقيق؟".

"بالطبع، والآن أتريدين أن أخبرك عن هذا الشاب؟".

أجيب: "نعم، كنت أنتظر ذلك طيلة النهار".

تقول: "أولاً، إنه وسيم للغاية. سوف تصدمين عند رؤيته".

أسأل: "كَم يبلغ من العمر؟".

تجيب آني: "سيصبح في الثانية والعشرين بعد شهرين".

"لم أدرك أنه يكبرني سناً بكثير".

تلاحظ آني: "أربع سنوات فقط. كما أنك ناضجة بالنسبة إلى عمرك. ولهذا السبب على الأرجح لم تستطيعي الانسجام مع أي من فتية المدرسة".

"أسأل: "كيف تعرفين أندريه؟".

تجاوب: "يعمل وشقيقي معاً".

"إنه عامل بناء".

"في الواقع، إنه المشرف على الموقع حيث يعمل دايفيد. سوف تنسجمان بقوة. يمكنني الشعور بذلك".

في تلك اللحظة، يرن الجرس. تقول آني بتعجب: "إنه هنا!".

لم تكن تبالغ حيال مظهره. إنه طويل القامة ومفتول العضلات وشعره أسود اللون وعيناه زرقاوان. يرتدي قميصاً ضيقاً قصير الكمّين وجينزاً من ماركة ليفايز. يذكرني بذلك النجم السينمائي الجديد ميل غيبسون. أقول: "مرحباً، أخبرتني آني الكثير عنك". على الرغم من أنني أحافظ على رباطة جأشي من الخارج إلا أنني في الداخل متوترة جداً.

"مرحباً"، يجيبني مبتسماً ابتسامة دافئة.

تقترح آني: "لمَ لا ننزل جميعاً إلى الطابق السفلي؟ تفضلا أنتما الاثنان. سأحضر شيئاً نشربه ثم أوافيكما في الحال".

جلسنا أنا وأندريه على الأريكة الكبيرة المحشوة في الغرفة العائلية. في الوقت الذي تنضم فيه إلينا آني، نكون مستغرقين في الحديث. الليلة تمثل كلّ ما تخيلته. لا شيء غريب بيني وبين أندريه. أعجبني هذا الشاب وآمل

أن يدعوني للخروج معه في موعد عاطفي.

تبين أنه لم يدعني للخروج معه وحسب بل انتهى بنا الأمر إلى المواعدة معاً لعدة أشهر. في البداية، كان والدايّ قلقين حيال فارق العمر ولكن شخصية أندريه المحببة جعلتهما مرتاحين. لم يتأخر قط عند اصطحابي كما أنه يوصلني دائماً إلى المنزل باكراً. غالباً ما يتحدث مطولاً مع أبي حول كل شيء من كرة القدم إلى الموسيقى. أحب تمضية الوقت مع أندريه. أحس بقشعريرة تسري في عروقي عندما يرن جرس الهاتف ظناً مني أنه سيكون هو.

تتعمق علاقتي به. على الأقل نمضي ليلتين معاً أسبوعياً. نتعانق وأدعه يلمسني تحت ملابسي. حتى إنني أريته الندبات. قال إنني يجب أن لا أشعر بالخجل منها أبداً ثم مازحني قائلاً بان لديّ "شمامتين كاملتين". ذات ليلة، كنا نتبادل القبلات مستلقيين على الأرض وبدأت الأمور تصبح أكثر سخونة.

"أندريه، لا تفعل".

"بريك، نتواعد منذ أشهر"، أجاب مقبّلاً بلطف شحمة أذني.

أجيب: "لست مستعدة بعد لممارسة الحب. تعلم أنني عذراء".

يقول متذمراً: "آسف، لم أقصد أن أدفعك للقيام بذلك ولكن لا أعلم إنْ كنت أستطيع الانتظار أكثر". يعلّق: "ربما عليّ مواعدة فتاة من سني. أعتقد أنك صغيرة بالنسبة إلى عمري".

"أندريه، أرجوك لا تقل ذلك".

يقول: "جودي، تعلمين أنني أهتم لأمرك. لا أفعل ذلك لأنني لا

أحترمك، بل لأنني أحترمك أعتقد أنه قد يكون من الأفضل إنْ أنهينا علاقتنا".

"هل ما زلت ستصطحبني إلى حفلة العودة؟ سيعني لي ذلك الكثير". في تلك اللحظة، كنت أبكي بشدة. فأخذني بين ذراعيه وأخبرني بأنه لن يفوت حضور الحفلة مهما حصل وهو يهزني بلطف إلى الأمام وإلى الخلف.

عشية حفلة العودة، أبدو مزاجية مثل قطة. من الصعب أن أكون برفقة أندريه في ظل ظروف رومنطيقية كهذه ومع ذلك أعرف أن بعد هذه الليلة سيخرج كلّ منا من حياة الآخر إلى الأبد. وفوق ذلك كله، لا أثق بزملائي. كانوا يتصرفون بتهذيب مؤخراً. ما كان يجب أن أشاهد فيلم كاري خلال نهاية الأسبوع. هذا يجعل مخيلتي تجمح. أخشى أن يحرجوني في الحفلة أمام أندريه. ستكون الليلة مرهقة بما يكفي بدون ذلك الضغط الإضافي.

عندما يصل أندريه لاصطحابي، أفعل ما بوسعي لمنع نفسي من البكاء. يبدو غايةً في الوسامة في بذلته الرسمية. يسلّمني باقة الزهر الصغيرة ويروح والدايّ يلتقطان الصور. كل شيء رائع في هذه الليلة ما عدا أنه الوداع بدلاً من أن يكون وعداً بحصول تطورات في المستقبل.

زُينت قاعة الرياضة بظلال رائعة باللونين الأزرق والذهبي. هناك أعلام صغيرة ملونة في كل مكان وأوراق لماعة منثورة على الأرض. وضع لاعب الأسطوانات أغنية "حان الوقت لأحلق" لفريق سبيد واغن. نظرنا أنا وأندريه إلى بعضنا البعض مذهولين بسخرية لاعب الأسطوانات في اختيار الأغنية. يقترح قائلاً: "هيا لنرقص". فيما نتجه إلى ساحة الرقص،

تقترب مني جاكلين وهي تقطر خلفها عدة أفراد من مجموعتها. إنها ترتدي ثوباً قصيراً أحمر وتنتعل حذاء عالي الكعب.

تسأل محدقة بأندريه: "مَن هذا؟ أليس كبيراً في السن قليلاً ليواعد عذراء؟".

أجيب: "تباً لك، هيا بنا أندريه لنذهب".

تسأل جاكلين: "ماذا قلت؟".

"سمعتني، قلت تباً لك".

"تريثي يا جميلة"، قال أندريه وهو يلف ذراعه حول كتفي ويوجه الحديث إلى جاكلين. "أيمكنني الحصول على بطاقتك؟".

تجيب بارتباك: "ماذا؟".

"سأقيم حفلة عزوبية لصديقي الأسبوع القادم وقد أستطيع الاستفادة من خدماتك"، يقول ضاغطاً بلطف على ذراعي.

تسأل جاكلين ولا تزال مرتبكة: "عمّ تتكلم؟".

يقول أندريه: "عن تأجيرك".

"أتعتقد أنني عاهرة؟" تصيح وقد أوشكت على كسر ظفرها محاولةً أن تنزل ثوبها. تنظر بغضب حول الغرفة وكأنها تبحث عن مهرب. راح أصدقاؤها يضحكون.

"نعم، ألستِ كذلك؟".

تقول مرتعبة: "كلا!".

لم أرَ جاكلين تتعرض للإهانة أو الإحراج من قبل. إنني أتمتع بكل

لحظة من ذلك. "عذراً سيدتي، لقد أخطأت"، قال أندريه وهو يمسك بيدي ويقودني إلى ساحة الرقص.

"كان ذلك رائعاً!"، أقول لأندريه وبالكاد قادرةً على السيطرة على شعوري بالفرح. "كان عظيماً".

يُقول أندريه مبتسماً: "كان عظيماً، أليس كذلك؟ والآن لنرقص".



يحلّ فصل الشتاء قوياً كاسياً الغرب الأوسط برمته بغطاء من الثلج. مع أنني أحاول أن أبقى مرحة ومبتهجة إلا أنني مشتاقة لأندريه كثيراً. سيصطحبني أبي وأمي إلى نيويورك في عطلة هذا الأسبوع. سأجري مقابلتين في جامعتين في بنسلفانيا، لذا فكر أبي أنه سيكون من الممتع أن نزور مانهاتن ليومين ثم نستأجر سيارة ونذهب إلى بنسلفانيا. إنه تواق إلى التجربة التي سأعيشها في المدينة التي وُلد وترعرع فيها. يقول إننا سنبقى في منطقة تدعى قرية غرينوتش وسأحبها كثيراً. يملك أحد زبائنه شقة مشتركة بالقرب من حديقة عامة كبيرة تدعى ساحة واشنطن وقد عرض علينا أن نستعملها.

إن الرحلة ممتعة إلى لاغوارديا. في غضون ساعة من هبوط الطائرة، استقلينا سيارتنا المستأجرة ونجوب شوارع مانهاتن المزدحمة. يلعب أبي دور المرشد السياحي مشيراً إلى عدة أماكن معروفة. يقول: "هذا مركز روكفلر" مشيراً إلى تجمّع ضخم من المباني الشاهقة ومتاجر للبيع بالتجزئة والحدائق الملونة. ويواصل حديثه سعيداً بمشاطرته معنا أنا وأمي: "هناك قاعة الموسيقى في إذاعة المدينة حيث يؤدي فريق روكيت أغانيهم".

أسأل: "أين نحن الآن؟".

يعلمني أبي: "إننا في الجادة الخامسة متجهين نحو واشنطن". فيما نلتف حول الحديقة العامة، أذهل بالبيئة الحية. "هل هذه هي القرية؟"، تواقة للخروج من السيارة والتنزه.

"نعم عزيزتي"، يقول أبي وهو يركن السيارة في مرآب تحت شقة ذات قرميد أحمر. "سنستقر هنا. لننزل حقائبنا وسأصطحبكما في مغامرة في نيويورك".

يعرّفنا أبي في اليومين التاليين إلى نيويورك. أحب مانهاتن وخاصة القرية. بعد ظهر نهار أحد، وفيما نجلس على مقاعد في حديقة ساحة نيويورك ونتناول البايجل والجبنة الكريمية، يأتيني الإلهام فجأة. "قلت أن كل هذه المباني حول الحديقة تشكل جزءاً من جامعة نيويورك، أليس كذلك؟".

يشرح: "نعم، يا عزيزتي. هذا قلب حرم جامعة نيويورك".

"أنظر إلى الناس في هذه الحديقة يا أبي. سوف أتأقلم هنا، أعلم ذلك. أرجوك، أود ارتياد هذه الجامعة".

يقول: "عزيزتي، هل أنت متأكدة؟ لن يكون حرماً تقليدياً ونيويورك مدينة صعب التأقلم فيها".

أجيب: "لن تكون أصعب مما عانيته. أبي، أعلم أنني خلقت لأرتاد هذه الجامعة. لم أكن متأكدة قط إلى هذا الحد حيال أي شيء طيلة حياتي".

تحذرني أمي قائلةً: "جودي، لست أكيدة من أنه سيتم قبولك".

"سأدخل إلى الجامعة أمي. يتوجب عليّ ذلك وحسب".

لا نـزال نـزور الجامعـات في بنسـلفانيا ولكـن فيمـا نجـول في حـرم الجامعات، تتسارع الأفكار في ذهني حول جامعة نيويورك وكيف ستكون الحياة في نيويـورك. عنـد عودتنـا إلى شيكاغو، أُرسـل الطلـب. بعـد عشـرة أيام، أتلقى رسالة من مكتب العميد تقول إن جامعة نيويورك أدخلت مؤخراً برنامجاً جديداً للفنون الحرة وُضع خصيصاً للطلاب المهتمين بالكتابة الحرة والتاريخ. فأرسلوا طلبي إلى مجلس القبول ووافقوا عليه. وذُكر أيضاً في الرسالة أنه برنامج حصري يضم من اثني عشر إلى خمسة عشر طالباً وحسب في الصف الواحد. "أرأيتما! قلت لكما، خلقت للدخول إلى جامعة نيويورك"، قلت لوالدتي وأنا أقفز فرحاً.

إنّ قبولي في جامعة نيويورك هو أفضل هدية قد أحصل عليها في عيد رأس السنة، لذا الأعياد مشرقة وفرحة هذه السنة. حتى إنني أمضي بعض الوقت مع بول الذي عاد من الجامعة لزيارة أهله. أخبرني كم هو فخور بي. قال: "ستصبحين قريباً فتاة جامعية وستغير حياتك كلها".

مع مرور الفصل الثاني، أجد أن الثانوية تصبح أقل أهمية بالنسبة إليّ. لا أزال أتعرض للمضايقة ولكن ذلك لا يزعجني مثل قبل. يبدو كل شيء في ساموليلز مثل الماضي. إنني أركز على الغد. وصلني للتو رسالة من جامعة نيويورك تقول إنني عُينت للسكن في مهجع روين في الجادة الخامسة. لا أصدق ذلك. سوف أدرس في مدينة نيويورك وأعيش في الشارع الأكثر حيوية في البلدة.

لا أعتقد أن الأحداث المهمة في حياة المرء تكون نتيجة الفرص. تحصل الأمور لسبب ما. أعلم أن رفضي وتعرضي للأذى لهما غاية في حياتي. والآن أنا متحمسة لمعرفة ماهية هذه الغاية.

أغمض عينيّ وأتصور باقي المنبوذين الذين عرفتهم طيلة سنوات الدراسة. أتساءل عما سنصبح عليه جميعاً. أنا الأوفر حظاً بينهم لأنني مفعمة بالأمل حيال المستقبل. كلّ ما أفكر به الآن ليس وليد صدفة. في مقتبل هذا الأسبوع، حصل أمر جعلني أرى الأشياء بوضوح أكثر من أي وقت مضى.

وفيما كنت جالسة في قاعة المحاضرة، أعلنت المعلمة أنه سينضم إلينا طالباً جديداً لباقي الفصل. قالت إنه يدعى دايف وهو طالب في السنة الأولى. وبما أن القاعة تضم طلاباً من السنة الأولى والأخيرة، لم يخطر ببالي أي شيء إلى أن دخل عبر الباب. لم أصدق ما رأيته. كان دايف ذاته الذي كان يرتاد أكاديمية مورغن هيلز، دايف نفسه الذي كان معتوه الصف، دايف الذي رفضت كالي دعوته إلى حفلتها. فيما كنت أحدق بدايف، تساءلت إنْ كان سيتعرف عليّ. لقد بدا مختلفاً تماماً. ففي الصف السادس، كان يبدو كالمعتوه بنظاراته السميكة وتصرفاته الغبية وغير الواثقة. الآن، هذا الشاب الواقف أمامي هو ما يُطلق عليه الجيل الجديد اسم "المتمرد الشرس". بدا دايف مثيراً للتهيب حقاً مرتدياً بنطلون جينز أزرق ممزقاً وقميصاً قصير الكمّين وسترة جلدية قديمة رثة زُيّن ظهرها بشعار الخطر. كان شعره طويلاً ومربوطاً بمنديل أحمر ويضع حلقة في أذنه اليسرى. مع أن كلّ ما فيه تغير بشكل جذري، ما زال يضع النظارات السميكة وقد اعترى مظهره الخارجي البارد والغاضب التوتر. كان دايف الفتى المعتوه الخائف ذاته. برأيي كان الزي الذي يرتديه درعه ضد التعرض للأذى وهذا ما كان عليه.

"دايف، أنا جودي من مورغن بارك".

حدّق بي دايف ثم أجاب بمرح: "مرحباً، جودي".

قلت بانزعاج قليل: "تبدو مختلفاً كثيراً. بالكاد أتعرف إليك".

يجيب بصوت بارد وحذر: "حدث الكثير من الأمور منذ الصف السادس".

"ماذا تعني؟".

"لنقل إنني أصبحت أكثر ذكاء بعد مورغن هيلز. حرصت على عدم التعرض للمضايقة مجدداً".

أسأله: "لمَ أنت في السنة الأولى؟ أليس من المفروض أن تتخرج هذه السنة؟".

"سجنت لثمانية أشهر في سجن للأحداث، لذا تأخرت سنة عن المدرسة".

"هذا مريع".

قال: "لا، لست مهتماً. لقد نفذت انتقامي وهذا ما يهم".

قررت عدم معرفة المزيد.

بعد حديثنا في ذلك اليوم، مع أنني حاولت مبادلته الحديث ولكن من دون جدوى. ليس فظاً ولكنه قليل الكلام. إنني أذكّره بمشاعره القديمة حيال نفسه ولكنه أمضى السنوات الست الأخيرة من حياته يصنع شخصاً جديداً من نفسه كي ينسى. لا أستطيع لومه على رغبته في تجنبي. إنه لا يتهرب مني ولكن مما أمثله له.

على الرغم من مظهره الخارجي وسلوكه القاسي، هذا شاب يمكن

أن يصبح رجلاً عظيماً إنْ تعلم أن يكون حساساً من جديد. ثم صدمني الأمر. فهذا ما يكلفك كونك منبوذاً: حساسيتك. يميل الناس إلى اعتبار سرعة التأثر بأنها أمر سيئ. ولكن هذا غير صحيح. تذكرنا الحساسية بإنسانيتنا. وتبقينا منفتحين على منح الحب وتلقيه. وبدون مقدار قليل من الحساسية، يمكننا أن نصبح ما يحاول دايف جاهداً ليكونه - ألا وهو شخص يعيش في سجن من صنعه حيث الجدران سميكة للغاية لدرجة أنها تمنع أي كان من الدخول أو الخروج.

**
*

ستقام الحفلة بعد ثلاثة أسابيع. يعتقد والداي أنه عليّ الذهاب ولكن ليس لدي رفيق. فكرت في دعوة بول ولكنه سيكون منهمكاً في الامتحانات النهائية. كنت على وشك نسيان الفكرة عندما اتصل دايفيد شقيق آني.

يسأل دايفيد: "جودي، هل ستذهبين إلى الحفلة برفقة أحد؟".

"كلا، لماذا؟".

يقول: "حسناً، قد تظنين أنه أمر جنوني ولكنني كنت أتساءل إنْ كنت تريدين الذهاب برفقتي".

أجيب: "هذا لطف منك ولكنني لم أظن أنك تحب هذا النوع من الحفلات".

يجيب: "ماذا، تعنين لأنني شاذ؟".

أجيب: "نعم".

يقول: "لا تكوني سخيفة. كما أنك صديقة شقيقتي الحميمة".

أسأل: "هل حرّضتك آني على ذلك؟".

يقول: "كلا، لم تفعل. لم تعلم حتى إنني سأسألك".

"دايفيد؟".

"نعم؟".

"شكراً لك".

شعر والداي بالبهجة عندما علما بأنني سأذهب إلى الحفلة مع دايفيد. تقول أمي: "من الأفضل أن نستعد". تمضي وجدتي أياماً في تجهيزي للحفلة. بحلول ليلة الحفلة، قد تظنون أن هناك عرضاً أول لفيلم في غرفة الجلوس وجميعنا أشخاص مهمون. يحمل أبي كاميرا الفيديو واقفاً بالقرب من الباب الأمامي ومستعداً لتصوير دايفيد منذ لحظة دخوله. فيما يحمل جدي كاميرا البولارويد.

تقول أمي متجهة نحو الباب: "أوه، ها هو هنا".

تتطلب حفلات الزفاف أقل فوضى. يبدو دايفيد مثل نك نولتي في شبابه. يقدّم لي باقة زهر جميلة. للحظة، يخطر أندريه على ذهني عندما سلمني باقة الزهر في حفلة العودة. ركزت على دايفيد مبعدةً الذكريات عن فكري. لطالما كان دايفيد، آني، بيل ودينو أصدقاء أوفياء. لا أريدهم أن يفكروا بأنني أستخف بصداقتهم.

ستقام الحفلة في مكان واسع بدلاً من قاعة الرياضة في المدرسة. عندما نصل أنا ودايفيد، يستقبلنا على الفور أحد من اللجنة ويسلمنا بطاقة طُبع عليها رقم الطاولة التي سنجلس عليها. هناك فريق يعزف الروك أند رول الكلاسيكي. ويجلس على الطاولة ذاتها ثلاثة أزواج آخرين لا أعرفهم خير

معرفة. إحدى الفتيات معي في حصة اللغة الإنكليزية. تسأل إنْ كنت على علاقة بدايفيد منذ وقت طويل. فيشرح لها أننا مجرد صديقين.

تقول معلقةً: "ولكنكما تشكلان ثنائياً رائعاً. أفضل الأصدقاء يصبحون أفضل الأحباء!".

أشعر بأن دايفيد ليس مرتاحاً. "أحب هذه الأغنية، لمَ لا نرقص"، أقترح عليه وأقوده إلى ساحة الرقص.

يقول: "عمَ كانت تتكلم؟".

أجيب محاولةً أن أزيل التوتر: "أعتقد أنها كانت تحاول أن تكون اجتماعية".

لا نزال نرقص أنا ودايفيد عندما يغير الفريق إيقاع الموسيقى. فيعزف مجموعة من الأغاني العاطفية. فيما أراقب كل ثنائي يرقصان متقاربين من بعضهما البعض، أبدأ أشعر... ليس بالإحباط تماماً بل بفراغ. يفترض أن تكون هذه الليلة الحدث الأكثر رومنطيقية في حياة المراهقة. تلمع في ذهني صور أندريه.

يقول دايفيد: "تفكرين بأندريه أليس كذلك؟".

أجيبه: "نعم، لا أفكر به كثيراً. ولكنني أتساءل كيف سأذكر هذه الليلة بعد عشرين سنة. هذا كل شيء".

يقول: "أعرف ما تقصدين".

"لنرقص ونتمتع بوقتنا معاً. هذا أهم شيء".

يوافق دايفيد: "أنت محقة".

نرقص ونتحدث طيلة الأمسية. ندرك أن الصداقة التي تجمعنا أنا ودايفيد متينة وحقيقية مثل الشغف الذي يجمع بين معظم الأشخاص الموجودين في هذه الغرفة.

بعد الحفلة، يبقى ثلاثة أسابيع فقط قبل التخرج وتمر مثل البرق. إنه اليوم الأخير في المدرسة وأشعر براحة كبرى. كل طلاب السنة الأخيرة مشغولون في توقيع الكتب السنوية لبعضهم البعض. لا أستطيع احتمال فكرة عدم الحصول على أي توقيع. أي نوع من التذكار سيكون؟ أعتقد أنه لا بأس أن أطلب من بضعة أشخاص أن يوقعوا كتابي وأستثني الطلاب ذوي الشعبية. كما أنني لا أزال مفتونة بتايلر. لم يضايقني هذه السنة فأقرر أن أتحلى بالإيمان. يستغرقني ساعة لأتحلى بالشجاعة ولكنني أطلب منه أخيراً أن يكتب شيئاً لطيفاً. ابتسم وقال إن ذلك يشرّفه. إنني متحمسة! يا لها من طريقة رائعة لأنهي سنتي الأخيرة.

عندما أعاد إليّ كتابي السنوي، أقرأ الكلمات المكتوبة بأحرف عريضة وبقلم أسود ثابت:

اذهبي إلى الجحيم،
نكرهك أيتها العاهرة

وكأن أحداً وجّه إليّ ركلة على الصدر. إنّ تقدير الذات الذي بذلت كل جهدي للحفاظ عليه طيلة السنة ذهب أدراج الريح. ممسكةً كتابي السنوي بيد ومخبئة وجهي بيدي الأخرى، أخرج مسرعة من المدرسة وأركب سيارتي وأنطلق مبتعدةً. كانت تلك المرة الأخيرة التي أدخل فيها الثانوية.

الفصل الرابع عشر

الاجتماع

لا أزال جالسة في سيارة البونتياك المستأجرة في موقف فندق الهيلتون في شيكاغو هايتس. حاولت لمدة ساعة أن أتحلى بالشجاعة لعبور هذه الأبواب. حتى إنني حفظت في ذاكرتي كل شخصية مشهورة عملت معها بالإضافة إلى عناوين الكتب والأفلام التي صممت إعلاناتها ظناً مني أنني إذا ذكرت نفسي بأنني فرد من الأشخاص المهمين في نيويورك ولوس أنجلوس، سيجعل ذلك مواجهة المجموعة "الرائعة" من الثانوية منذ كل هذه السنوات أقل رعباً. أقول لنفسي باستمرار إنني إذا استطعت التحدث عن الملاكمة مع محمد علي فيما نحتسي القهوة، ومشاطرة الحلوى بالكريما مع ميكي روني وتناول الشاي مع السفير الأوكراني، فيجب بالتأكيد أن أكون قادرة على تدبر أمر استرجاع ذكرياتي مع بعض زملائي السابقين. ومع ذلك، إنني جاثمة في مكاني.

وتظنون أنني سأكون على ما يرام مع كل ذلك. منذ أربع سنوات، لم أحضر اجتماعاً آخر وحسب بل كانت إحدى أروع التجارب في حياتي. كان الاجتماع العشرين للمدرسة المتوسطة. على الرغم من أنني غادرت مدرسة الارتقاء باكيةً في الصف السادس بدون عودة، إلا أن أمي تلقت دعوة لي مصرّة على أن أحضرها. جاءت الدعوة من لجنة الخريجين التي تتألف من كل الطلاب الذين كنت تخرجت معهم لو أنني بقيت في المدرسة.

كنت أشعر بالتوتر أيضاً تلك الليلة. ولكنني أرغمت نفسي على الذهاب وسعدت جداً لذلك. تفاجأت عندما بدا الجميع مسروراً لرؤيتي. قدموا إليّ وراحوا يتكلمون في آن معاً مبدين سعادتهم لمجيئي. كلّ مَن كان معي في مدرسة الارتقاء منذ سنوات حضر الاجتماع من جو إلين وتيري إلى إيدي وغريغ. جميع الأولاد الذين سببوا لي الأذى في يوم من الأيام يقفون أمامي الآن يضحكون معي بدلاً من أن يسخروا مني.

لن أنسى أبداً ما حصل بعد ذلك. اجتمع زملاء صفي كلهم حولي. فقال إيدي: "جودي، مع أنك لم تتخرجي معنا، إلا أننا لم ننسَك يوماً وأردنا أن نعرب لك عن أسفنا بسبب طريقة معاملتنا لك".

قالت جو إلين: "لم نكرهك قط ولكننا لم نفهمك وحسب. كنت دائماً تأخذين موقفاً مما كان يزعجنا. سمعنا عما حققته في حياتك وإننا فخورون جداً بك. أردنا أن نقول لك ذلك ولهذا السبب دعوناك الليلة".

للحظة، عجزت عن الكلام. لم يستطع عقلي استيعاب ما يدور حولي. وقبل أن أتمكن من استجماع أفكاري، طلب مني غريغ وإيدي أن أغني "فوق قوس القزح" من أجل الأيام الخوالي. لم أفهم لمَ أرادا أن أغني بدون إيقاع أو ميكروفون. ظننت أنهما كانا يمزحان ولكن وجهيهما أخبراني العكس. ثم، فجأة، فهمت. إنْ أنشدت لهم هذه الأغنية، سيكون ذلك رمزاً للسماح وذكرى للحظات الصداقة السعيدة التي تشاطرتها معهم في يوم من الأيام قبل الصدع الذي فصل بيننا. علمت بأنه عليّ القيام بذلك، فنظفت حنجرتي ورحت أغني. غنيت من كل قلبي بصوت واضح وقوي. وعندما انتهيت، صفق لي الجميع.

قد تظنون أن بعد كل ذلك، سيكون حضور هذه الحفلة سهلاً عليّ

ولكن هذا غير صحيح. فمنذ لحظة، اعتقدت أنني رأيت أحداً يتجه نحو سيارتي. بدلاً من التكلم مع هذا الشخص كائناً مَن كان، اختبأت في مقعد السائق كي يبدو وكأن ما من أحد في السيارة. ما زلت خائفة جداً من مواجهة جاكلين وآي جاي والباقين الذين جعلوا حياتي بائسة لسنوات عديدة. على الأرجح، لا يذكرون نصف ما فعلوه بي. بالنسبة إليهم، كانوا أولاداً يتصرفون على هذا الأساس. ولكن بالنسبة إليّ وإلى باقي المنبوذين مثلي، بدا الأمر وكأنهم سلبوا شيئاً مهماً منا. وقد استغرقني وقتاً طويلاً لاسترجاعه. وأخاف أن تعود كل تلك الذكريات إنْ رأيت زملائي وهذه المرة لن أتمكن من محو الآثار.

تتلاشى الذكريات السعيدة من اجتماع المدرسة المتوسطة بسرعة ويحلّ محلها صور تعرضي للركلات والبصاق في الثانوية مثل شريط فيديو. ظننت أنني تخلصت من استحواذ الماضي عليّ. لغبائي، اعتقدت أن نجاحي كبالغة محا نوعاً ما جميع آثار "عدم تأقلمي". قد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة إلى العالم الخارجي ولكن في داخلي، لست متأكدة تماماً.

منذ عدة سنوات، ساعدت أنا وشريكي في العمل، في إنتاج مباراة بايسبول للمشاهير مع ستايكس، فريق الروك المفضل لديّ من أجل مساعدات خيرية. لا أشعر أبداً بالقلق أو الإزعاج مع المشاهير لأن العمل معهم هو جزء من مهنتي. ولكنني كنت متوترة حيال لقاء فريق ستايكس لأنني أحببت أعضاءه كثيراً عندما كنت صغيرة. هل ستحضر وسائل الإعلام التي دعوتها في الوقت المناسب لمقابلتهم؟ هل سيتخذون وضعية خاصة لهم في التصوير كما وعدوا؟ هل أدعهم يختلطون بالعامة في المباراة أو هل من الأفضل أن يجلسوا في عربة مقطورة خاصة؟ هل سيحبونني؟

إنه السؤال الأخير الذي جعلني أقلق. مع ذلك، على الرغم مما اختبرته بعد ظهر ذلك اليوم والذي كان ناجحاً على جميع الأصعدة، لم يكن شيئاً يُذكر مقارنة مع الخوف والقلق اللذين أشعر بهما الآن.

أستعيد ببطء رباطة جأشي. وأتحقق من وجهي على المرآة الأمامية. ثم أخرج من السيارة وأتوجه بحذر إلى باب الفندق الأمامي. عندما أصل إلى مدخل القاعة، أشق الباب وأسترق النظر إلى الداخل.

الغرفة كبيرة ومزينة. هناك شرائط وأعلام صغيرة زرقاء وذهبية معلقة من السقف، وألواح مليئة بالصور وطاولات عرض تضم كتباً سنوية قديمة وأشياء أخرى جديرة بالتذكر. ويعزف لاعب الأسطوانات مزيجاً من المقطوعات الموسيقية الخاصة بفيلم Grease. آخذ نفساً عميقاً وأدخل مدمدمةً لحن "فوق قوس القزح" ومحاولةً استرجاع مشاعري في المرة الأخيرة التي غنيتها.

هناك مجموعة من النساء اللواتي يتحدثنَ بالقرب من طاولة تسجيل الأسماء. عندما يرونني، تهرع إحداهن إليّ مبتسمةً ثم تعانقني. إنها جاكلين. مرتديةً بنطلوناً سويدياً باللون البني الفاتح وسترة من جلد الغزال، بالكاد بان عليها التقدم في السن منذ أيام الثانوية. أتفاجأ كثيراً باستقبالها الحار لدرجة أنني أوشكت على فقدان توازني.

تقول بصدق تام: "جودي، تسعدني رؤيتك!".

أجيب: "تسعدني رؤيتك أيضاً". جزء مني يريد أن يسألها لمَ كانت وضيعة معي في الثانوية وإنْ كانت تذكر بعض الأمور التي كانت تفعلها بي. والجزء الآخر يريد نسيان كل شيء والاستمتاع بهذه اللحظة بكل

ببساطة وبالشعور الذي يختلجني لأنها تقبلتني أخيراً. فأقرر أن أتبع هذا الأخير. أسأل: "ماذا تفعلين حالياً؟ هل تزوجت؟ ألديك أولاد؟".

"إنني متزوجة منذ عشر سنوات ولدي ثلاث بنات صغيرات. أحب كوني أماً. لم أعتقد قط أنني أستطيع أن أحب أحداً بهذا الشكل. ماذا عنك؟"هل تزوجت؟".

"تزوجت مهنتي. لقد عملت في مجال النشر بعد الجامعة".

تقول جاكلين: "سمعت أنك ألّفت كتابين وأنهيت كتاباً للتو. الجميع يتكلمون عنه!".

للحظة، لم أستطع التكلم. أجيب محرجةً قليلاً: "نعم، عنوانه أرجوكم لا تسخروا مني وسيتم نشره السنة القادمة".

تسأل: "عمّ يتكلم؟".

أجيب: "إنه عن إساءة المعاملة في المدرسة".

تعلّق قائلةً: "إنه موضوع مهم".

"إنه مستوحًى من أمور عانيتها في المدرسة"، أقول متأملةً في وجهها لأرى إنْ تبدي أي علامات من ذكريات الماضي.

تسأل بارتباك: "هل أنا مذكورة في الكتاب؟".

"لم أضع أي أسماء حقيقية. لم أذكرها كي لا أجرح شعور أحد. ألّفته لأنني لا أريد أن تشعر باقي المراهقات كما شعرت عندما كنت في أعمارهن".

تقول: "هذا حقاً رائع. أعلميني إنْ كان هناك أي شيء أستطيع فعله لمساعدتك في هذا الكتاب".

تغرورق عيناي بالدموع لأنني ممتنة لدعمها ولطفها. وفي الوقت عينه، يغمرني الحزن. يخطر ببالي فجأة أننا لربما كنا أصدقاء في المدرسة...

فيما تتجه جاكلين نحو النادي، أراها فجأة من طرف عيني. إنها تبدو تماماً مثلما كانت في الثانوية. يجتاحني شعور بالغثيان وتبدأ راحتا يديّ تتعرقان. "مرحباً آي جاي". أرجوك يا رب، دعها تحبني.

تقول آي جاي: "جودي، يسرني قدومك كثيراً!".

هل ما أسمعه صحيح؟ أعلم أن هناك حالة تدعى العمى الهستيري الذي يسببه الإجهاد الحاد. هل من الممكن وجود الصمم الهستيري أيضاً؟

تقول باسطةً يدها لمصافحتي: "آملت أن تأتي. أسمع أنك تؤلفين كتباً. هذا حقاً رائع. جميعنا فخورون بك".

"شكراً"، هذا كل ما استطعت قوله. لا أصدق أن هذا يحصل. أولاً جاكلين والآن آي جاي. لم تطيقاني هاتان الفتاتان في المدرسة. لقد أهانتاني في كل فرصة سنحت لهما. ماذا جرى لذاكرة هؤلاء الأشخاص؟ لا بد أنني انتقلت إلى حلقة غريبة من منطقة الشفق.

أسألها: "ماذا تفعلين هذه الأيام؟".

تقول: "تطلقت وأعمل في مجال التسويق الرياضي. ليس لديّ أولاد. ماذا عنك؟".

أجيب: "لا أزال عزباء. لقد كرست كل وقتي للعمل. ولكنني أحب أن أتعرف على أحد ما وأؤسس عائلة. بدأت أشعر بالملل من العمل كثيراً".

"نعم، ولكن فكري فقط بالأمور التي حققتها! أشك في أن أحداً في هذه القاعة يؤلف كتباً ويعمل مع المشاهير. يجب أن تكوني فخورة بنفسك".

أقول معترفةً: "كنت خائفة جداً من القدوم الليلة".

تتذكر: "لماذا؟ لطالما أحبَّك الجميع في المدرسة".

لم أعد أستطيع احتواء ذهولي. "آي جاي، كنت المنبوذة في سامويلز. كنت غير قادرة على التأقلم. ألا تذكرين؟".

تُجيب: "أنت ترعبينني. ربما سخر منك الآخرون ولكنني لم أكن فظة قط معك. كنت دائماً لطيفة. أحببتك فعلاً".

أدرك أنه لا جدوى من جعلها تتذكر الأحداث التي حصلت منذ أكثر من عشرين سنة. بالنسبة إليها، كانت وأصدقاؤها يتصرفون على أساس أنهم مجرد أولاد. "كان ذلك منذ وقت طويل وأفهم أنك ربما لا تذكرين... ولكن آي جاي، كنتم تتصرفون وكأنكم تكرهونني. لماذا؟".

تجيب: "أعتقد أننا جميعاً كنا وضعاء في الثانوية. لا بد أن ذلك كان قاسياً عليك. وعلى الأرجح هذا يفسر نجاحك الآن لأنه كان عليك التغلب على الكثير من الأمور. آسفة جداً".

"أتعلمين، عندما كنا في الثانوية، كنت معجبة جداً بك وبجاكلين. أردت أن أكون مثلكما ولكنني لم أعلم كيف أتأقلم مثل الجميع. ومع ذلك، لما حققت بعض ما حققته ربما لولا تعرضي للمضايقة في سامويلز منك ومن الآخرين. والواقع أنني ما زلت أمتثل بكما. فوجودي هنا والتحدث إليكم يجعل جزءاً في أعماقي يشعر بالسعادة لأنك أحببتني أخيراً".

تحني آي جاي نظرها وتهز رأسها وحسب. ثم تقول معترفةً: "خشيت من القدوم الليلة أيضاً".

"أنت؟ أنت وجاكلين كنتما أكثر الفتيات شعبية في صفنا".

"حدث الكثير لي منذ الثانوية. لم أعد الفتاة الواثقة التي كنتها من قبل. كنت أتظاهر كثيراً".

الآن، جلّ ما أريده هو معانقتها. لما كنت تخيلت قط أن الفتاة التي كنت أحلم بإلحاق الأذى بها ستصبح يوماً امرأة أتمنى لو كانت شقيقتي.

تقول آي جاي: "في وقت متأخر من الليلة، ستذهب مجموعة منا إلى نادي سكيني جيم. لمَ لا تأتين معنا؟ أعلم أن العرض جاء متأخراً ولكن أن أخبرك في وقت متأخر خير من عدم إخبارك على الإطلاق، أليس كذلك؟" تسأل مبتسمةً.

وأخيراً، تحقق الحلم الذي لطالما كنت أتمسك به لوقت طويل.

أجيب: "يسعدني ذلك".

بعد التخطيط للالتقاء في ما بعد في نادي سكيني جيم، أتوجه إلى النادي وأطلب زجاجة من الكولا. وفيما أنتظر تحضير مشروبي، أشعر بتربيتة لطيفة على كتفي. "مرحباً، جودي". أنظر خلفي. "نورين، يا إلهي تبدين رائعة".

مرتدية بذلة حريرية رائعة باللون الزهري الباهت ومصففة شعرها على الطريقة الفرنسية، لا تشبه نورين الفتاة التي عرفتها في الثانوية. مفعمة بالحياة والحيوية، تتكلم عن حياتها. "بعد التخرج، تخبطت قليلاً ثم قررت أن آخذ حصصاً في إدارة الأعمال. اكتشفت أنني أملك موهبة في إدارة الأعمال. أنا نائب رئيس شركة تأمين صغيرة هنا في البلدة".

أجيب: "هذا رائع! يسعدني أنك تبرعين في عملك".

تسأل: "هل تزوجت؟".

أجيب: "كلا، مشغولة جداً بوظيفتي وأنت؟".

تقول: "تزوجت منذ خمس سنوات. إنه مدهش. لدي طفل في المنزل وهو يجالسه الليلة. إنه صبور بالنسبة إلى مهنتي، وهذا مهم لي. بالحديث عن العمل، سمعت أنك تؤلفين كتاباً عنا. أذكر كيف كانت الثانوية بالنسبة إليك. كانت رهيبة بالنسبة إليّ أيضاً. لا أريد أن تعيش ابنتي هذا الجحيم. اتصلي بي وحسب إنْ كان هناك أي شيء أستطيع فعله لمساعدتك في كتابك".

أجيب متأثرةً: "شكراً". نتحادث قليلاً ثم نتبادل أرقام الهاتف ونتواعد على اللقاء قريباً.

تتحول هذه الليلة لتكون أكثر اختلافاً مما توقعت. أكتشف أنه على الرغم من أن العديد من الأشخاص الموجودين هنا الليلة سببوا لي الألم عندما كنا أولاداً، إلا أنني في الواقع أحب ما أصبحوا عليه كبالغين.

مع أن علامات التقدم في السن تبدأ تلوح على وجوه معظم لاعبي كرة القدم القدامى، إلا أنني لا أستطيع مقاومة مغازلتهم وخاصة مارك، كابتن الفريق السابق.

يراني هو وكلارك أنظر إليهما فيقتربان مني.

"جودي، تبدين رائعة"، أجيب مارك وهو يتفحصني ويعانقني بحرارة.

أجيب: "شكراً، انتظرت طويلاً لأسمع ذلك. هل تزوجت؟ ألديك أي أطفال؟".

"أتذكرين ناديا، قائدة المشجعات؟ تزوجتها ولدينا أربع أولاد".

"ما نوع العمل الذي تمارسه؟".

"أنا محاسب وأملك شركة صغيرة ليس بعيداً عن هنا. أسمع أنك تبرعين في عملك. ما قصة الكتاب الذي تؤلفينه حول إساءة المعاملة في المدرسة؟".

أجيب مبتسمةً: "تنتقل الأخبار بسرعة. القصة ترتكز على تجاربي الخاصة أيام المدرسة. لا تقلق. لقد غيرت أسماء الجميع".

تأتي ناديا فيما أتكلم مع مارك. لا تزال جميلة. مرتدية بنطلوناً اسود وسترة من الوبر الطويل، أضافت علامات الأمومة عليها ملامح رقيقة.

تسأل بصوت رقيق: "ماذا فعلت منذ التخرج؟" رأت النظرة على وجه زوجها فيما كان يعانقني، لذا تراقبنا الآن مثل الصقر.

أجيب: "ارتدت جامعة نيويورك ودرست العلاقات العامة والنشر. أعيش على الساحل الشرقي الآن. يقول لي مارك أنكما تزوجتما ولديكما أربع أولاد. أعتقد أنه من الرائع أنكما كنتما متحابين في الثانوية وبقيتما معاً. هذا رومنطيقي حقاً".

"لم أعد اعلم كم الحياة رومنطيقية"، تقول مازحةً وهي تلكز مارك في ضلوعه.

"آخ"، قال وهو يقرصها بلطف.

على الرغم من أنهما يبدوان ثنائياً رائعاً، إلا أنني ألاحظ بعض الانزعاج خلف تصرفهما اللعوب.

"عزيزي، أنا أتضور جوعاً"، تقول وهي تلف ذراعها حول خصر مارك بطريقة استحواذية. إنّ الرسالة خلف هذه الحركة واضحة. تقول عبر

أسنان مطبقة قليلاً: "نراكِ لاحقاً جودي". مع أنني يجب أن أشعر بالإهانة من تصرف ناديا البارد تجاهي، إلا أنني لم أستطع منع نفسي من الشعور بالقليل من الرضا. إنّ زوجها الشاب نفسه الذي كان يقول لي مراراً وتكراراً منذ سنوات إنني قبيحة، ها هو يغازلني الآن ويجعل زوجته المشجعة تشعر بالغيرة. أشعر بالعار للاعتراف بذلك ولكنه شعور رائع!

مع مرور الوقت، تزداد ثقتي بنفسي. يتصرف زملائي القدامى بعكس طبيعتهم ويضمونني إلى المجموعة وكأنهم يبدون وعي يحاولون التعويض عن إلحاقهم الأذى بي. يطلب مني البعض التقاط الصور معهم وقد دعاني بعض الشباب للرقص معهم. في الواقع، تنافس لاعبا كرة القدم حول مَن سيقف بجانبي عند التقاط صورة للاجتماع. أشعر وكأنني سندريلا في الحفلة. إنها أفضل ليلة في حياتي.

لم يأتِ العديد من زملائي القدامى إلى الاجتماع ولكنهم أرسلوا سيرتهم لتوضع في كتيّب الاجتماع. يبدو وكأن حياة البعض منهم قد توقفت منذ التخرج؛ وكأنهم بلغوا أوجهم في الثانوية. نجح البعض الآخر في حياتهم؛ قلة منهم لا يزالون يبحثون عن الوظيفة الملائمة أو الشريك المناسب. جيم محاسب يعيش في بلدة صغيرة في ريف وايومنغ. غريغ متزوج ولديه ثلاثة أولاد ويعمل خشاباً في الغرب. ريكي مندوب في شركة تأمين. وإميلي ربة منزل بدوام كامل. أما كيم وجايسون فقد واجها المصاعب. كيم أم وحيدة تزوجت وتطلقت مرتين وتكافح لتصلح الأمور. ويعاني جايسون من مشكلة الشرب. لقد سحبت منه رخصته.

الشخص الوحيد الذي لم أره الليلة هو شارون. أتساءل ما أصبحت عليها. آني بخير ولكن لم تستطع الحضور لأنها حامل في شهرها الثامن.

يقول صوت مألوف من خلفي: "أصبحت رائعة الجمال".

"تايلر، تسعدني رؤيتك!" ضايقني هذا الفتى وأهانني في الثانوية ولكن لا تزال ركبتاي تضعفان بعد مضي عشرين سنة عند سماع هذا الصوت.

يقول محدقاً بي: "أعني ما أقوله. تبدين رائعة".

أجيب: "شكراً وأنت كذلك. أصبحت أكثر إثارة مما كنت عليه في الثانوية". هل عيناي تخذلانني أم أن وجنتي السيد رائع احمرّتا حقاً؟

يسأل تايلر: "متى كانت المرة الأخيرة التي رأينا فيها بعضنا البعض؟".

"عندما وقعت كتابي السنوي. أتذكر ما كتبت فيه؟" أسأله ولا أعلم ما سيشعرني أكثر بالسوء إنْ تذكر أم لا.

يسأل بقليل من التجهم: "ماذا؟ هل كتبت شيئاً فظاً؟".

أجيبه وقد بدأ الغضب ينمو في داخلي: "لا أزال أشتم رائحة حبر قلمك الأسود. لقد كتبت بأحرف عريضة: اذهبي إلى الجحيم. إننا نكرهك أيتها العاهرة".

يبدو إحراج تايلر واضحاً فتحمرّ وجنتاه.

يجيب: "أنتِ تمزحين. هل كتبت ذلك؟".

أجيب: "نعم، إنها الذكرى الأخيرة من الثانوية".

يتذكر قائلاً: "أنا آسف. كنت نذلاً في ما مضى... وأنانياً".

أجيب: "حدث ذلك منذ وقت طويل". في تلك اللحظة، تتوجه نحونا امرأة شقراء صغيرة الجسم وتلف ذراعها حول تايلر.

يقول تايلر مقدماً زوجته لي: "جودي، هذه زوجتي لوري".

تجيب باسطةً يدها: "يسعدني لقاؤك. أرجو أن تعذراني للحظة. أحتاج إلى وضع البودرة على أنفي"، قالت متجهة نحو الحمام.

أقول: "تبدو امرأة لطيفة".

يجيب: "إنها كذلك ولكننا مختلفان جداً".

أعلق: "هذا مؤسف للغاية. يصعب إيجاد الحب ويسهل فقدانه".

يقول تايلر: "هناك ما أريد قوله لك. إنْ لم أقله الآن فلن أقوله أبداً".

أسأل: "ما الأمر؟".

"جودي، علمت أنك كنتِ مفتونة بي في الثانوية. هذه حال الجميع. وهنا تكمن المشكلة. الجزء المحزن هو أنني كنت معجباً بك أيضاً".

هل سمعته جيداً؟

"ولكنني كنت أخشى مما قد يقوله أصدقائي إنْ طلبت الخروج معك لأنك كنتِ، كما تعلمين..." توقف غير واثق من مواصلة الكلام.

تجيب: "منبوذة؟".

يقول: "لم أكن لأقولها بهذه الطريقة".

"لا بأس تايلر، يمكنك قول ذلك".

يعترف قائلاً: "حسناً نعم، لم أطلب منك الخروج معي لأنني كنت قلقاً من أن ينكرني أفراد مجموعتي إنْ علموا بأنني معجب بك. لهذا السبب كتبت تلك الأمور الفظيعة في كتابك السنوي وضايقتك كثيراً".

ألاحظ مبتسمةً: "إذاً، تذكرت أمر الكتاب السنوي؟".

"نعم، تذكرت".

"تايلر، أشكرك لأنك قلت لي كل ذلك. لن تعلم كم يساعدني سماع ذلك".

يقول: "كان يجب أن أقول شيئاً منذ وقت طويل". ثم يطبع قبلة بلطف على وجنتي ويغادر بحثاً عن زوجته. فيما أتوجه نحو مائدة الطعام، يقترب مني رجل وسيم. لم أستطع تكوين فكرة عن هويته فأنظر شزراً محاولةً أن أذكر اسمه. يقول مبتسماً: "على الأرجح أنك لا تذكرينني ولكننا كنا نحضر حصة علم الأحياء معاً. اسمي ميتش. كنت أجلس بالقرب من كلارك وتايلر في صف الآنسة راين".

قلت: "يا إلهي، أتذكرك! لم أذكره في سياق الكتاب ولكن يا إلهي أذكره الآن. كنت تخرج برفقة جاكلين وآي جاي. رائع، لقد أصبحت أكثر امتلاءً منذ الثانوية. لم أعرفك بصراحة".

يقول محدقاً في عينيّ: "لا بأس. تبدين مختلفة أيضاً".

ما هي احتمالات لقائي بشاب عظيم في اجتماع خريجي الثانوية؟ أشعر بسعادة عارمة لدرجة أنني سأبدأ بالغناء. قلت لنفسي: "حافظي على هدوئك. أعتقد أن هذا الرجل معجب بك".

يمسك بيدي ويرافقني إلى ساحة الرقص نرقص لساعات. بعد ذلك، ننضم إلى الجميع في حانة سكيني جيم حيث نحتسي الشراب المفضل ونضحك ونستمتع برفقة بعضنا البعض. أقول رافعةً كأسي: "أود أن أشرب نخبنا جميعاً. نخب الاجتماع العشرين ونخب الأشخاص الذين أصبحنا عليهم!".

وفيما نرفع كؤوسنا، أدرك أن الخوف قد زال إلى الأبد. ليس فقط أنني لم أعد خائفة أو غاضبة من زملائي القدامى بل أيضاً أصبحت مهتمة

بالتعرف أكثر عليهم. يستعيد ذهني للحظة ذكرى حفلة السنة الأخيرة. وأخيراً، إنني أختبر السحر الذي كنت أتوق إليه في تلك الليلة. وفيما يلف ميتش ذراعه حولي، تفتح فجأة الجزء الذي كان مظلماً ومغلقاً في داخلي لمدة طويلة وها أنا أستطيع الشعور بالنور يدخل إليه. جميع مَن يجلس على الطاولة إنساني وحساس تماماً مثلي. لا يستطيعون إيذائي بعد الآن. أعتقد أننا قد نصبح أصدقاء في النهاية. تغمرني الراحة. أفتح حقيبة يدي وأخرج ملمع شفاه قديم وأنزع عنه الغطاء. على الرغم من أنني أحمل هذا الملمع منذ أكثر من عشر سنوات، إلا أنه لا يزال يحتفظ برطوبته بشكل مميز. ولكن صفة التميز كانت تعم هذه الليلة.

أضع القليل من هذه المادة المألوفة على شفتي. ثم آخذ نفساً عميقاً وطويلاً وأقوم بأمر لم أظن قط بأنني قد أتحلى بالشجاعة للقيام به ولكنني أعلم أن عليّ فعل ذلك كي أشعر بالحرية، ألا وهو النسيان. نسيان كل الأذى والغضب اللذين احتجزاني رهينة كل تلك السنوات، الغضب من الدموع التي ذُرفت والكلمات التي لم تقال قط. نسيان المرارة والحزن والوحدة التي طاردتني وأحلام اليقظة التافهة وغير المحققة في أيام شبابي. أغمض عينيّ وأتخيل صور كلّ مَن كان لطيفاً معي فيما كنت أكبر أي والديّ، جديّ، خالاتي وأنسبائي، الدكتور أرنولد، آني وجماعتها من سيئي التأقلم ونيكو وأصدقائي الأعزاء في سانتوريني. ساندني هؤلاء الأشخاص عندما احتجت إلى دعمهم وأحمد الله على ذلك.

أشعر بسعادة عارمة الآن. لقد أزيح عني العبء الذي كنت أحمله في داخلي لسنوات عديدة. أفتح عينيّ ببطء وأبتسم لزملائي القدامى الجالسين أمامي. وأخيراً، أستطيع مسامحتهم ومسامحة نفسي.

ملاحظة الكاتبة

إنّ ما نقدّره في سن الرشد لأمر مفاجئ. لو كان قد أخبرني أحد عندما كنت مراهقة بأنني يوماً ما سأعود بالذكريات وأشعر بالامتنان للجحيم الذي عشته وأنه سيجعلني شخصاً أفضل عندما أنضج، لكنت ظننت أنه مجنون. والآن، بصفتي امرأة ناضجة، لا يسعني التصديق بأن ذلك قد حصل فعلاً.

لا أستخف أبداً بصداقة أحد. كما أنني أدافع عن أصدقائي مهما حصل لأنني أعرف كيف يبدو الأمر عندما يتجاهلك الشخص الذي من المفروض أن يقف إلى جانبك.

عندما كنت في أواخر العشرينات من العمر، بدأ ثدياي يفقدان شكلهما كما تنبأ الأطباء في عيادة مايو بفضل عملية نضج الجسم الطبيعية. ومنذ سنوات قليلة، خضعت أخيراً للعملية الجراحية الثانية. نفذها الدكتور أرنولد، الجراح الرائع نفسه الذي أدى العملية الأولى. إنه رجل المعجزات حقاً. صدري جميل الآن وقال إنني لن أحتاج أبداً إلى الخضوع لعملية أخرى.

كذلك، فقدت عدة أشخاص على مرّ السنين. عانى أبي من الحمى الرثيانية عندما كان طفلاً فتوقفت كليتاه عن العمل عندما كان في الثامنة والخمسين من العمر. لا أزال وأمي نفتقده كل يوم. وتوفي جداي وخالتي إيفي عن عمر متقدم في التسعينات من القرن العشرين. نيكو، الفتى الذي أعاد إليّ كرامتي ذات صيف في سانتوريني وبقي صديقي المقرّب لأكثر من

عقدين، مات في حادث مأساوي خلال تأليف هذا الكتاب. جميع هؤلاء الأشخاص يعيشون في قلبي.

لن أتمنى حياتي السابقة لأحد، ولكنها حياتي. إنها جزء كبير مما أنا عليه الآن. إنّ الألم الذي عانيته خلال المراهقة مدّني بالقوة وعلّمني حقيقة ذلك القول المأثور الرائع: عامل الآخرين كما تحب أن تُعامل. اكتشفت أن تحقيق ما تحب يحسن من فرص نجاحك، ومعاملة الناس كما تحب أن تُعامل هي طريقة جيدة لكسب الأصدقاء والقيام بالأعمال. إنّ معايير أهلي الأخلاقية التي كان من الصعب عليّ احترامها خلال مراهقتي المضطربة، نفعتني بشكل جيد كامرأة سعيدة في مهنتها ومنعَم عليها بالأصدقاء المحبين.

سيرة جودي بلانكو المهنية

جودي بلانكو هي أخصائية العلاقات العامة في نشر الكتب وصناعة التسلية مع خمسة عشر منشوراً لصالحها في صحيفة النيويورك تايمز بما في ذلك خمس منشورات حلّت في المرتبة الأولى وعشرات المنشورات الإقليمية الأكثر رواجاً (لوس أنجلوس تايمز، واشنطن بوست، شيكاغو تريبيون).

تتضمن بعض هذه العناوين: أسرار الرجال التي يجب أن تعرفها كل امرأة بقلم خبيرة العلاقات الدكتورة بربارا دي أنجلس؛ زيارة من الخارج بقلم مايكل ريغن نجل الرئيس السابق ريغن؛ دوق فلاتبوش بقلم بروكلين دودجر كيوك سنايدر المشهور؛ معالجة الخجل الذي يقيدك بقلم الخبير النفسي والمعالج جون برادشو؛ بالإضافة إلى محظور الدخول إليه بقلم لاعب كرة القدم الشهير والنجم السينمائي والناشط جيم براون؛ وكثير غيرهم.

مثلت الكثير من معدّي الأخبار والشخصيات مثل: مؤلف الكتب الأكثر رواجاً والكاتب والممثل والمخرج كارل راينر؛ المنتجان المنفذان لسلسلة ساينفلد الحائزة على جائزة إيمي جورج شابيرو وهاورد ويست؛ مؤلف الكتب الأكثر رواجاً بوب زمودا والمنتج المنفذ لفيلم رجل على سطح القمر الحائز على جائزة الكرة الذهبية لأداء الفنان أندي كوفمان، بطولة جيم كاري وداني دي فيتو وإخراج ميلوس فورمان الحائز على جائزة الأوسكار والذي مثلته أيضاً بلانكو؛ البرنامج الهزلي، وهو

المؤسسة الخيرية المشهورة للمشردين التي تُبث مباشرة على الهواء على إذاعة أتش بي أو مع المضيفين ووبي غولدبرغ وبيلي كريستال وروبن ويليامز ؛ مؤلف المنشورات الأكثر رواجاً في نيويورك تايمز وأسطورة هوليوود ميكي روني ؛ ومدير العمليات السابق في الشرق الأوسط في وكالة الاستخبارات المركزية "جايمس بوند أميركا" إريك جوردان ؛ والكثير غيرهم.

منذ عقد، أسست جودي بلانكو شركتها الأولى بلانكو وبيس مع ناشرة الأفلام العريقة ليسي بيس. خلال سنواتها كرئيسة لشركة بلانكو وبيس، طورت الآنسة بلانكو ونفذت حملات خلاقة للعديد من الكتّاب أعادت تحديد إمكانيات نشر الكتب.

من بين مؤلفي المنشورات الأكثر رواجاً في نيويورك تايمز: دايف بيلزر الذي تصدر لائحة المنشورات الأكثر رواجاً في نيويورك تايمز في كتابه الأول، طفل بلا هوية، ثم تصدر اللائحة مرة أخرى في تتمة الفتى الضائع (بقي الكتابان على لائحة النيويورك تايمز لسنوات عدة) ؛ كاتب روايات الخيال العلمي كيفن أندرسون المعروف بسلسلة ديون وحرب النجوم المشهورة والناجحة عالمياً ؛ ودافني دوموريه كاتبة الرواية الأسطورية ريبيكا ؛ والكثير غيرهم.

عملت مع الكثير من دور النشر المرموقة. من بينها وارنر بوكس ؛ سايمون وشاستر؛ فري برس ؛ ديل ؛ ديلاكورت ؛ ماكميلان ؛ آيفون ؛ مورو ؛ أتلانتك برس الشهرية ؛ جون وايلي ؛ هارير كولينز ؛ ماكغرو - هيل ؛ ليتل، براون وكومباني ؛ كارول وغراف ؛ هيوتون ميفلن ؛ وهنري هولت.

بالإضافة إلى شغفها لمشاريع النشر، مدّها حبها وتبجيلها لهوليوود القديمة بالرغبة المستمرة في العمل مع نجوم السينما الذين شكلوا عالم الاستعراض. ساهمت السيدة بلانكو في نجاح المشاريع التي كانت عزيزة على هذه القلوب الأسطورية. كانت المحفِّز في الصفقة الكبيرة بين ميكي روني وناشره مما سهّل بداية روني كروائي.

كما أن الآنسة بلانكو طورت وأدارت استراتيجيات في الإعلان والتسويق لمشاريع عالمية على نطاق واسع بما في ذلك: باحة في تايلند تبلغ مساحتها 48564 متراً مربعاً؛ وضع أكبر نصب تذكاري للحرب الأهلية في تاريخ الولايات المتحدة؛ المعرض العالمي في تايجون، كوريا؛ ترويج الكتب في العاصمة الذي جمع حشداً من السفراء وضباط الاستخبارات المركزية والقادة السياسيين وعضو سابق رفيع المستوى في الاستخبارات الروسية الذي كسب تغطية واسعة في واشنطن بوست وغيرها من وسائل الإعلام في العاصمة، والتي اعتبرته حدثاً وطنياً.

إنّ السيدة بلانكو عضو في مركز النشر في جامعة نيويورك وجامعة شيكاغو. إنها متكلمة دائمة في معارض الكتب مثل معرض الكتاب الأميركي والندوات التي ترعاها مؤسسات كهذه مثل صحيفة بابليشرز الأسبوعية وجمعية مؤلفي الكتب الأكثر رواجاً الأميركية، والجمعية الأميركية للمؤلفين والصحافيين، والنساء في صناعة النشر. إنها كاتبة الدليل الكامل للإعلان ومساعدة مؤلف الكتاب الحائز على جائزة المرأة في طور النمو.

تقرأ السيدة بلانكو وتكتب وتتكلم اللغة الإغريقية بطلاقة. وتقسم وقتها بين مانهاتن وشيكاغو وبنسلفانيا.





«يمكن أن ينقذ هذا الكتاب حياة ولدكم. من الضروري أن يقرأه الأهل والمعلمون وكلّ من يهتم بصحة أولادنا ورفاهيتهم».

جون برادشو، مؤلف «حفلة العودة» الأكثر رواجاً في نيويورك تايمز.

«إنّ كتاب «أرجوكم... لا تسخروا مني» سيساعد من عايش إساءة المعاملة في المدرسة كما ساعد كتاب دايف بيلزر «طفل اسمه نكرة» الأطفال الذين تعرضوا لإساءة المعاملة».

جاك كانفيلد، مساعد مؤلف السلسلة العالمية الأكثر رواجاً «حساء الدجاج للروح» بما في ذلك «حساء الدجاج لروح المراهقين حول أمور صعبة».

فيما كان الأولاد الآخرون يحلمون بالحفلات الراقصة والقبلات الأولى والحياة الجامعية، كانت جودي بلانكو تحاول معرفة كيف تنتقل من الصف إلى قاعة المحاضرات بدون أن تتعرض للمضايقة بينما تعبر الأروقة.

تعرض هذه المذكرات القوية التي لا تُنسى كيف تعرضت طفلة للسخرية وإساءة المعاملة جسدياً من قبل زملائها منذ المرحلة الابتدائية حتى الثانوية. هذا الكتاب يلقي الضوء على معنى النبذ وكيف أحياناً يفهم الأهل الأكثر تفهماً الأمر خطأً والسبب في أن المدرسة غالباً ما تعجز عن تجنب المشاكل وكيف أساءت جمعية الصحة العقلية فهم موضوع إساءة المعاملة وأساءت معالجته.

سوف تصدمون وتتأثرون وتستوحون من هذه الرواية حلولاً للتفوق على المشاكل التي يصعب التغلب عليها. ستفتح هذه الرواية المفعمة بالحيوية عيونكم على الحقائق القاسية والعواقب الطويلة المدى لإساءة المعاملة وكيف يمكننا جميعاً أن نحدث فرقاً في حياة المراهقين اليوم.



جودي بلانكو هي ناشرة منفذة عملت مع مؤلفي الكتب الأكثر رواجاً في نيويورك تايمز، والممثلين الحائزين على الجوائز، والمنتجين الحائزين على جوائز إيمي والرياضيين المحترفين المشهورين. إنها تعلّم النشر في جامعة نيويو[illegible]ة شيكاغو. وتقسم وقتها بين مانهاتن وشيكاغو وبنسلـ[illegible]

ISBN 9953-29-767-3
9789953297675

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb

ص.ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان
هاتف 785107/8 (1-961+) فاكس 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني asp@asp.com.lb